نموذج ترخيص

أنا الطالب : سعود عبد العزيز حمود الصهادي أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

مقالات الحسن في الرأي الأخلاقي
لطارق رمضان في المقاصد الإسلامية
عرض ونقد

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: سعود عبد العزيز الصهادي

التوقيع:

التاريخ: ٢٣/١٠/٢٠١٧

مقالات المستشرق الألماني كارل بروكلمان في العقائد الإسلامية

عرض ونقد

إعداد

سعود بن عبدالعزيز بن حمود الضمادي

المشرف

الدكتور "محمد نبيل" طاهر العمري

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

تشرين أول، ٢٠١٧

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة بعنوان: (مقالات المستشرق الألماني كارل بروكلمان في العقائد الإسلامية عرض ونقد)، وأجيزت في تاريخ١٩/ ١٠/ ٢٠١٧م.

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيـــع
الدكتور "محمد نبيل" طاهر العمري **أستاذ مشارك- العقيدة**	**مشرفًا ورئيساً**	....
الـــدكتور أحمـــد عبـــد العوايشـــة **أستاذ مشارك- العقيدة**	**عضوًا**	....
الـــدكتور عطـــالله بخيـــت المعايطـــة **أستاذ مشارك- العقيدة**	**عضوًا**	....
الـــدكتور عبـــد عيـــد الرعـــود **أستاذ مشارك- العقيدة، جامعة مؤتة**	**عضوًا خارجيًا**	....

الإهداء

إلى سيدنا رسول الله ﷺ النبي العربي الأمي الهاشمي

يا خير من دفنت في القاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والأكم**

نفسي فداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم**

وإلى والديّ رحمهما الله تعالى

وإلى زوجتي وأولادي شذى، محمد، غادة، رند، ديالا.

الشكر والتقدير

أحمد الله تعالى وأشكره على توفيقه في إتمام هذا العمل.

كما وأشكر الجامعة الأردنية التي أتاحت لنا فرصة طلب العلم فيها، والإفادة من علمائها الذين قاموا بتدريسنا، والسعي على توجيهنا.

كما وأتقدم بجزيل الشكر وخالص العرفان لفضيلة الدكتور محمد نبيل طاهر العمري الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة بإثرائها بعلمه وتوجيهاته، وخبراته العريضة في مجال البحث العلمي.

كما وأتقدم بالشكر للعلماء الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة. الدكتور أحمد العوايشة، الدكتور عطالله المعايطة، الدكتور عبد عيد الرعود...

قائمة المحتويات

مقالات المستشرق الألماني كارل بروكلمان في العقائد الإسلامية

عرض ونقد

إعداد

سعود بن عبد العزيز الضمادي

المشرف

الدكتور محمد نبيل العمري

الملخص

يأتي موضوع هذا البحث ضمن محور الدفاع عن الدين الاسلامي وعقائده ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن توجه المستشرقون لإثارة الشبهات والشكوك حوله ولقد تناول المستشرق الألماني كارل بروكلمان الإسلام وعقائده ونبيه محمداً صلى الله عليه وسلم لذا سعيت للوقوف على آرائه والرد عليها وذلك من خلال هذا الرسالة.

ولقد تم تقسيم الرسالة الى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة حيث جاءت المقدمة مفصلة لخطة البحث ،وقد تناول التمهيد دراسة الاستشراق تعريفاً ومفهوماً وأطواراً وأهدافاً بشكل عام والاستشراق الألماني بشكل خاص.

أما الفصل الأول فقد تحدثت فيه عن مقالات بروكلمان في الدين وعرضها ونقدها والرد عليها. وأما الفصل الثاني فقد تناولت فيه النبوات ومقالات بروكلمان حول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والوحي وجوانب عقدية من السيرة النبوية وقد قمت في عرضها والرد عليها.

وأما الفصل الثالث فقد تناول مقالات بروكلمان حول العقائد الإسلامية وقد قمت في عرضها ثم الرد عليها.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى إخوانه النبيين وعلى آله وصحبه الطاهرين، وبعد:

فإن الصراع بين الحق والباطل هو سنة من سنن الله عز وجل في هذا الكون، ولقد تعرض الدين الإسلامي لمحاولات النيل منه والتشكيك به من كل حدب وصوب، فقام الغرب بدراسة الإسلام بهدف النيل منه والتشكيك به وإثارة الشبهات حوله، وسميت تلك الدراسات بالاستشراق، ومن تلك الهجمات ما قام به المستشرق الألماني كارل بروكلمان من إلقاء الكثير من الشبهات حول الإسلام عقيدة وشريعة، حيث قام الباحث بدراسة تلك الشبهات التي ألقاها بروكلمان، والرد عليها وتفنيدها، وبيان الحق .

أهداف الدراسة:

تظهر أهمية الموضوع في الأمور الآتية:

- بيان مفهوم الاستشراق وحقيقته،التعريف ببروكلمان.
- عرض مقالات بروكلمان حول النبي محمد ﷺ والرد عليها.
- عرض مقالات بروكلمان حول العقيدة الإسلامية والرد عليها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في الأمور الآتية:

- بيان سعة إطلاع بروكلمان وأنه من أكبر المستشرقين.
- الوقوف على آراء بروكلمان حول الوحي والنبوة المحمدية والعقائد الإسلامية.
- عدم وجود دراسة سابقة متخصصة لشبهات بروكلمان حول العقيدة الأسلامية.
- طبيعة وخطورة الموضوعات التي بحثها بروكلمان وأثار الشبهات حولها

مشكلة الدراسة:

قام الباحث من خلال هذه الرسالة بالإجابة على الأسئلة الآتية:

- مفهوم الاستشراق وما أطواره ومراحله؟
- من هو بروكلمان وما آثاره العلمية؟
- مقالات بروكلمان في الدين والأصنام عند العرب؟ وما الرد عليها؟
- مقالات بروكلمان في الكعبة والحجر الأسود؟ و الرد عليها؟
- مقالات بروكلمان في بعثة النبي ﷺ وفي الوحي؟ و الرد عليها؟
- مقالات بروكلمان حول بعض جوانب العقيدة الإسلامية؟ و الرد عليها؟

الدراسات السابقة:

بعد أن قام الباحث بالبحث في الجامعات التي يوجد فيها أقسام متخصصة لدراسة العقيدة واستعراض العناوين المسجلة لم يجد هذا الموضوع مسجلاً.

منهج البحث:

- المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبع مقالات بروكلمان في كتابيه تاريخ الشعوب الإسلامية وتاريخ الأدب العربي عن العقائد الإسلامية.
- المنهج التحليلي: وذلك بتحليل مقالات بروكلمان حول العقائد الإسلامية.
- المنهج النقدي: ولك بنقد مقالات بروكلمان والرد عليها.

محددات البحث:

كانت الدراسة منصبة على ثلاثة كتب لبروكلمان هي: تاريخ الشعوب الإسلامية، وتاريخ الأدب العربي، ودائرة المعارف الإسلامية وهي لمجموعة من المستشرقين منهم بروكلمان، وكان البحث منصباً على الكتاب الأول لأن الباحث لم يجد ما يخص العقيدة في الكتابين الأخرين"تاريخ الادب العربي " "دائرة المعارف الاسلامية". وإن وجد فهو نزر يسير ومكرر لما في الكتاب الأول.

خطة الرسالة:

الفصل التمهيدي: تعريفات.

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق.

المبحث الثاني: الاستشراق الألماني.

المبحث الثالث: ترجمة بروكلمان والتعريف بكتبه المستهدفة بهذه الرسالة.

الفصل الأول: مقالات بروكلمان في الدين.

المبحث الأول: مقالات بروكلمان في الدين عند العرب.

المبحث الثاني: مقالات بروكلمان في الكعبة والحجر الأسود.

الفصل الثاني: النبوات

المبحث الأول: بعثة الرسول ﷺ من وجهة نظر بروكلمان،عرضاً ونقداً.

المبحث الثاني: مفهوم الوحى عند بروكلمان،عرضاً ونقداً.

المبحث الثالث: شبهات بروكلمان حول جوانب تتصل بالعقيدة من سيرته ﷺ،عرضاً ونقداً.

الفصل الثالث: العقائد الإسلامية

المبحث الأول: مناقشة بروكلمان لجانب الإلوهية، عرضاً ونقداً.

المبحث الثاني: مناقشة بروكلمان لجانب الغيبيات، عرضاً ونقداً.

الفصل التمهيدي

تعريفات

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق:

المطلب الأول: تعريف الاستشراق لغة واصطلاحاً وبداياته وطلائع المستشرقين.

المطلب الثاني: أطوار الاستشراق ومراحله.

المطلب الثالث: دوافع الاستشراق وأهدافه.

المبحث الثاني: الاستشراق الألماني:

المطلب الأول: نشأة الاستشراق الألماني.

المطلب الثاني: خصائص الاستشراق الألماني.

المطلب الثالث: أشهر رجال الاستشراق الألماني.

المبحث الثالث: ترجمة بروكلمان والتعريف بكتبه المستهدفة بهذه الرسالة:

المطلب الأول: ترجمة بروكلمان:(مولده ونشأته، آثاره العلمية،وفاته)

المطلب الثاني: التعريف بالكتب الثلاثة: (تاريخ الشعوب الإسلامية، وتاريخ الأدب العربي، ودائرة المعارف الإسلامية).

الفصل التمهيدي

تعريفات

المبحث الأول

مفهوم الاستشراق

يجب أن أنوه إلى أن كلمة الاستشراق أو مستشرق أو استشراق لم توجد في قواميس لغة العرب القديمة لذا يتعذر بيان معناها اللغوي لكن لا يمنع ذلك من الاشارة إلى أن أصل هذه اللفظة مأخوذ من الشرق وخلافه الغرب فهما كلمتان: الاولى تطلق على الجهة التي تبزغ منها الشمس، والأخرى للجهة التي تأفل فيها الشمس، قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ ﴾ (البقرة: ٢٥٨)

المطلب الأول: تعريف الاستشراق لغة واصطلاحاً.

أ- الشرق لغة:هذه الكلمة في اللغة العربية لها عدة معان منها:

- **مكان الشروق:**

"الشرق (ش ر ق): مصدر شَرَقَ *الشمسَ وإسفارها* حيث تشرق الشمس * المشرق نقطة أو جهة الشرق التى تطلع منها الشمس على مدار السنة... المناطق أو البلدان الواقعة في الشرق، تنقسم إلى: الشرق الأدنى (بعض دول آسيا الغربية على المتوسط)، والشرق الأوسط (بعض مناطق آسيا الجنوبية الغربية وغيرها)، والشرق الاقصى (البلدان الواقعة في آسيا الشرقية)"(١).

الطلوع والإضاءة:

"(شرق) الشين والراء والقاف أصل واحد يدل على اضاءة وفتح من ذلك شَرَقَت الشمس، إذا طلعت وأشرقت، إذا أضاءت، والشروق: طلوعها" (٢).

---

(١) غريد الشيخ محمد، المعجم في اللغة والنحو والصرف والاعراب والمصطلحات العلمية والفلسفية والقانونية والحديثة، النخبة للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط١٠٢٠١٠،١م ١٤٣١هـ، ج٤، ص ٥٦.

(٢) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، راجعه وعلق عليه أنس محمد الشامي، دار الحديث ،القاهرة، د ط، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، ص ٤٧٦.

- **الموقع والمكان:**

قال الازهري: "والشَّرقُ، بتسكين الراء: المكان الذي تشرق فيه الشمس... ويقال: طلع الشّرَقُ والشَّرْق، ولا يقال غاب الشَّرَقُ ولا الشَّرْق... والمَشرٌقُ: موقعها في الشتاء على الأرض، بعد طلوعها ودفئها إلى زوالها، واما القيض فلا شَرْقَةَ له"(١).

وقال ابن منظور:"شرق: شَرَقَت الشمس تشرْق شُروقاً وشرقاً: طلعت، واسم الموضوع المشرق... يقال: شَرَقَت الشمس إذا طلعت، وأَشْرَقَت إذا إضاءت... والشرَّق: المشرِق والجمع أَشراق، قال كُثير عزة: إذا ضربُوا يوماً بها الآل زينوا مساندَ أَشراقِ بها ومغاربا"(٢).

وقال ابن سيده: "وشَرَّقوا: ذهبو إلى الشرق، أو أتوا الشرق. وكل ما طلع عن المشرق فقد شَرَّق، ويستعمل في الشمس والقمر والنجوم، والشرقي: الموضع الذي تشرق فيه الشمس من الأرض. وأشرقت الشمس أضاءت وانبسطت.. وشَرِقت (بالكسر) دنت للغروب"(٣).

الجهة:

و"الشرق خلاف الغرب،...وكل شيء من ناحية المشرق فهو شارق"(٤).

الاستشراق اصطلاحاً:

يبدو أن مصطلح الاستشراق بدعة أوروبية لكل أرض تقع وراء حدودها شرقاً إلى اليابان إلا انه تم حصره فيما بعد بالشرق الأوسط وما فيها من أديان ما عدا النصرانية التي يحب الغرب ربطها به. ونفس الأمر إذا عُكس المفهوم عند العرب والمسلمين لا يخرج عن مفهوم" دراسة الإسلام ديناً وما يتبعه من لغات أهله وتواريخهم ومظاهر حياتهم"(٥).

لذا كان تعريف الاستشراق في معناه الاصطلاحي قد عُرِّف من جانب الباحثين والمفكرين العرب والمسلمين، وقد يلاحظ في تعريفاتهم ما يأتي:

أ. أن يعُرف الاستشراق من وجهة نظر المعرف من الباحثين أو المفكرين أو علماء الشرق، أو بحسب توجهه الفكري أو العقدي.

ب. الخلط بين التعريف العلمي للاستشراق المنضبط بقواعد علم المنطق وبين الأهداف والغايات والمقاصد والدوافع.

---

(١) الأزهري، أبومنصور محمد بن أحمد، معجم تهذيب اللغة، تحقيق د.رياض زكي قاسم،، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ج٢ ص ١٨٦٣.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت،ط٤، ٢٠٠٥م، ج٧، ص٦٤.

(٣) ابن سيده، على بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق د.مراد كامل، معهد المخطوطات العربية، ط١، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م، ج٦، ص ١٠١.

(٤) ابن عبادَ، اسماعيل، المحيط في اللغة، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ج٥، ص ٢٣٤.

(٥) أنظر: السامرائي، قاسم، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط١،١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ص ١٠٧ -١٠٨.

ج. إصدار الاحكام وتعميمها على الجميع في تعريف الاستشراق مع التطويل والتكرار ولعلي أورد بعض النماذج، والتي هي إلى التوصيف أقرب منها إلى التعريف، ومن الأمثلة على ذلك:

(١) "إن الاستشراق دراسات (أكاديمية) يقوم بها غربيون كافرون – من أهل الكتاب بوجه خاص – للإسلام والمسلمين، من شتى الجوانب: عقيدة، وشريعة، وثقافة، وحضارة، وتاريخاً، ونظماً، وثروات، وإمكانيات... بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعى العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"[(١)].

حيث "اقتصر احمد غراب في تعريفه على أهل الغرب من غير المسلمين، وتخصيص اهل الكتاب من بينهم، فلم يدخل غير المسلمين من العرب في تعريفه مع تحديد موضوع الدراسة بالإسلام والمسلمين عموماً، ووضح أن أهدافهم من تلك الدراسات التي قاموا بها سياسية واقتصادية وحاولوا طبعها بطابع علمي، وقد أبرز ما يراه الهدف الرئيسي للمستشرقين وهو تشويه الدين وفرض التبعية للغرب"[(٢)].

(٢) "أوهي حركة فكرية واسعة النطاق، قامت بين علماء الغرب، يهود ومسيحيين وعلمانيين وملاحدة بقصد دراسة الحضارة العربية الإسلامية في شتى جوانبها، ومختلف مناحيها وتعدد مشاربها، وأبعاد فكرها وأديانها ومذاهبها وحقيقة مناهجها وأنواع عاداتها وتقاليدها، ومجمل فلسفتها وآدابها ولغاتها وشعرها ونثرها وفنونها وآثارها"[(٣)] وإن كان هذا التعريف يفي بالغرض إلا أن الجانب التفصيلي الذي لا داعي له في التعريفات يظهر بوضوح ظهوراً جلياً لا داعي له،

(٣) بينما في تعريف اخر عند الجبري للاستشراق بأنه: "دراسة علوم الشرق، وأحواله وتاريخه، ومعتقداته وبيئاته الطبيعية والعمرانية والبشرية، ودراسة لغاته ولهجاته وطبائع الأمة الشخصية في كل مجتمع شرقي، فلكل أمة مشخصاتها، ودراسة الأشخاص والهيئات والتيارات الفكرية والمذهبية في شتى صورها وأنواعها"[(٤)]. ويرى الباحث أن هذا التعريف فيه تفاصيل في الجزئيات أكثر منه في الشموليات التي تغني القارئ عن الاستطراد الممل.

---

(١) غراب، احمد عبد الحميد، رؤية اسلامية للاستشراق – المنتدى الإسلامي – لندن- ط٢،دت، ص ٧.
(٢) عالية، سيرين عبد الرحمن سالم، موقف المستشرق البريطاني "جيمس ربسون " من الكتب الستة، دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير لم تنشر، الجامعة الأردنية ٢٠١٠م، ص ٢٠.
(٣) الزيني، محمد عبد الرحيم، الاستشراق والمستشرقون رؤية موضوعية، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر المنصورة، ط١، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م، ص ٢٣.
(٤) الجبري، عبد المتعال محمد، الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، ص ١٣.

وبعد أن عرضنا تعريف الاستشراق نأتي إلى تعريف العامل في حقل الاستشراق مع ذكر بعض طلائع المستشرقين فيعرف العامل في حقل الاستشراق بأنه:

(١) " المستشرقون orientalists وفي أحيان ربما يدعون Arabists (المستعربون) علماً أنه ليس كل مستشرق مستعربا، وهم جماعة من المؤرخين والكتاب الاجانب الذين خصصوا جزء كبيراً من حياتهم في دراسة وتتبع المواضيع التراثية والتاريخية والدينية والاجتماعية للشرق الإسلامي" [١].

(٢) " المستشرق أصلها من (ش ر ق) اسم فاعل من استشرق من الغربيين: الباحث في تاريخ الشرق أو عادته أو لغاته أو أديانه أو معارفه أو غير ذلك مع معرفته لبعض اللغات الشرقية[٢].

(٣) اسْتَشْرَق استشراقاً: طلب جهة الشرق و- العالَم: درس العلوم والآداب الشرقية... المستشرق: الاجنبي العالم باللغات والآداب والعلوم الشرقية[٣].

(٤) "الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية "[٤]

ومن ابرز طلائع المستشرقين:

١- **جربر دي أوراليك (٩٣٨ – ١٠٠٣) م (Jerbert de Roaliac)**: من الرهبانية البندكتية (المؤسسة عام٥٢٩) قصد الأندلس وأخذ من أساتذتها في مدارس ريبول وأشبيلية وقرطبة، حتى أصبح أوسع علماء عصره معرفة بالعربية والرياضيات والفلك. ولما رحل إلى رومة سما على أقرانه وانتخب حبراً أعظم باسم سلفستر الثاني(٩٩٩-١٠٠٣) فكان أول بابا فرنسي، وقد أمر بإنشاء مدرستين عربيتين، الأولي في روما مقر خلافته، والثانية في رايمس وطنه[٥].

٢- قسطنطين الأفريقي (المتوفى عام١٠٧٨م (Constantinus Africanus): ولد في قرطاجة ورحل إلى خراسان وبغداد والشام ومصر والقيروان والهند. [٦].

(١) ناجي، عبد الجبار، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، دار الجاحظ للنشر، بغداد،دط، ١٩٨١م،ص٢٣.

(٢) غريد الشيخ محمد، المعجم في اللغة والنحو الصرف، ج٥،ص ٦٩١.

(٣) روبين حسين، معجم النفائس المدرسي، اختصار وتهذيب، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، ص ٣٩٨

(٤) ابن نبي، مالك، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت، ط١، ١٩٨٩م، ص٥.

(٥) أنظر:العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٦٤م، ج١، ص ١٢٠.

(٦) أنظر:المرجع السابق ، ج١، ص ١٢١.

٣- أوجو دي سانتالا(نزل بسرقسطه ١١٠٧-١١١٩)م (Ugodi Santalla): ترجم شرح البيروني على الفرغاني، ورسائل في علم الكيمياء، وعلم الرمل(١)(٢).

المطلب الثاني: بداية الاستشراق وأطواره ومراحلة.

من نافلة القول أن الاستشراق علم يمثل الاهتمام بدراسة الشرق ما كان منتسباً للمسلمين بوجه خاص أو لغير المسلمين بوجه عام، فإن سلمنا بهذه المقدمة من اجل معرفة بداية الاستشراق فإن ذلك يفرض علينا تساؤلات عدة في قضية تحديد بداية الاستشراق وذلك من ناحية الاسئلة التالية:

- هل كان الغرب يَدرُس الشرق قبل الإسلام وإن كان يدرسه هل ذلك داخلاً ضمن مفهوم الاستشراق الذي نحن بصدده أم لا؟ أم أنه لم يدرس الشرق إلا بعد ظهور الإسلام؟

- ما موقفنا من المغاربة المسلمين والعرب الأندلسيين الذين اتجهوا لدراسة الشرق واديانه هل نعتبرهم مستشرقين أم لا؟

- هل ظهر الاستشراق بعد ظهور الإسلام وانتشاره،وما كان قبله لم يكن استشراقاً ؟ عند ذلك نستطيع الإجابة عن بداية الاستشراق كما سيأتي حيث:أن المثقفين العرب والكاتبين بالعربية من غير العرب لم يتفقوا على بداياته الأولى كما أن هناك أكثر من أثني عشر رأياً حول انطلاقة الاستشراق وبداياته(٣)من أجل هذا كان الاختلاف كبيراً بين المفكرين والباحثين في الاستشراق حول بداياته فقد "اختلف الباحثون في نشأة الاستشراق وفي تحديد سنة معينة أو فترة معينة لنشأة الاستشراق فيرى البعض أن الاستشراق ظهر مع ظهور الإسلام وأول لقاء بين الرسول ﷺ ونصارى نجران، أو قبل ذلك عندما بعث الرسول ﷺ رسله إلى الملوك والأمراء خارج الجزيرة العربية أو حتى في اللقاء الذي تم بين المسلمين والنجاشي في الحبشة، وبينما هناك رأي بأن غزوة مؤتة التى كانت أول احتكاك عسكري تعد من البدايات للاستشراق ويرى آخرون أن أول اهتمام بالإسلام والرد عليه بدأ من يوحنا الدمشقي وكتابه الذي حاول فيه أن يوضح للنصارى كيف يجادلون المسلمين"(٤).

---

(١) علم الرمل :يعرف بأنه علم يبحث فيه عن علم المجهول من أحوال العالم وصاحب هذا العلم يسمى رمالا.انظر:التهانوي الفاروقي ، محمد بن علي ،كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم الاسلامية ،دار صادر ،بيروت ،دط، دت، ج٢ ، ص ٥٨٧.

(٢) أنظر:العقيقي ،المستشرقون ، ج١، ص ١٢١.

(٣) أنظر: رودي بارت، الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية،ترجمة مصطفى ماهر،دار الكتاب العربي،القاهرة، ١٩٦٧م،ص ١١٠.

(٤) بن يار محمد، شمس العالم، الاستشراق والمستشرقون رسالة لم تنشر مقدمة لقسم الدراسات العليا الشرعية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان،١٤٣٣هـ٢٠١٢م، ص ١٠.

و"لكننا لا نستطيع أن نعد مثل هذه المحاولات بداية الاستشراق فيوحنا الدمشقي(١) كان رجلاً شرقياً عاش في ظل الدولة الأموية وخدم في القصر الأموي"(٢).

ومرد هذه الأقوال أو القائلين بها عرفوا الاستشراق أنَّه الاتصال بالإسلام وأهله، ولذلك ربطوا بداية الاستشراق بظهور الإسلام كدين سماوي، لكن قد تُرَدُ هذه الأقوال ولا تقبل إن كان الطرف الذي يرفضها لا يربط الاستشراق بدين الإسلام ربطاً عاماً وإنَّما يرى أنَّ من جوانب الاستشراق العناية بدراسة الإسلام؛ يقول د.محمد قدور: "لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت كان ذلك؟ ولكن مما يجدر ذكره أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها، وترجموا القرآن الكريم، والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على العلماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات"(٣).

فهذا النص يحدد أن بداية الاستشراق كانت من الأندلس بشكل خاص، ولدراسة الاسلام بشكل عام، فهم مستشرقون متخصصون في دراسة الإسلام، الا أن ادوارد سعيد يقول: "الاستشراق فإنَّه حقل ذو طموح جغرافي وافر وما دام المستشرقون تقليدياً قد شغلوا أنفسهم بالأشياء الشرقية (فالمختص بالفقه الإسلامي تماماً كالمختص باللهجات الصينية أو بالديانات الهندية، هو مستشرق في عُرفِ من يسمون أنفسهم مستشرقين"(٤).

وهذا يبين لنا أنَّ الاستشراق لم يكن مختصاً بدارسة الإسلام دون سواه، بل كان يتعداه إلى غيره من الأديان. ولم يكن مختصاً بأمة العرب، بل كان يتعداه إلى غيره من الأمم، فإذا رجعنا مرة أخرى إلى إدوارد سعيد نجده يمثل لبعض المستشرقين الذين اختصوا بغير ما ذكرنا فمثلاً يقول: " كل هذا يصف الاستشراق باعتباره مبحثاً أكاديمياً، والصورة الصرفية للكلمة وظيفتها الإصرار على تمييز هذا المبحث عن كل نوع سواه. وكانت القاعدة في تطوره التاريخي باعتباره مبحثاً أكاديمياً هي توسيع نطاق لا زيادة الطابع الانتقائي – وكان مستشرقو عصر النهضة الأوروبية مثل إرينيوس، وجيوم بوستيل في المقام الأول من المتخصصين في لغات أقاليم الكتاب المقدس، وإن كان بوستيل يتفاخر بأنَّه يستطيع أن يعبر قارة آسيا حتى يصل إلى الصين دون أن يحتاج إلى مترجم.. وهكذا فقد

---

(١) يوحنا الدمشقي:القديس -٦٧٥-٧٤٩ م ولد في دمشق.من آباء الكنيسة ومعلميها، حفيد سرجون بن منصور، ألف في اللاهوت والفلسفة والخطابة والتاريخ والالحان الدينية، مهد لعلم اللاهوت في أوربا، من كتبه المنقوله للعربيه "منهل المعرفة".أنظر:المنجد في اللغة والأعلام، دار الشرق، بيروت، ط٢٨، ١٩٨٦،ص ٦٣٣.

(٢) زقزوق،محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مكتبة الشروق الدولية،القاهرة،ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨ م، ص ٢٣.

(٣) تاج، محمد قدور، الاستشراق ماهيته، فلسفته ومناهجه، دار الرواد، مكتبة المجتمع العربي، عمان، ط١، ٢٠١٤م – ١٤٣٥هـ، ص٢٨.

(٤) سعيد، إدوارد، الإستشراق المعرفة – السلطة الإنشائية، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط٨، ٢٠١٠م، ص ٨٠.

كان لفظ المستشرق في القرن التاسع عشر يعني الباحث (المتخصص في الدراسات الصينية أو الإسلامية أو اللغات الهندية الأوروبية) [1].

وبهذا يتبين لنا عدم ربط الاستشراق بالإسلام فقط بل مفهومه أعم إذ يشمل كل ما كان شرق حدود الدول الغربية إلى نهاية العالم جغرافياً، لكن لا يُنكر بأن النصيب الوافر من دراسة الاستشراق هو الشرق الإسلامي كمنافس حضاري.

والرأي الغربى في بداية الاستشراق كما نقله ادورد سعيد هو"الاستشراق، بتحديد دقيق، ميدان من ميادين الدراسة المتفقهة. وفي الغرب المسيحي يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع فينا الكنسي عام ١٣١٢م بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية في العربية، واليونانية، والعبرية، والسريانية في جامعات باريس، وأكسفورد، ويولونيا، وأفينيون، وسلمانكا"[2].

ولابد لنا كقراء لمثل هذا النص أن تستنتج أمرين مهمين في دراسة الاستشراق هما:

١- وجود استشراق رسمي وأنَّ بدايته في مطلع القرن الرابع عشر للميلاد.

٢- أن دراسة الشرق ليست مقتصرة على اللغة العربية أو الدين الإسلامي فقط؛ ممَّا يحتم أن الاستشراق كما سنذكر في أطواره بأنه بدأ قبل الإسلام بما نسميه الطور الأول كما سيأتي.

أطوار الاستشراق ومراحله.

قبل أن أبدأ في ذكر أطوار الاستشراق لابد أن أرسم في ذهن القارئ صورة جغرافية للعالم القديم وذلك قبل اكتشاف القارتين الأمريكيتين، إذ كان العالم مقسوماً إلى قسمين: شرقي وغربي، شرق مزدهر بالعلم والدين والحضارة منذ فجر التاريخ مروراً بكنفوشيوس [3]الصين، والشنتوية[4] اليابانية، والهندوسية [5]والبوذية [6]الهندية، وحضارة العراق، وحدائق بابل، وقانون حامورابي[7]،)، وأديان العالم من يهودية، ونصرانية، وإسلامية في الشام والجزيرة العربية، وأهرامات مصر،

---

(١) سعيد، ادوارد، الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص ١١١-١١٢.

(٢) سعيد، إدوارد، الاستشراق ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط٨،٢٠١٠م،ص ٨٠.

(٣) الكنفوشيوسية:ديانة أهل الصين، ترجع إلى الفيلسوف الحكيم كونفوشيوس، القرن السادس قبل الميلادي، تقوم على عبادة إله السماء وتقديس الملائكة ولها اهتمام بالأخلاق والعادات والتقاليد والاسرة. أنظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الأسلامي،الرياض،ط٢، ١٤٠٩ه ١٩٨٩م، ص ٤١٧.

(٤) الشنتوية: مذهب ديني بدائي ينتشر في اليابان، يقوم على عبادة الإمبراطور وقوى الطبيعة وأرواح الاجداد. أنظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص٣٣٦.

(٥) الهندوسية:ديانة معظم أهل الهند، تشكلت منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد، تهتم بالقيم الروحية والاخلاقية، الويدا اشهر كتبهم، يؤمنون بتناسخ الارواح، أنظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٥٣١ .

(٦)البوذية: ديانة ظهرت في الهند نسبة الى بوذا في القرن الخامس قبل الميلاد، تعنى بالاخلاق والتصوف، وتنبذ الترف، و تنادي بالمحبة والتسامح.أنظر، الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة، ص ١٠٧.

(٧) حامورابي:"شريعة "نصب من الديوريت، اكتشف في شوش١٩٠٢، ونقل الى متحف اللوفر بباريس، في أعلاه أعلاه الملك حامورابي أمام إلاله الشمس، وفي أسفله بالحرف المسماري نص شريعة حامورابي ٢٨٥ بندا، مجموعة إجتهادات تنظم الحياة الإجتماعية. أنظر: المنجد في اللغة والأعلام ص٢٢٥.

وغرب غارق في الوحل، والظلام، والجهل، والاستبداد، والهمجية، وظهر ذلك الفارق بشكل جلي في الحضارة الإسلامية التى استطاعت أن توفق بين حاجات الروح ومتطلبات الجسد – المادة، والدين- مما حدا بالغرب بأن يكثف من دراسته للشرق والتعرف على كل شيء فيه كأهداف وغايات في الغالب تكون مشبوهة، وبعد هذه الصورة الذهنية يمكن أن يقسم الباحث أطوار الاستشراق إلى طورين هما:

١- الطور الأول: ما قبل الإسلام.

إن ميلاد الاستشراق كان في القرن الثامن الميلادي وإن كان في الإمكان أن نعثر على بدايته الأولى عند قدماء اليونان من أمثال هيرودوت(١)، وأسترابون(٢) وغيرهم. ومن أهم الأسباب التي وجهت أنظار الدول الاوروبية إلى جزيرة العرب ما ورد في كتاب هرودوت، مؤرخ القرن الخامس قبل الميلاد، وتييوفراست تلميذ ارسطو(٣)، الذي تحدث حديثاً شيقاً عن طبوب بلاد العرب العرب الشهيرة في كتاب " تاريخ النبات" والجغرافي اليوناني استرابون، في مستهل القرن الأول للميلاد، والمؤرخ الروماني بليني (٤) في القرن الثاني للميلاد الذي وضع لوائح بأسماء القبائل والمدن والقرى الموجودة في وسط الجزيرة العربية(٥).

ولعلي أنبه المطلع على هذا المبحث إلى ما كتبه العقيقي في كتابه "المستشرقون" عن ظاهرة تأثر الحضارة الغربية والغربيين بعلوم الشرق والاستفادة منها، حيث عرض في عدة صفحات عن حضارة سومر(٦)، وأنها أول من عرف المركبات ذات العجلات، وأول من قوم السنة بأثني عشر

(١) هيرودوت: هيرودوتس مؤرخ ورحالة يوناني، زارا العالم المعروف آنذاك لا سيما العراق وفينيقيا ومصر له "تاريخ " وهو من أهم المراجع لمعرفة أخبار الأمم القديمة وأساطيرها. أنظر: المنجد، ص٦٠٦.

(٢) أسترابون:اسطرابون جغرافي يوناني، أشتهر بكتابة "الجغرافية " في جغرافية العالم القديم. أنظر: المنجد.في اللغة والأعلام، ص ٤٥.

(٣) ارسطو:او أرسطاطاليس (٣٨٤-٣٢٢ق.م) مربي الإسكندر، فيلسوف يوناني من كبار مفكري البشرية، اهم مؤلفاته "المقولات " "السياسة" "النفس".أنظر:المنجد في اللغة والأعلام، ص ٣٧.

(٤) بليني: بليس الأكبر من علماء الطبيعة الرومان هلك وهو يراقب البركان فيزوف، له " التاريخ الطبيعي ".أنظر: المنجد.في اللغة والأعلام، ص١٣٧.

(٥) أنظر، السمرة، محمود، غربيون في بلادنا، المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،١٩٦٩م، ص ٩.

(٦) سومر:منطقة في جنوب ما بين النهرين، استوطنها السومريون وهم شعب إيراني الأصل، أوئل الألف٤ق.م. بنوا حضارة قوية واسعة انهى سيادتهم ظهور الشعوب السامية.أنظر: المنجد في اللغة والأعلام،ص٣١٦.

شهراً، وعن الأكاديين [١]والبابليين [٢]وقانون حمورابي ثم يتبعهم الآشوريون [٣]ثم الكلدانيون[٤] إلى أن يقول فأصبحت الحضارة الإيجية [٥]أم الثقافات اليونانية والهليستينية المشتقة منها، وعنها أخذت رومة والعرب فأوروبا[٦].

ثم يعرج على دور مصر وحضارة الفراعنة والهكسوس [٧]فهم أول من وضع التقويم الشمسي، وقواعد الحساب على الأساس العشري ومبادئ الجبر والهندسة كل ذلك أخذته أوروبا عن مصر وكذلك فينيقيا [٨]وقرطاجة [٩]وشمال افريقيا وسوريا[١٠].

وإذن فقد نشأت البذور الأولى للاستشراق قبل الاسلام بعدة قرون، ولكنها كانت في حاجة إلى قوة تنميها وتدفعها إلى الأمام بخطوات حثيثة،ولم تتهيأ لها هذه القوة إلا بظهور الإسلام، واندفاعه نحو الغرب الذي أضطر إلى دراسة الاسلام والبحث فيه وفي كل ما يتعلق به [١١].

٢- الطور الثاني: ما بعد ظهور الإسلام ويمكن تقسيم هذا الطور إلى مرحلتين هما:

المرحلة الأولى: بداية ظهور الإسلام:

يرى أحمد شلبي أن البدايات الأولى للاستشراق كانت مع ظهور الإسلام"في عصر النبوة" وبدأ في المرحلة المدنية، حيث يرون أن الهجرة النبوية إلى المدينة التي كان يسكنها اليهود أدت إلى تحول الصراع بين الإسلام والكفر من صراع عسكري إلى صراع فكري يقوده اليهود في المدينة،

---

(١) الأكاديين:قوم ساميون، ظهرت دولتهم في الفترة (٢٣٦٠-٢١٨٠ق.م) في منطقة أكاد ببلاد الرافدين بين دجلة والفرات وكانت تظم بابل، ولغتهم الأكادية هي أقدم اللغات السامية. أنظر:الميسيري، عبد الوهاب محمد، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق،ط١، ١٩٩٩ م، ج٤، ص٩١.

(٢) البابليين:نسبة الى بابل، خلال الألف ٦ق. م، أزدهر فيها الاقتصاد والزراعة والعلوم تؤمن، ديانتهم بالجن والسحر والخطيئه والحياة وبعد الموت.أنظر:الميسري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،ج٤، ص ٩٤-٩٥.

(٣) الآشوريون:نسبة الى آشور، قبائل سامية، الألف ٣ ق.م، شمال وادي الرافدين، تميز الآشوريون بالحروب والسياسة والفن المعماري للمدن، والمكتبات وفن الكتابة، وإلههم القومي هو آشور وهو خالق الإله والبشر جميعاً.أنظر: الميسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،ج٤، ص ٩١-٩٣.

(٤) الكلدانيون:هم آلآراميون يقيمون في كلده، تقع في جنوب دالتا وادي دجلة والفرات، ظهر فيهم حكماء في مختلف جوانب المعارف والمهن ومعرفة الخسوف والكسوف. أنظر:الميسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،ج٤، ص٩٥.

(٥) الإيجية:شعب سكنوا شواطئ المتوسط الشرقية، الألف ٣ ق.م، أنشأ الحضارة الكريتية والميقينية.أنظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص ٩٢.

(٦) أنظر: العقيقي، المستشرقون، ج١، ص ١١-١٢.

(٧) الهكسوس:جماعة من الآسيويين يرجح أنها كانت سامية الأ صل، ويرجح أن معنى كلمة الهكسوس "الملوك الرعاة" حكموا مصر(١٦٧٥-١٥٧٠ق.م)، وفى عهدهم دخل العبرانيون مصر. أنظر: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية،ج٤،ص ٨٥-٨٦.

(٨) فينيقيا: قديما البلاد الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط (لبنان)وعامة مدنه، وقد تشمل دمشق وحمص وتدمر. أنظر: المنجدفى اللغة والأعلام، ص٤٢٨.

(٩) قرطاجة:مدينة فينيقية قديمة في افريقيا الشمالية أصبحت إمبراطورية قوية نازعت روما في الحروب الفونية، أ طلالها بضاحية تونس. أنظر:المنجد في اللغة والأعلام،ص٤٣٥.

(١٠) أنظر: العقيقي، المستشرقون، ج١،،ص ١٢-٢٥.

(١١) أنظر: سما يلوفتش، احمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة١٤١٨هـ ١٩٩٨م، ص ٧١.

إذ لجأوا إلى تشكيك المسلمين بعقيدتهم وإثارة الشبهات على بعض المسائل العقدية كالقضاء والقدر وخلق الأفعال، وغيرها من أمور الدين[١] وفي هذه المرحلة نرى" من عَدَّ أن الاستشراق هو الاتصال بالعالم الاسلامي جعله يبدأ مع بداية الإسلام، وذلك مع بعثات النبي ﷺ لمن حوله من الأمم لنشر الإسلام، وهكذا لم يحصل الاتفاق في تحديد النشأة الأولى للإستشراق"[٢]. لذا قد تكون بداية الاستشراق الفعلية من خلال المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية: انتشار مساحة الدولة الإسلامية واتساعها:

أ - الاستشراق الفردي: وذلك بعد ظهور الإسلام كدين سماوي وخاتم، وقيام دولة عظمى تمثل هذا الدين الذي يتمتع بميزات لا توجد في غيره من الأديان؛ حيث أنه دين حياة، صالح لكل زمان ومكان، يتفاعل معه أتباعه في جميع شرائعه، يتفاعل معهم ويتفاعلون معه لأسباب ربانية خارجة عن قدرة البشر، فهو المحفوظ بمصادره، الكامل بشرائعه،الرباني بمصدره، الواقعي بتعاليمه "فقد كان الغرب ينظر إلى الإسلام على أنه يمثل خطراً حقيقياً – خطراً عقائدياً وحضارياً وحربياً- على أوروبا المسيحية، فمنذ القرن الأول الهجري "السابع الميلادي" كانت قوة الإسلام المتكاملة "السياسية والحربية والثقافية والروحية" في نمو مطرد وانتشار مستمر، خلال القرون الثلاثة الأولى شمل الفتح الإسلامي مناطق ذات أهمية حيوية تابعة للمسيحية ومنها الشام ومصر والمغرب والأندلس وصقلية وبعض أجزاء فرنسا وامتد إلى شبه القارة الهندية واندونيسيا والصين ولم يكن فتحاً حربياً بل كان حضارياً وعقائدياً حتى تخلى كثير من اتباع المسيحية لصالح الإسلام"[٣].

وفي الأندلس، كانت ثقافة الإسلام مزدهرة، حيث وجد في قرطبة[٤] أكثر من سبع وعشرين مدرسة بما فيها مدرسة للطب، عدا عدد من الكتاتيب،هذا بجانب المكتبات حيث ضمت أحدى مكتباتها أكثر من خمسمئة ألف مجلد[٥] وينقل العقيقي عن بعض المستشرقين أن كل إنسان تقريباً في الاندلس كان يحسن القراءة والكتابة يوم خلت أوروبا ممن يلم بها ما خلا الطبقة العليا من القسيسين[٦].

مما جعل الغربيين يتدفقون لدراسة هذه الحضارة المشرقية بدافع قد يكون دافعاً سلبياً بهدف العداوة أو إيجابياً بهدف الإفادة، مع التأكيد على أن دراستهم كانت بشكل فردي.

---

(١) أنظر: شلبي، أحمد، الاستشراق تاريخه اهدافه، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٩٣م، ص ١٥-١٦. ١٦.

(٢) الشلالي، هدى بنت ناصر، موقف المستشرقين من علم الكلام والاشاعرة عرض ونقد في ضوء منهج أهل السنة والجماعة، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعودالاسلامية بالرياض، ١٤٢٧هـ ١٤٢٨هـ، ص ١٩.

(٣) غراب، أحمد عبد الحميد، رؤية إسلامية للاستشراق، ص ٢٣-٢٤.

(٤) قرطبة:مدينة أندلسية على الوادي الكبير، أسسها الفينيقيون، أحتلها الرومان، وعاصمة الدولة الاموية في الأندلس من أبرز معالمها قصر الزهراء. أنظر:المنجد في اللغة والأعلام، ص٤٣٥.

(٥) أنظر: الجبري، عبد المتعال محمد، الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، ص ١٧٨.

(٦) أنظر: العقيقي، المستشرقون، ج١،ص ٨٩.

" ويبدو أن الاستشراق قد قام في البداية على جهود فردية لم تكن ذات تأثير على مجرى التفكير الغربي، مما أدى إلى عدم اتخاذها نقطة بداية للاستشراق لدى بعض الباحثين"(١).

لذا فإننا نلاحظ من خلال الاستقراء التاريخي، أنَّ حركة الاستشراق بدأت قبل الحروب الصليبية بوقت طويل بجهود ذاتية ومحاولات شخصية، ومبادرات فردية على يد الرهبان والقساوسة الذين يبحثون عن علوم الشرق لا سيما الأندلس(٢).

ب- الاستشراق الرسمي: نجد أن هذه المرحلة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمرحلة التى قبلها إذ يعد الاستشراق الرسمي اثر من آثار الاستشراق الفردي الذي استهوته علوم المسلمين وأخلاقهم وعاداتهم.. فعملت الكنيسة على الحيلولة بين شبابها وبين الاندلس وجامعاتها وعمدت إلى إعداد طائفة من الرهبان لدراسة العلوم الشرقية الاسلامية حتى تجذب الشباب إلى حلقات مماثلة يكون زمامها بيد الكنيسة ويمكن من خلالها تشويه صورة الإسلام(٣).

كما أن هناك من الباحثين من يرى أن الاستشراق يعد نتيجة من نتائج الحروب الصليبية واقتناعهم بعدم هزيمة المسلمين عسكرياً وهم متمسكون بدينهم... فيجب الفصل بين المسلمين ودينهم عن طريق غزوهم فكرياً الذي من مظاهره الاستشراق، لذا تولت الكنيسة هذا العمل وقامت برعايته مما أدى إلى تطور حركة الاستشراق(٤).

"إن دولاً كفرنسا وهولندا وبريطانيا وألمانيا سعت إلى تأسيس كراس للغة العربية أو غيرها من اللغات الشرقية إذ تخرج فيها نفر من المستشرقين الأوائل"(٥). فقد بدأ الاستشراق وجوده الرسمي في أوروبا بقرار المجلس الكنسي في فينا سنة ١٣١٢م،بتأسيس كراس جامعية لدراسة اللغات الشرقية، لا سيما اللغة العربية والعبرية والسوريانية واليونانية في الجامعات الأوروبية مثل جامعات باريس وأكسفورد وبلونيا (٦)وسلامنكيا (٧)"(٨) وفي عهد (شارل الثالث)استقدم رهباناً موارنة من لبنان لتعليم اللغة العربية للإسبان، ومذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادي تدرس العربية رسمياً في كبرى جامعات اسبانيا، تدرس في جامعة "مدريد" وكذا "غرناطة" و"برشلونة"

---

(١) النعيم، عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، ص٢٢.

(٢) أنظر:الزيتي، محمد عبد الرحيم، الاستشراق والمستشرقون رؤية موضوعية، دار اليقين، مصر، ط١، ١٤٣٤-هـ٢٠١٤م، ص٣١.

(٣) أنظر:الجبري، عبد المتعال محمد، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين ، ص٩.

(٤) أنظر: الزيادي، محمد فتح الله، الاستشراق أهدافه ووسائله، دار قتيبة، ط١٤٢٦،١هـ ١٩٩٨م، ص ٢٥.

(٥) ناجي، عبد الجبار، التشيع والاستشراق، المركز الأكاديمي للأبحاث، بغداد، ط١، ٢٠١١م م، ص ٥٠.

(٦) بولونيا :مدينة ايطالية عاصمتة اميليا ،كنائس وأبنية من القرون الوسطى وعصر النهضة .انظر :المنجد في اللغة والاعلام ،ص١٥٠.

(٧) سلامنكيا:مدينة اسبانية بها اقدم جامعة اسبانيا وهي من اربع جامعة ماتزال مفتوحة.انظر:ويكيبيديا، الموسوعة الموسوعة الحرة .

(٨) أنظر: غراب، أحمد، رؤية إسلامية للاستشراق، ص ٢٦.

و"صلمنكه" و"بلنسيه" و"اشبيليه"[١]

وفى ختام هذا المبحث ارى أنه من المفيد التنبه إلى أن هذه المرحلة من الاستشراق الرسمي من الطور الثاني بعد ظهور الإسلام كانت في الغالب بين ثلاث جهات رسمية هى:

١- الكنيسة وهى ما يعرف باللاهوت.

٢- الجامعي التعليمي وهى ما يعرف بالأكاديمي.

٣- الحكومات والدول وهو ما يعرف بالاستعماري أو السياسي.

ج- ازدهار الاستشراق: يبدو أن الاستشراق قد اخذ يزدهر" من بداية القرن الثامن عشر الميلادي إلى القرن العشرين الميلادي، وهذه من أهم المراحل وأخطرها، فظهر مصطلح الاستشراق في قاموس اكسفورد باللغة الإنجليزية عام١٧٧٩م، ووضع في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام١٨٣٨م، وخضع الاستشراق للتنظيم والتخطيط وعقدت له المؤتمرات والندوات وصدرت عنه المجلات والدوريات سواءً في فرنسا أو بريطانيا أو ما يسمى الاستشراق الامريكي أو الاستشراق الشرقي الروسي، وكان بداية التعاون بين الاستشراق والاستعمار"[٢].

وقد اتسمت هذه المرحلة بما يمكن تسميته بالعنف الاستشراقي المتمثلة بدايتة في القرن الثامن عشر بنفس الوقت الذي بدأ فيه الغرب باستعمار العالم الإسلامي ونبوغ عدد من علماء الغرب في الاستشراق وإصدارهم للمجلات وشراء أوسرقة المكتبات الاسلامية العامة وما فيها من نفائس المخطوطات، حيث بلغ عدد ما نقل من أوائل القرن التاسع عشر مئتين وخمسين ألف مجلد وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم[٣].

بمعنى أن من أبرز سماته: ارتباط بعض المستشرقين بالمد الاستعماري والعمل في السلك السياسي.. وكذلك انضمام بعض المستشرقين إلى حركة التنصير وبخاصة في تشويه صورة الإسلام[٤].

---

(١) الجبري، عبد المتعال محمد، الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، ص ١٨٠.

(٢) الشلالي، هدى بنت ناصر، موقف المستشرقين من علم الكلام والأشاعرة، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة الإمام الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ص٢٦-٢٧.

(٣) أنظر: السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق،المكتب الاسلامي،دط، دت ،ص١٩.

(٤) أنظر: د.الزيني، محمد عبد الرحيم، الاستشراق والمستشرقون رؤية موضوعية، ص٥٩.

ولأهمية هذه المرحلة من هذا الطور نذكر السمات الرئيسة التي أدت إلى ازدهار الحركة الاستشراقية وتطورها من أهمها:

١- تخلص الحركة الاستشراقية من جانب كبير من سيطرة علماء اللاهوت، وظهور الاستشراق العلماني(١).

٢- تحالف الثالوث الخطير:"الاستعماروالتبشير والاستشراق" في خدمة أغراض بعضهم البعض وهي الأغراض الغربية، سواء بسواء ومن أي منطلق كان الهدف ووجدت المصلحة(٢).

٣- تحالف ثالوث آخر لتطوير علم الاستشراق ودراسة الشرق واستشرافه فتجد تحالفا بين اللاهوت، "الكنيسة" والأكاديمي"الجامعي "والسياسة "الدولة الاستعمارية" مما أعطى الاستشراق زخماً واندفاعاً قوياً نحو تحقيق جل أهدافه.

٤- اتساع الثورة الصناعية وحاجتها إلى أسواق جديدة مع المحافظة على توفير المواد الأولية و التطور السريع الذي طرأ على الدراسات الإنسانية ومن بينها التاريخ، ووجود صراع بين العلوم التطبيقية، والإنسانية،ونشوب الحرب العالمية الثانية ونتائج مخلفاتها(٣).

المطلب الثالث: دوافع الاستشراق واهدافه.

في البداية لابد أن أوضح أن الدوافع والآهداف ستكون حول الاستشراق من الطور الثاني وهو بعد ظهور الإسلام وبيان أن هناك فرقا بين الدافع والهدف، لذلك لابد من ذكر الدافع الذى حدا بالمستشرق إلى دراسة الشرق، وما هي أهدافه التى يتوصل إليها من كل دافع حيث يقول الباحث رياض العمري: لا شك أنَّ الأُمر ليس أمراً عادياً أو من قبيل المصادفة؛ فاتجاه الغربيين لدراسة الشرق وإقامة مؤسسات ضخمة والاستعانة بباحثين بذلوا أعمارهم وأموالهم لدراسة عالم ومجتمع ولغة وعقيدة مغايرة تماماً لكل ما عرفوه. كل ذلك لاشك أن يكون وراءه دوافع وأهداف(٤)، نلخصها بما يلي:

الدافع الديني وأهدافه:

لعل من يسأل لماذا الاستهلال بالدافع الديني ؟ فيمكن القول:إن السبب المباشر والرئيس للاستشراق هو الدين والدين المقابل، حيث شكل الدين للغرب عامل فشل رئيس على جميع الأصعدة سواء الحكم أو الحرب أو العلم أو الاقتصاد أو المجتمع.. بينما في المقابل نجاح الدين

---

(١) أنظر: د.زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مكتبة الشروق الدولية، ص٤٠.

(٢) أنظر: د.ناجي، عبد الجبار، الاستشراق في التاريخ، ص١٦٠-١٦١.

(٣) د.ناجي، عبد الجبار، الاستشراق في التاريخ، ص ١٥١.

(٤) أنظر: العمرى، رياض بن حمد، مناهج المستشرقين وموقفهم من النبي، عرض ونقد في ضوء العقيدة الاسلامية، رسالة دكتوراة لم تنشر مقدمة لجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض،١٤٣٣هـ-١٤٣٤هـ، ص ٥٠.

الآخر -الإسلام - ونهضته الحضارية مما دعى الغرب لدراسة الاسلام ومعرفة مصدر قوته وقوة تفاعله مع الحياة ومع اتباعه،وظهر ذلك جلياً من خلال احتكاك الغرب بالمسلمين في الاندلس وفي الحروب الصليبية... وذلك كما مر معنا في أطوار الاستشراق حيث إن أول من بدأ بالاستشراق هم من رجال الدين المسيحي ثم بعد ذلك تم رعايته من قبل الكنيسة وبشكل رسمي وأن دراسة الاستشراق لم تنفك عن اللاهوت إلا في وقت متأخر،ولذا يرى الزيادي أن معظم نتاج المستشرقين تركز حول الإسلام وعقائده، ومصدريه القرآن والسنة،ونبيه ﷺ ومواضيع الفقه، وكلها اخذت الاهتمام الأكبر من الدوائر الاستشراقية (١).

والسبب الرئيس في ذلك كما أرى هو ما قرره إدوارد سعيد بقوله: " إن الإسلام بقي إلى الأبد الفكرة (أو النمط) التى حملها المستشرق للصفاقة الثقافية الاصلية التى زادها حدة بشكل طبيعي الخوف من أن الحضاره الإسلامية في الأصل (والواقع المعاصر كذلك) استمرت تقف بشكل ما معارضة للغرب المسيحي"(٢).

إن هذا التعبير عن الحضارة الإسلامية المنبثقة عن الدين الإسلامي والتي من أبرز خصائصها الثبات وعدم التغير، عُدَّ ذلك في نظر المستشرق من الصفاقه وعدم قبول الآخر " وقد يعود ذلك إلى أنه كان قد بدأ يصبح واضحاً لبعض المراقبين أن الاستشراق السامي والاستشراق الإسلامي لم يكونا قد حررا نفسيهما الا إلى درجة ضئيلة جداً من أسار الخلفية الدينية التى اشتقا منها اصلاً"(٣).

وقد عَدَّ المستشرق " ولفر كانتول سميث" في كتابه " الاسلام في التاريخ الحديث": أن محمداً ﷺ هو التحدى الحقيقي للحضارة الغربية، الذى واجهته في تاريخها كله، وكم كان حقيقياً وخطيراً(٤)، " وليس هذا فحسب فقد كان الفكر والفلسفة والثقافة الاسلامية أرفع درجات من مثيلاتها في أوروبا ولهذا شكلت تهديداً خطراً على آراء الكنيسة حول طبيعة المسيح وعبادة الصور"(٥).

ومن أبرز أهداف الدافع الديني:

١- "محاربة الإسلام والبحث عن نقاط ضعف فيه، وإبرازها، والزعم بأنه دين مأخوذ من المسيحية واليهودية، والانتقاص من قيمه والحط من قدر نبيه محمد ﷺ.

٢- حماية المسيحيين من خطره بحجب حقائقه عنهم، واطلاعهم على مافيه من نقائص مزعومة، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.

---

(١) أنظر: الزيادي،محمد فتح الله، الاستشراق اهدافه ووسائله، ص ٣٦.
(٢) سعيد، ادوارد الاستشراق،ترجمة كمال أبوديب، ص ٢٦٤.
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٦٥.
(٤) أنظر: قطب، محمد، المستشرقون والاسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، ص ٣١.
(٥) فوزي، فاروق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان،ط١، ١٩٩٨م،ص ٣٢.

٣- التبشير وتنصير المسلمين"[١].

٤- تشكيك المسلمين بالإسلام وردهم عنه يقول أحد المستشرقين: إذا استطعنا أن نعيد المنشقين (النسا طره) إلى حظيرتنا، وأن نحول التتار إلى المسيحية، فإن جميع المسلمين يمكن أن يقضي عليهم بسهولة، ولكن أشد ما يثير الخوف هو أن يتحول التتار إلى الإسلام، عندها سيكون العالم المسيحي كله في خطر عظيم[٢].

الدافع العلمي وأهدافه:

الإسلام فوق الزمان والمكان. من حيث هو مبادئ لا يتوقف اعتباره على مكان معين ولا على جيل من البشر... الاسلام بما اشتمل عليه من مبدأ (الحركه) يعيش مع الإنسان المتحرك، وفي العالم المتغير المتطور. فهو لا يؤرم بالصليبية ولا الماركسية[٣]،.... لانه عندئذ لا يقبل الفناء، فخلود الإسلام في رسالته[٤].

إن شريعة كهذه لابد أن تُدرس دراسة علمية عميقه للتعرف على جميع جوانبها وذلك بالعلم الذي هو وسيلة لمعرفة الحق من الباطل، كما تقول الباحثه سيرين : وكذلك المستشرقون لدراستهم الشرق من دوافعهم الصبغة العلمية البحته ودراسة علوم الشرق بدافع الرغبة العلمية البحته لما رأوا من تطور العلوم عند المسلمين مما كان له الأثر في النهضة العلمية الأوربية وكانت من نتيجته الرغبة العلمية الصادقة والثناء على الإسلام ونبيه محمد ﷺ، بل تعدى الأمر إلى دخول بعض المستشرقين الإسلام [٥] إذ لا شك أن هناك قلة قليلة من المستشرقين الذين اقبلوا على دراسة العلوم العربية والاسلامية بدافع علمي محض بغيته الاستفادة وهم قليلو الخطأ إذا ما قيسوا بجمهرة المستشرقين[٦]،ومنهم المستشرق النمساوي اليهودي الأصل (ليوبولدفايس)الشهير بعد أسلامه (بمحمد أسد) [٧]كما أن من أهداف الدافع العلمي ماهو مشبوه يقوم على محورية الغرب وتفوقه عرقياً ودينياً وحضارياً وعلمياً وعكسه فرعية الشرق ودونيته عرقياً ودينياً وحضارياً وعلمياً.. واتخذت العلم والبحث العلمي المزعوم حصان طروادة في ذلك كله يقول سمايلوفتش:أما الاتجاه

---

(١) زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفيه الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة ،دط،١٩٩٧م، ص٧٥.

(٢) أنظر: غراب، احمد، رؤية إسلامية للاستشراق، ص ٢٧-٢٦.

(٣) الماركسية:نسبة الى كارل ماركس(١٨١٨-١٨٨٣) فيلسوف إجتماعي ألماني حرر البيان الشيوعي له "رأس المال"وهو دستور الماركسة والنظام الشيوعي، وهي لا تؤمن بوجود إله وترى أن الحياة مادة. أنظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص ٥١١.

(٤) أنظر: البهي، محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ص ٣٩٠.

(٥) أنظر: عاليه، سيرين عبد الرحمن سالم، موقف المستشرق البريطاني جيمس روبسون من الكتب الستة، رسالة ماجستير لم تنشر مقدمة للجامعة الاردنية، ٢٠١٠م ص ٣٣.

(٦) أنظر: بن يار محمد، شمس العالم، الاستشراق والمستشرقون، رسالة ماجيستير، ص ١٥.

(٧) جريدة الرياض ،العدد ١٤٠٨٠، ٢٢ محرم ١٤٣٩هـ.

العلمـي فلا نكـاد نصـادفه إلا فـي الحقب الأخيـرة، وإن ظهـرت بدايتـه بـين الحـين والآخـر، إذ كانـت الكنيسة تسيطر على الاستشراق وتتعقب عناصره العلمية، وبعد انفصاله عنها سيطرت عليه النزعة الاستعمارية وسخرته لخدمة أهدافها[١] اذ اتخذت من دراسة تراث الإسلام وحضـارته ومخطوطاتـه وتاريخه وفلسفته وشتى علومه من قبل المستشرقين وبذلت في ذلك جهودا جبـارة نـتج عنهـا جهـوداً مضنية في تأليف الكتب والموسوعات... كل ذلك يعضد القول بـأن ذلك هو أثر علمـي يدل دلالـة واضحة على فاعلية الحضارة الإسلامية [٢].

"كما بدا تخلص معظم المستشرقين مع بداية القرن التاسع عشر من الآراء القديمة والأفكار المسبقة وغلبة الهوى عندما ابصروا حضارة سامقة قائمة بذاتها فاجتهدوا في الموضوعية وتنقية الاستشراق من التعصب وحقد القرون الوسطى والميل الاستعماري إلى أن بلغ درجة النضج الفكرى، والحيدة العلمية، والحس النقدي" [٣].

وأخيراً أنبه إلى قول السباعي:أن هذا النفر القليل من المستشرقين برغم أن أهدافهم أهداف علمية خالصة لا يقصد منها إلا البحث والتمحيص، وهم قليلو العدد ولم يسلموا من الأخطاء بسبب جهلهم باللغة، أو بتصورات المجتمع، مع عدم الأخذ بالفروق الطبيعية والنفسية والزمنية[٤].

الدافع الاستعماري وأهدافه:

"قدم المستشرقون خدمات جليلة للقوى الأوربية المحتلة، وسمحوا لأنفسهم أن يجيروا المعرفة لتخدم السلطة، وبحسب تعبير"زكاري لوكمان" الاستشراق كمشروع فكري، كان مرتبطاً بطرق مهمة بالاستعمار الأوروبي المعاصر، وإن نوع المعرفة الذى كان الاستشراق كفرع بحثي يميل لانتاجه، قد استعمل كثيراً لإضفاء الشرعية على ممارسة السلطة الأوربية على العالم الاسلامي وتدعيمها " وهذه العلاقة الوطيدة بين الاحتلال والاستشراق واجهت نقداً شديداً في وقت لاحق، من داخل الدوائر الاستشراقية وخارجها "[٥].

إن المعرفة الاستشراقية خدمت بما لايدع مجالا للشك القوة الاستعمارية حتى أصبح الاستشراق من أهم روافد الاستعمار التي لم يكن يستطيع الاستغناء عنها كما ذكر إدوارد سعيد: فا التصور عند بلفور وكرومر في بداية القرن العشرين لم يكن ليتوفر لها لولا وجود تراث استشراقي اقدم زودهم

---

(١) أنظر: سمايلوفتش، احمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر،دار الفكر العربي،القاهره،دط ،١٤١٨هـ ١٩٨٩م، ص ٩٦.
(٢) أنظر: ناجي، عبد الجبار، الاستشراق في التاريخ، ص ٣٧-٣٨.
(٣) الزيني، محمد عبد العظيم، الاستشراق والمستشرقون، ص ٩٢.
(٤) أنظر: السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص ٣١-٣٢.
(٥) الوهيبي، عبد الله بن عبد الرحمن، حول الاستشراق الجديد مقدمات أولية، البيان مركز البحوث والدراسات، الرياض،دط ١، ١٤٣٥هـ، ص ٣٨.

بتلك المفردات والصور، فإن الاستشراق قد زود الغرب وهو يسيطر بالمعرفة الاكيدة، ذلك أن مرحلة التقدم الضخم في مؤسسات الاستشراق تواكبت تماماً مع مرحلة التوسع الأوروبي[١].

"وقد استطاع الاستعمار أن يجند طائفة من المستشرقين لخدمته وتحقيق أهدافه... ومن الأمثلة على ذلك المستشرق (كارل هينريش بيكر) ت١٩٣٢م، حيث خدمت دراساته الاستعمار الألماني في افريقيا "[٢]. ولا يكتفي بذلك كما قال الفيومي:إن الاستشراق يقوم بهجوم ثقافي بديلاً عن الاستعمار في هجومه المسلح، بهدف التأثير على المجتمع المسلم وأصابته بعوامل التفسخ والإنحلال، وإذا كان الاستعمار يستخدم السرعة والمفاجأة فإن الاستشراق يعتمد الهدوء والتدرج والتهيئة، والايهام بأن التراث الإسلامي هو اساطير وخرافات[٣]، كما يشرح المستشرقون مبدأ الاسلام في " عدم قبول ولاية الأجنبي" بعدم التعاون مع الشعوب الأخرى، وأما " الجهاد" فهو الاعتداء والغدر صبغ بصبغة الدين [٤] مع التركيز على فرقة جماعة المسلمين عرقياً أو مذهبياً أو طائفياً، وفصل الدين الإسلامي عن الحياة الخ.. لذا تكونت صلة قوية بين كل من الاستشراق و الاستعمار فدليل الاستعمار هو التراث الاستشراقي الذي ساهم في استعمار الغرب للشرق،فكان للمعرفة الاستشراقية قيمتها في ذلك حيث يقول إدوارد سعيد: "إن المعرفة بالعروق المحكومة أو الشرقيين هى التي تجعل حكمهم سهلاً ومجدياً، فالمعرفة تمنح القوة، ومزيد من القوة يتطلب مزيداً من المعرفة"[٥].حيث تتضح تلك المساهمات للمعلومات الاستشراقية في مساندة الاستعمار جلياً من خلال قراءة سير كثير من المستشرقين.

الدافع السياسي وأهدافه:

نجد بعض الكّتاب قد وضع الدافع الاستعماري والسياسي دافعا واحدا ولم يفرق بينهما وإن كتب عن الدافع الاستعماري أدخل معه الدافع السياسي أو العكس، ولم يتنبه لما بينهما من فرق لذا ينبغي التفريق بينهما،إذ أن الاستعمار بشكله القديم- الاحتلال العسكري - قد فشل فشلاً ذريعاً،وأضحى نقيض هدفه الرئيس وهو السيطره على الموارد الاقتصادية فأصبح هدراً لموارد المستعمر واقتصاده لذلك استبدله بالاستعمار السياسي الذي كان الاستشراق فيه مشاركا فاعلا،وإذا عدنا إلى التفريق نجده واضحاً عند بعض مفكري المسلمين حيث "لم يكن البعد السياسي للاستشراق بعداً ثانوياً بل مثل أمراً جوهرياً انعكس في الثقافة، والبحث، والمؤسسات فقد امتدت الثقافة لتغطي المجالات كافة...، ومن هنا برز الاستشراق كإرادة فهم عالم الشرق، والسيطرة عليه،

(١) أنظر: إدوارد سعيد،ترجمة كمال ابو ديب،الاستشراق، ص ٧٢.
(٢) زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية،مكتبة الشروق الدولية ، ص ٤٧.
(٣) أنظر: الفيومي، محمد إبراهيم، الاستشراق رسالة استعمارالغربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣م ١٤١٣هـ، ص١٠٩.
(٤) أنظر: البهي، محمد، الفكر الأسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٤٧-٤٨.
(٥) إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال ابو ديب،ص ٦٨.

ولذلك فإن البعد السياسي – الثقافي للاستشراق جعله أقل ارتباطاً بالشرق منه بالعالم الغربي"[١].

ولا تزال سياسات الدول الغربية تعتمد بشكل أساسي على رؤية المستشرقين ممن لديهم باع طويل في رسم السياسة بما يضمن ديمومة مصالح الدول الغربية وفرض السيطرة السياسية على العالم الإسلامي،وتكمن اهمية هذا الاستشراق وخطورته أن المتزعم له اليوم في العالم الامبراطورية الأمريكية التى خضعت في حقبة ما من تاريخها إلى استعمار انجلو فرنسي وقد خرجت إلى العالم بشعار مناهضة الاستعمار والاستبداد، بشعار استبدل سطوة الاستعمار العسكري بالهيمنة السياسية وسلب الإرادة الذي يتبعه سلب كل شيء من التابع لصالح المتبوع " ثمة طبعاً مؤسسة لدراسات الشرق الأوسط،حوض من المصالح، شبكة من..." الخبراء " تربط بين شركات الأعمال، والمؤسسات، وشركات النفط، والإرساليات، والمؤسسة العسكرية، والسلك الخارجي، ومجتمع الاستخبارات وبين العالم الجامعي. ثمة منح ومكافآت أخرى، ثمة منظمات، ثمة تركيبات سلالية، ثمة معاهد، ومراكز، وكليات، ودوائر، مكرسة جميعاً لشرعنة السلطة التى تتمتع بها حفنة من الأفكار الأساسية، اللا متغيرة أساسا حول الإسلام والشرق، والغرب، والاحتفاظ بها وتعزيزها"[٢].

إن هذا التوصيف الدقيق النفيس لم يصدر عن مفكر إسلامي إنما هو من شخصية فكرية ذات جذور مسيحية اعتنقت فيما بعد الإلحاد ومع ذلك بينت وأنصفت ولم تكتف بذلك بل استرسلت بأنه باق ومسيطر ومنتشر وفعال من خلال:"لا أن الحقل " موحد ومتناغم " بل أنه معقد ومتشابك، أنه يضم مستشرقين من الطراز العتيق، ومختصين هامشيين عمداً، ومختصين بمحاربة العصيان والشغب، وصانعين للسياسة، إضافة إلى " أقلية ضئيلة..... من سماسرة القوة الجامعيين". وفي كل حال، فإن لباب المذهبيات الاستشراقية باق بالحاح"[٣].

وامل من كل محب للمعرفة ومحب للحقيقة أن يطلع على" المرحلة الأخيرة" من كتاب الاستشراق لأدوارد سعيد ومن أبرز أهداف هذا الدافع:

١- اعتماد الدول التابعة في أمنها الغذائي على الغرب.

٢- اعتماد دول العالم الإسلامي لحماية نفسها على الغربيين.

٣- تشويه صورة الجهاد والمجاهدين إذ أن روح الجهاد من أخطر المخاطر فهي لا تعتمد قوة مادية بل على عقيدة وإيمان... فأي خطر وأي كارثة أن يتصدى نفر من المسلمين اليوم للجهاد.

٤- استبدال أحكام الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية مع فصل الدين عن الدولة.

---

(١) الجابري، صلاح ،الاستشراق قراة نقدية، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢٣.
(٢) إدوارد سعيد، الاستشراق،ترجمة كمال أبو ديب او، ص ٣٠٠.
(٣) إدوارد سعيد،الاستشراق،ترجمة كمال أبوديب،ص ٣٠٠.

٥- الهزيمة النفسية للمسلمين وإصابتهم بالإحباط الشديد في جميع جوانبهم الحياتية مع استحالة الإصلاح. [١]

٦- إذكاء روح الاختلاف بين المسلمين مذهبياً وطائفياً من خلال إبرازها[٢].

الدافع الاقتصادي وأهدافه:

كما أن الغرب فقير في الأديان والأخلاق والمبادئ، فكذلك هو بالنسبة للموارد الاقتصادية إذا ما قيس بالشرق المتخم بالموارد الطبيعية، من أجل ذلك سخر الغرب كل إمكانياته من أجل الحصول على تلك الموارد واستخدم لذلك " الاستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق، واستبنائه، وامتلاك السيادة عليه"[٣] وكان هناك عدد من "الاكادميين تواقين الى تقديم مهاراتهم مقابل الحصول على تمويل لإجراء بحوث لها آثار واضحة على سياسة الولايات المتحدة في العالم الثالث"[٤].

ويتضح من خلال ما نقلناه أن الدافع قد يكون رسمياً ومؤسساتياً بهدف الاستيلاء على الأسواق والمؤسسات المالية والموارد الطبيعية بثمن بخس، وذلك عن طريق الاهتمام بالدراسات الاستشراقية لصالح دول أو مؤسسات وظهر ايضا خلافهم فريق من الباحثين العلميين اهتم بالدراسات الاستشراقية بشكل فردى من أجل نشر كتب التراث الاسلامي والاستفادة من نشرها في تحصيل عوائد مالية كبيرة [٥].

(١) أنظر: قطب، محمد ، المستشرقون والإسلام، ص ٦٥-٦٦.
(٢) انظر:البهي،محمد،الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي،ص ٢٨.
(٣) إدوارد سعيد، الاستشراق،ترجمة كمال أبو ديب، ص ٣٩.
(٤) لوكمان، زكارى، تاريخ الاستشراق وسياساته ،ص ٢٣٧.
(٥) أنظر: الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكه، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، ص ١٣٠.

المبحث الثاني

نشأة الاستشراق الألماني، وخصائصه وأبرز رجاله

المطلب الأول: نشأة الاستشراق الألماني:

إن اتصال ألمانيا بالمشرق يعود إلى زمن الإمبراطور الألماني شارلمان[١] وذلك إن صحت تلك الروايات التى لم توجد في المصادر العربية ووجدت في المصادر الغربية التي تشير إلى: " أن الرويات الكنسية الأوربية أعطت المراسلات المتبادلة بين شارلمان والرشيد[٢] حيزاً أكبر من حجمها الحقيقي بكثير، ودليل ذلك أن الروايات العربية والتى أشتهر عنها أنها لا تغفل شيئاً لم تذكر هذه المراسلات"[٣].

وقد تتبع الباحث كثيراً من المراجع العربية فلم يجد فيها ما يعزز الروايات الغربية باتصال شارلمان بهارون الرشيد؛ فعلى سبيل المثال البداية والنهاية لابن كثير والكامل لابن الأثير[٤] تتبعت فيهما سيرة الخليفة العباسى هارون الرشيد فلم أجد ما يدل على الاتصال بينه وبين شارلمان إلا أنّ الزركلي ذكرأن بينهما اتصال وأنهما قد تبادلا الهدايا[٥]، وبعض المصادر الغربية - كدائرة المعارف الإسلامية التى ذكرت تبادل الشعارات بين هارون الرشيد وشارلمان[٦].

كما أن بروكلمان ذكر تلك العلاقة حيث أشار إلى أن المصادر العربية لم تذكرها ورجح أن بعض التجار الشرقيين قد انتحلوا عند شارلمان صفة السفراء الناطقين باسم الخليفة من غير تفويض[٧]، كما أن بعض المفكرين المعاصرين يذكرون اتصال هارون الرشيد بشارلمان بصيغة التضعيف وعدم الجزم،حيث يقول ميشال جحا:" ترجع صلة المانيا بالعالم العربي إلى القرن الثاني

---

(١) شارلمان:الكبير(٧٤٢-٨١٤)ملك الإفرنج وإمبراطور الغرب، .مؤسس السلالة الكارولية، نشر المسيحية، أقام علاقات تجارية مع الشرق.أنظر:المنجد في اللغة والأعلام، ص٣٢٧.

(٢) هارون الرشيد:(١٤٩-١٩٣هـ) ابن المهدي بن ابي جعفر المنصور خامس خليفه عباسي غزى القسطنطينية واخذ منها الجزية.أنظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملاين، بيروت، ط ٧، ١٩٨٦ م، ج٨، ص٦٢.

(٣) الجنابي، أمجد يونس، آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض ط١، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، ص ٥٩.

(٤) أنظر: ابن كثير،أبو الفداء أسماعيل ،البداية والنهاية،تحقيق علي شيري،دارإحياءالتراث الإسلامي ،بيروت ،ط١ ،١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ،ج٩ -١٠، ص ١٧١ – ٣٤٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٦،دت ، ج٥، ص ٨٢ – ١٣٤.

(٥) أنظر:الزركلي،خير الدين،الاعلام،ج ٨،ص ٦٢.

(٦) أنظر: دائرة المعارف الإسلامية،مركز الشارقة للابداع الفكري،ط١، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، ج٢٦، ص ٨١٠٦.

(٧) أنظر: بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ١٧١.

عشر أي: إلى زمن الحروب الصليبية، ويقال إن العلاقة نشأت قبل ذلك بين الأمبراطور شارلمان وهارون الرشيد، وأنهما تبادلا الهدايا والسفراء"[(١)].

إذ أن ميشال جحا جزم ببداية الاستشراق الألماني بالقرن الثاني عشر الميلادي إبان الحروب الصليبية متوافقا مع ما ذكره العقيقي في كتابة المستشرقون حيث قال: "يرجع اتصال المانيا بالشرق إلى الحملة الصليبية الثانية (١١٤٧ – ١١٤٩) وعودة حجاجها من الأراضي المقدسة ووصفهم لها ونقلهم شيئاً من حضارتها، وقيام الرهبان بالترجمة عن العربية بالأندلس وفيهم الألمان"[(٢)].

ولا يجب أن نغفل هنا ما ذكره صلاح الدين المنجد من أن أول محاولة في ألمانيا لتدريس اللغة العربية كانت من قبل كريستمان المتوفى سنة ١٦١٣م، فقد ألف كتيباً لتعليم كتابة الحروف العربية، لكن الرائد الأول الذي وقف حياته كلها على دراسة اللغة العربية والحضارة الإسلامية هو رايسكه المتوفى سنة ١٧٧٤م، وتتابع بعد ذلك المستشرقون حتى القرن التاسع عشر وهو عصر ازدهار وإنتاج خصب للإستشراق الألماني[(٣)] لكن يبدو أن الاستشراق الالماني قد بدأ ابكر من ذلك نسبياً مع مع عدم اعتراف العلماء الالمان بذلك إذ إن ألبرت الكبير (١١٩٣ – ١٢٨٠) أول ألماني تعلم اللغة العربية، وعني بدراستها، وتعرف على فلسفة أرسطو عن طريق اللغة العربية، وجمع كل مخطوطات أرسطو والمباحث الموضوعة في كتب التفاسير البيزنطية واليهودية والعربية...الخ [(٤)].
[(٤)].

المطلب الثاني: خصائص الاستشراق الألماني:

تتبين صلة اللاهوت بدراسة الشرق لدى الألمان حيث اعتمد في دراسة التوراة على اللغة العبرية ثم العربية وصلة هاتين اللغتين بالتوراة واشتغال علماء اللاهوت بترجمة الكتاب المقدس إلى العربية، وقبل ذلك مكن توصية بعض المستشرقين بضرورة دراسة قواعد اللغة العربية، وتأسيس كرسي للغة العربية، وتعليم الطب والفلسفة من المصادر العربية [(٥)]

وبعد هذا التوصيف الموجز أذكر خصائص الاستشراق الالماني بما يأتي:

١- المدرسة الاستشراقية الألمانية: هى الأهم على صعيد المدارس الاستشراقية حيث إن من خصائصها غزارة الانتاج في شتى أنواع المعارف حتى " إن مجموع ما نشره الألمان وحدهم يفوق

---

(١) ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ،معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١،١٩٨٢م، ص ١٨٥.
(٢) العقيقي ، المستشرقون ،ج٢، ص ٦٧٨.
(٣) المنجد، صلاح الدين، المستشرقون الالمان تراجمهم وما اسهموا به في الدراسات العربية، دار الكتاب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ج١، ص ٧.
(٤) أنظر: يحي مراد، معجم اسماء المستشرقين،دار الكتب العلمية ،بيروت ،دط ، ٢٠٠٤م ،ص٥٠–٥١.
(٥) أنظر: يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق نقله عن الألمانية: عمر العالم، مطبعة السفير، عمان، د ط، د ت ،ص٥٥–٥٧.

ما نشره المستشرقون الفرنسيون والانكليز معاً"[١] كما " لا ننكر مساهمات المدرسة الألمانية في نشر الثقافة الإسلامية، وبيان الحضارة العربية وذلك لما نشرت من نصوص قديمة ساعدت على نشر آلاف من أمهات الكتب العربية والإسلامية، وجعلها ميسرة للمثقفين الغربيين، كما كانت مجهوداتها لا تنسى في مجال فهرسة المخطوطات العربية، وقيامها بتصنيف العديد من المعاجم العربية [٢]

٢- المستشرق الألماني: هو الأعلى كعباً والأغزر انتاجاً بين أقرانه من المستشرقين من المدارس الأخرى وذلك من حيث الدقة ومن حيث العدد فمثلاً المستشرق وستنفلد (F.Wustenfeld). نشر ما يعجز مجمع علمي عن نشره[٣] فالمستشرق الألماني جاد صبور صاحب منهج صارم فقد تستغرق بعض أعمالهم عقوداً فمثلاً المستشرق بروكلمان الذي قضى خمسين سنة من عمرة في جمع ودراسة ومتابعة كتابة "تاريخ الادب العربي " وكذلك المستشرق نولدكة وكتابة "تاريخ القران"الذي عالج فية موضوع نشوء القران بمنهجية غير مسبوقة بحيث يعتبر واضع أسس البحث العلمي للدراسات القرانيه [٤].

٣- مكتبات الاستشراق الألماني بوجه خاص ومكتبات ألمانيا بوجه عام: فهي تعتبر من أغني مكتبات العالم بالمخطوطات والمصادر العربية والاسلامية " ففي المانيا سبعة الآلاف مكتبة ملحقة بالبلديات، واحد عشر آلفا تابعة للكنائس، وتعد مكتبة برلين الوطنية، ومكتبات جامعات، جوتنجين، وهايد لبرج، وما ينس من أغنى المكتبات بالمخطوطات الشرقية ولاسيما العربية " [٥].

٤- التركيز والاهتمام بالتراث العربي والإسلامي القديم مع فهرسة المخطوطات العربية والإسلامية كالمعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، والحديث النبوي، مع الاهتمام بالمعاجم العربية[٦]. والعناية بالقرآن الكريم طباعة وترجمة إذ يعد القرآن الكريم من أكثر ما ركز عليه المستشرقون عامة والألمان على نحو خاص[٧]

فالطبعة الأولى للقرآن الكريم المضبوطه بالشكل والتي حَرَّم نشرها وطباعتها البابا في أوربا مرتين كانت طباعتها على يد المستشرق الألماني أبراهام هنكلمان (Abraham Henkelman) – ١٦٩٤م وكانت الطبعة باللغة العربية [٨].

---

(١) المنجد، المستشرقون الألمان، ج١، ص ٨.
(٢) الحاج، د. ساسى سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ج١، ص ١٣٦.
(٣ المنجد، المستشرقون الالمان، ج١، ص ٨.
(٤) أنظر: الحاج، ساسي سالم ،نقد الخطاب الاستشراقي، ج١، ص ١٣٣.
(٥) العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص ٦٨١.
(٦) أنظر:المنجد، المستشرقون الالمان، ج١، ص ٧ – ١١.
(٧) أنظر:الجنابي، آثار الاستشراق الالماني في الدراسات القرآنية، ص ١٣٥.
(٨) أنظر:الجنابي، آثار الاستشراق الالماني في الدراسات القرآنية ص ١٣٨.

كما أن المستشرقين الألمان عنوا بنشر نسخ نادرة للقرآن الكريم حتى بلغ بأحد هؤلاء المستشرقين أن جاء إلى القاهرة واستمع إلى مقرئ للقرآن، ودون انغامه بالنوطة[١].

وفيما يخص ترجمة معاني القرآن الكريم فقد ذكر بني عامر نقلا عن د. زقزوق قيام المستشرقين الألمان بالعديد من الترجمات للقرآن الكريم إلى اللغة الألمانية وغيرها منذ أمد بعيد حتى بلغ عدد هذه الترجمات بحدود ١٤ ترجمة[٢]، ولإحاطة القارئ فقد فصل بني عامر في ذلك واسترسل مما يبين اهتمام الاستشراق الالماني بالقرآن الكريم طباعة وترجمة ودارسة إلخ..

٥- كثير من الباحثين في مجال الاستشراق يرون أن الحوار والجدل في موضوع الاستشراق لا يتسم بالموضوعية والعمق ولكن الاستشراق الالماني يختلف عن ذلك فهو يتسم بالموضوعية والعمق ونبذ صفة العداء والكراهية وتحييد الأهداف الاستعمارية والتنصيرية والسياسية ولكني أرى أن هذا الرأي بعمومه ليس فيه دقة؛ فالقوم ليسوا من صنف واحد من جهة، ومن جهة أخرى تعامل كل مستشرق مع كل قضية يختلف من حين لآخر فقد يوفق في واحدة، ويخفق في أخرى وهو هو ذاته المستشرق، وما أجمل كلام العقيقي في الاستشراق الالماني وهو العارف والخبير عندما قال:" نظرت ألمانيا إلى الشرق بالمنظار الذي نظر به الغرب قاطبة الى الشرق جميعا.وسعت إليه وعلى يد مليكها شارة الصليب، ودخلته من النافذة نفسها التي عثرت عليها اوروبا، بيد أن مطامحها فية كانت أقل حماسة،فأقل ثمرة.وهذا الفتور في الاستعمار الالماني يعود الى انهماك المانيا في تنظيم سياستها الداخلية والخارجية، وبينها وبين الدول التي تجاورها دماء وثارات "[٣]

وعلى أن العقيقي لم يغفل أن ينبه بصدق ما يتناوله المستشرقون الألمان في البحث من الدقة في المعنى والمبنى، حتى اشتهروا بتعمقهم في جميع العلوم[٤]، مع غزارة العلوم التى وجدها الالمان في الشرق.

المطلب الثالث: أشهر رجال الاستشراق الالماني:

١- " البير الكبير: ١٢٠٦-١٢٨٠ " A.le Grand " الماني المولد ، بدأ في مدرسة باودى، ثم أنظم الى الدومينكان ،ومنها قصد ديركولوني، ثم قدم باريس فدرس اللغة العربية، وصار له صيت بتدريس الفلسفة، ثم رشح اسقفاً وبعدها انقطع للتأليف بالفلسفة، فتوفر على فلسفة الفارابي[٥]،وابن سيناء[١]، الغزالي [٢]، واستعان بشروح ابن رشد[٣]، وألف كتاباً كبيراً طبع بعنوان: تفاصيل في الفلسفة وقضايا فلسفية ولاهوتية١٤٧٣م[٤].

---

(١) أنظر: المنجد، المستشرقون الالمان، ج١، ص ٩.

(٢) أنظر: بنى عامر، أحمد أمين، المستشرقون والقرآن الكريم، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد،ط١، ٢٠٠٤م،ص ٢٠٠٤م،ص ٣٩٢.

(٣) العقيقي، نجيب، مستشرقون، بيروت، د ط،١٩٣٧م، ص ١٢٩.

(٤) أنظر: المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٥) الفارابي:محمد بن محمد ابو نصر الفارابي، أكبر فلاسفة المسلمين، من أصل تركي مستعرب تنقل بين بغداد ومصر والشام، ولد ٢٦٠ هـ، وتوفي ٣٣٩ هـ، وترك نحو مئة كتاب.أنظر:الزركلي، الأعلام، ج٧، ص٢٠.

٢- يوهان يعقوب رايسكه (١٧١٦ – ١٧٧٤) ولد في قرية تسودبج حيث درس في ميتم فيها وتعلم اللغة اللاتينية واليونانية والعربية دون معلم[٥]، رفض دراسة اللغة العربية من منطلق لاهوتي، كما رفض أن يتهم رسول الله بالكذب ودينه بخراقة مضحكة، كما رفض أن يقسم تاريخ العالم إلى قسمين مقدس ودنيوى، حتى اتهم بالزندقة فعاش حياته فقيراً ومستبعداً عن العمل في التعليم، توفي بالسل في ١٤ آب ١٧٧٤م ولم يبلغ عامة الثاني والخمسين[٦].

٣- يوليوس فيلهاوزن (١٨٤٤-١٩١٨) ولد بمدينة هاملن حيث كان أبوه قسيساً فيها،وقد اهتم المستشرق "يوليوس فيلهاوزن "بدراسة التاريخ الإسلامي والفرق الإسلامية والادب والشعر العربي، كما تعمق بدراسة الأناجيل والتوراة وتاريخ بني إسرائيل وصفه نولدكه بالعبقرية[٧]، كما قام بدراسة اللاهوت لنقد التوراة ثم تخرج باللغات الشرقية من جوتنجين فهو من أشهر تلاميذها[٨].

٤- تيودور نولدكه (١٨٣٦-١٩٣٠) ولد في مدينة هامبورج في شهر آذار، من أسرة واسعة الانتشار في شمال غربي المانيا،وكان أبوه عميداً للمعهد الثانوي، وقد أنكب المستشرق " تيودور نولدكه "على دراسة العبرية بمفرده كما درس الفارسية والتركية والسنسكريتية[٩]، بالإضافة إلى اللغة العربية والسامية والإيرانية والتركية والحبشية والآرامية كما اتقن الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والإيطالية و اشتهر بمتانة الخلق وسعة المعرفة ووضوح التفكير، كما التزم في مصنفاته اسلوباً علمياً يقوم على المنطق[١٠].

---

(١) ابن سيناء: الحسين بن عبدالله بن سينا أبو علي الفيلسوف الرئيس صاحب التصانيف في الطب والمنطق والآلهيات، ولد في بخارى ٣٧٠ وتوفي ٤٢٨.أنظر: الزركلي، الأعلام، ج٢، ص٢٤١-٢٤٢.

(٢) الغزالي: محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ابو حامد، فيلسوف متصوف ولد ٤٥٠ هـ، وتوفي ٥٠٥هـ بخرسان، وترك نحو مئتي مصنف.أنظر: الزركلي، الاعلام، ج٧، ص٢٢-٢٣.

(٣) ابن رشد: محمد بن أحمد بن رشد الاندلسي، ابو الوليد، فيلسوف من أهل قرطبة،ولد ٥٢٠ هـ، وتوفي ٥٩٥ هـ، وترك نحو خمسين مصنف.أنظر: الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٣١٨.

(٤) أنظر: يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص ١٥٢ – ١٥٣.

(٥) أنظر: يحي مراد، معجم اسماء المستشرقين، ص ٥٧٦-٥٨٧.

(٦) أنظر: صلاح الدين المنجد، المستشرقون الالمان، ص ١٨ – ٢٥.

(٧) أنظر: المنجد، المستشرقون الألمان، ص ١٠٧ – ١١٣.

(٨) أنظر: يحي مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص ٧٩٧.

(٩) أنظر: المنجد، المستشرقون الالمان، ص ١١٥.

(١٠) أنظر: العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص ٧٣٨ – ٧٣٩.

المبحث الثالث

ترجمة كارل بروكلمان وتعريف الكتب الثلاثة المستهدفة بالدراسة

المطلب الأول: ترجمة بروكلمان

كارل بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦) Carl Brok lmmann [(١)].

أ- مولده ونشأته:

ولد كارل بروكلمن في ١٧ سبتمبر ١٨٦٨ في مدينة روستوك (Rostock)، وكان أبوه تاجراً، وأمه كما قال عنها بروكلمان نفسه:أنها سيدة موهوبة روحيا ومنها ورثت ميولي العلمية، وبدا ميله إلى الدراسات الشرقية في دراسته الثانوية، كما درس العربية،واتقن العبرية كما اشتغل باللغة الآرامية والسريانية وهو لا يزال طالباً في الثانوي [(٢)].

"وتخرج باللغات السامية على أعلام المستشرقين ومنهم نولدكه، ونبغ فيها وطارت له شهره في فقه العربية وقراءاتها قراءة فصيحة وكتابتها كتابة سليمة، وفي التاريخ الإسلامي، وتاريخ الأدب العربي، حتى عد أماماً من أئمتها وعين أستاذاً لها في الجامعات "[(٣)].

ب- الجامعات والمعاهد التى دَرَسَ فيها:

- المدرسة الثانوية في روستوك.
- جامعة روستوك عام ١٨٨٦م.
- جامعة برسلاو عام ١٨٨٧م.
- جامعة اشترا سبورج ومنها نال درجة الدكتورة في الفلسفة سنة ١٨٩١م[(٤)].

جـ- الجامعات والمعاهد التى دَرَّسَ فيها:

- جامعة برسلاو (١٨٩٣ – ١٩٠٣)، (١٩٢١-١٩٣٧)
- جامعة كونسبرج (١٩٠٣ – ١٩٠٩)
- جامعة هالة (١٩٠٩ – ١٩٢٠) (١٩٣٧ – ١٩٤٧)
- جامعة برلين (١٩٢٠ – ١٩٢١)

وقد انتخب عضواً في مجامع برلين، وليبزيج، وبودابشت، وبون، ودمشق، وجمعيات آسيوية كثيرة[(٥)].

---

(١) العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص ٧٧٧.
(٢) أنظر: د. عبد الرحمن بدوى، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ص ٩٨.
(٣) العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص ٧٧٧-٧٧٨.
(٤) أنظر: بدوى، موسوعة المستشرقين، ص ٩٨ – ٩٩.
(٥) أنظر: العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص ٧٧٨.

د- جولاته العلمية:

- اسطنبول (١٨٩٥–١٨٩٦) موفداً من أكاديمية العلوم ببرلين لنقل مخطوط "الطبقات" الذى ألفه ابن سعد، كما قام بزيارة أخرى عام (١٩٢٩) من أجل الاطلاع على المخطوطات.

- الجزائر (١٩٠٥) مندوباً في مؤتمر المستشرقين [١].

هـ- آثاره العلمية:

في مثل هذه الترجمة يصعب حصر آثار بروكلمان العلمية فهو كما قال العقيقي: "أشتهر بنشاطه وغزارة انتاجه الذى اتصف بالموضوعية والعمق والشمول ، مما جعله مرجعاً للمصنفين في التاريخ الإسلامي والأدب العربي، إذ قل منهم من لم يستند إليه أو يتوكا عليه في مصنفاته"[٢]، مع أنه يجب التنويه إلى ما كتبه شوقي أبو خليل في معارضته للعقيقي في ثنائه على بروكلمان بأنه كتب ما يرضي الكنيسة وما يضمن له العمل في جامعات المانيا بخلاف المستشرق رايسكه[٣].وسنوضح للقارئ أبرز الملاحظات على بروكلمان من خلال التعريف بكتابه الموسوم (تاريخ الشعوب الإسلامية)

فمن أجل ذلك أذكر طريقة العيساوي في إلقاء الضوء على آثار بروكلمان العلمية الغزيرة فقد قسمها إلى ثلاثة أقسام هي:

١- دراسات عربية وإسلامية ومنها: العلاقة بين كتاب الكامل لابن الأثير وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري، وتحقيق كتاب عيون الاخبار، وطوق الحمامة، وأنساب الأشراف.

٢- دراسات في اللغات السامية ومنها بحوث في علم الأصوات للغات الآشورية والعبرية، كما وضع معجماً للغة السريانية.

٣- دراسات في اللغات والفنون ومنها، تاريخ الأدب العربي، وتاريخ الشعوب الإسلامية[٤].

٤- أسهامه في دراسات مشتركة ومنها دائرة المعارف الإسلامية، حيث شارك بمقالات في بعض أجزائها وذلك بكتابة تراجم بعض الإعلام[٥].

و- تقاعده ووفاته:

في صيف ١٩٥٣م تقاعد بروكلمان للمرة الثانية، ومع ذلك واصل التدريس وفي أثناء قداس ليلة عيد الميلاد في ديسمبر ١٩٥٤م أصيب بنزلة برد وكانت وخيمة على صحته ولم يستطع أن

---

(١) أنظر: العيساوي، افتراءات المستشرق بروكلمان على التاريخ العربي الإسلامي، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان، ط١،١٤٣٥هـ ٢٠٠٤ م ،ص٨٨.
(٢) أنظر: العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص ٧٧٨.
(٣) أنظر: شوقي أبو خليل، كارل بروكلمان في الميزان،دار الفكر،دمشق ،ط١،١٤٠٨هـ ١٩٨٧م ، ص ٥ – ٧.
(٤) أنظر: العيساوي، افتراءات المستشرق بروكلمان على التاريخ، العربي الإسلامي، ص ٩٢.
(٥) أنظر: العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص ٧٨٢.

يتخلص من مضاعفاتها، ومع هذا واصل عطاءه العلمي محاطاً برعاية زوجته الثانية وأحد تلامذته حتى وافته المنية في السادس من مايو عام ١٩٥٦م(١).

المطلب الثاني: تعريف الكتب الثلاثة

{تاريخ الشعوب الإسلامية، وتاريخ الأدب العربي،ودائرة المعارف الإسلامية)

أولاً: تاريخ الشعوب الإسلامية:

أخرج بروكلمان كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية للناس سنة ١٩٣٩م، وترجمه للعربية (نبيه أمين، ومنير بعلبكي) وطبع عدة مرات، الأولى عام ١٩٤٨م، والثانية عام ١٩٥٣م، والثالثة عام ١٩٦٠م، والرابعة عام ١٩٦٥م، والخامسة عام ١٩٦٨م، وهى طبعة دار العلم للملايين – بيروت، في مجلد واحد يقع في (٨٩١ صفحة)(٢). مع إحاطة القارئ أن الطبعة المستهدفة بهذه الأطروحة هى لدار العلم للملايين الطبعة الأولى عام ٢٠١٢م.

"وقد قسم بروكلمان كتابة تاريخ الشعوب الإسلامية إلى خمسة أبواب:

١- العرب والأمبرطورية العربية: (وينتظم تاريخ العرب منذ أقدم العصور حتى سقوط الأمويين).

٢- الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها،(وينتظم الخلافة العباسية، ونشوء الدويلات المستقلة، والإسلام في الأندلس وشمال إفريقية، والحروب الصليبية، ودولة المماليك).

٣- الأتراك العثمانيين. (ويشمل التاريخ العثماني حتى مطلع القرن التاسع عشر، والحضارة العثمانية، والصراع العثماني الفارسي).

٤- الإسلام في القرن التاسع عشر (يدرس العلاقات بين الامبراطورية العثمانية ومصر، والحياة الفكرية، وأحوال شمالي إفريقية، والسودان، وإيران، وافغانستان).

٥- الدولة الإسلامية بعد الحرب العالمية (ويبحث في التاريخ الحديث لكل من تركية ومصر، وبلاد العرب، وسورية، ولبنان، وفلسطين، وشرقي الأردن، والعراق، وإيران، وافغانستان)"(٣).

"وهذا الكتاب يعطي صورة شاملة لتاريخ الشعوب الإسلامية كلها منذ بداية الإسلام حتى ١٩٣٩م دون مناقشات للمشاكل العديدة المتصلة بهذا التاريخ، معتمداً على يوليوس فلهاوزن وليوني كيتاني فيما يتعلق بتاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، وعلى بارتولد ومينورسكي فيما يتصل بتاريخ آسيا الوسطى، وعلى P.Witek فيما يتعلق بالدولة العثمانية"(٤).

---

(١) أنظر: صلاح الدين المنجد، المستشرقون الالمان، ص ١٦٢، بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ١٠٥.
(٢) أنظر: العيساوي، افتراءات المستشرق بروكلمان على التاريخ العربي الإسلامي، ص ٩٤.
(٣) بروكلمان، مقدمة تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين ومنير بعلبكى، دار العلوم للملايين، بيروت، ط١، ٢٠١٢م، ص ٧ – ٨.
(٤) بدوى، موسوعة المستشرقين، ص ١٠٤.

وخلاصة كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية نجد أن بروكلمان من خلال بعض آرائه سعى إلى تقديم صورة غير حقيقية عن رسول الله ﷺ بنفيه صفة الرسالة ونزول الوحي، كما حاول تقرير أن الإسلام منبثق عن اليهودية والنصرانية،كما شكك بالسنة النبوية وحذر منها، وأن الآخرة أخذها محمد ﷺ من المصادر اليهودية[١] وقد استنكر د.العيساوي انتشار هذا الكتاب، وترجمته لعدة لغات، وطبعه عدة طبعات وذلك لعدم دقة المعلومات الموجودة فيه، وأنه لا جديد فيه، فالصحيح ليس بجديد؟ والجديد ليس بصحيح فهو طعن في عقيدة الإسلام، وتهكم بنبيه ﷺ وأن سبب شهرة الكتاب الدوائر الاستعمارية، والمدارس التبشيرية[٢].

وأنوه من خلال اطلاعي على كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية أنه أغفل الأخذ من المصادر العربية والإسلامية واكتفى بالمصادر الغربية،وهذا خلل في البحث العلمي وقصور في الدقة والموضوعية. ومع ذلك فإنه لا يمتنع أن أورد أعتذار المشرف على ترجمة كتاب تاريخ الأدب العربى د.حجازى عن بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية بقوله: ورغم أن الكتابة التاريخية من الموضوعات التي تبدو منها وجهة النظر الفردية للباحث، فما زال كتاب بروكلمان في تاريخ الشعوب الإسلامية لدقته وموضوعيته النسبية ذا مكانة بين كل المتخصصين في الدراسات الشرقية.وينبغي ألا نغمط حقة لأنه لا يقول بالتعاليم الإسلامية،وبروكلمان من الموضوعية الممكنة قدر كبير،غير أننا نأخذ علية القول بمسلمات أوروبية حول الإسلام والرسول الكريم، وكان من الضروري أن يعلق عليها في الترجمة"[٣].

ثانياً: تاريخ الأدب العربي

كتاب تاريخ الأدب العربي لبروكلمان هو كتاب يدرس المخطوطات العربية، وقد درس فيه مؤلفة التراث العربي من عصر الجاهلية وحتى صدور كتابه.وقد قام بهذا العمل الضخم بمفردة،وهو لم يدرس الأدب بفهومه الضيق بل درس فيه الأعلام من مؤلفي العلوم الإسلامية في سائر العلوم والمعارف.وهو مرجع لايستغنى عنة في الدرسات العربية والاسلامية ،ولم يعر المؤلف مؤلفات اليهود والنصارى العرب أي اهتمام يذكر بالرغم من دخولهم في دائرة التاريخ كونهم عرباً.ولم يكن هذا الكتاب مجرد عمل فهرسي خالص للعلوم المختلفة بل بيَّن فيه رأيه وميوله ونزعته الدينية والمذهبية. وقد تم تقسيمه الى ثمانية عشر جزءاً وتعريبه. [٤].

(١) أنظر: الجنابي، آثار الاستشراق الالماني في الدراسات القرآنية، ص ٣٢٩ – ٣٣٠.
(٢) أنظر: العيساوي، افتراءات المستشرق بروكلمان على التاريخ العربي والإسلامي، ص ١٠٩٥.
(٣) بروكلمان، كارل، تاريخ الادب العربي، مقدمة د. محمود فهمي حجازي.الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، ١٩٩٣م ، ج١، ص٢٢.
(٤) انظر :زقزوق ،محمود حمدي ،الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،ص٦٣-٦٤.

ثالثاً: دائرة المعارف الإسلامية

هي موسوعة معرفية ألفها مجموعة من المستشرقين، وهي تعنى بكل ما يتصل بالحضارة الإسلامية من الناحية الدينية والثقافية والعلمية والسياسية والجغرافية والأدبية، بما في لك العصر السابق للإسلام، وقد تم إصدارها على طبعتين: الأولى: عام ١٩١٣م، والثانية: عام ١٩٥٤م.

وقد تم تعريبها في مصر ثم ترجمت بعد ذلك لأكثر من لغة، وقد صدرت منها طبعة جديدة في الشارقة عام ٢٠١٥م.وقد صدرت بالإنكليزية والفرنسية والألمانية بإدارة جماعة من كبار المستشرقين(١)

ومما يجب ذكره أن الباحث قد تتبع مقالات بروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية فلم يجد فيها ما يخص العقائد، وقد كانت مقالاته فيها منصبة على الترجمة للأعلام.

وكذلك فقد تتبع الباحث مقالات بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي فلم يجد فيه مما يخص العقيدة إلا النزر اليسير وهي موجودة في كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية، لذا كان البحث منصباً على كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية دون ذينك الكتابين.

---

(١) انظر :المنجد في اللغة والأعلام ،دار المشرق ،بيروت ،ط٢٨ ، ١٩٨٦م ،ص ٢٤٠.

الفصل الأول

مقالات بروكلمان في الدين

تمهيد

المبحث الأول: مقالات بروكلمان في الدين عند العرب:

المطلب الأول: مقالات بروكلمان في الدين والاصنام عند العرب.

المطلب الثاني: مقالات بروكلمان في اليهودية - النصرانية - أديان أخرى.

المبحث الثاني: مقالات بروكلمان في الكعبة والحجر الأسود:

المطلب الاول: مقالات بروكلمان في الكعبة.

المطلب الثاني: مقالات بروكلمان في الحجر الأسود.

الفصل الأول

مقالات بروكلمان في الدين

تمهيد:

في بداية هذا المبحث عن الدين أرى من الأهمية بمكان الإشارة إلى بعض النقاط المهمة التي من خلالها نتبين أهمية هذا المبحث وتشعب جوانبه.

إن البحث في تاريخ الأديان عند علماء الغرب وفلاسفتهم قد أخذ حيزا لا يستهان به، مقارنة بما عند المسلمين في العصر الحديث. وعلى الرغم من ذلك، إلا أن "المنهج الذى سار فيه دارسو تاريخ الأديان في الغرب يتسم بنقص شديد، ومن أبرز عوامل هذا النقص تجريدهم ماهية الدين من الألوهية، وبذلك جُردت من أخص صفاتها ومن محورها" (١). ولم يكن المستشرق الألماني كارل بروكلمان بمعزل عن ذلك بصفته مستشرقاً وعالماً غربياً وفيلسوفاً، حيث "نال درجة الدكتوراة فى الفلسفة من جامعة (ستراتسبورج) سنة ١٨٩١م " (٢).

ومن هذا المنطلق نجد أن هؤلاء القوم قد طرحوا كثيراً من القضايا التي تخص هذا الجانب، وأهمها ما يأتي:

- هل كانت الأرض معمورة من بشر غير سلالة آدم عليه السلام أم أن أول من سكنها هو آدم عليه السلام، ومن جاء من ذريته، "لن يعلم أحد على وجه الحقيقة ما حدث ذات يوم منذ ما يقارب مائة ألف سنة، في "جبل القفزة"، قرب مدينة الناصرة(٣). الفلسطينية حالياً، لا شك أن المشهد كان مثيراً. لقد وقع مواراة جثتين فى خندق،.. كانت لامرأة فى العشرين من عمرها ومعها طفل فى طقس جنائزي هو الأقدم"(٤).

فهذا الطرح يدعونا إلى التساؤل: هل نحن في الأصل متدينون أم ماديون؟

"إننا نعاين اللحظات الأولى من تدين الإنسان، من خلال المقابر التى تعود إلى مائة ألف من السنين، وقد عبّر هذا التدين عن نفسه بطقوس ذات دلالة، تتجاوز مجرد الانفعال... إن طريقة الدفن تعبر عن الإيمان بحياة بعد الموت "(٥).

---

(١) مقدمة الشيخ أحمد مصطفى لكتاب د. دراز، محمد عبد الله، الدين، دار القلم، الكويت، ط٣، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص١٣.

(٢) العيساوي، محمود خلف جراد، افتراءات المستشرق بروكلمان على التاريخ العربى الإسلامي، ص ٨٨.

(٣) مدينة الناصرة:مدينة المسيح علية السلام، شمال فلسطين، وفيها كنيسة القديسة مريم، وفي العصر الحديث مركز تجاري ومن أكبر المدن العربية في إسرائيل.أنظر: دائرة المعارف الإسلامية، ج ٣١، ص ٩٨٧٢-٩٨٧٤.

(٤) لو نوار، فريدريك، المصنف الوجيز فى تاريخ الأديان، ترجمة، محمد الحداد، دار سيناترا، دط،٢٠١٢م، ص١٧.

(٥) لو نوار، فريدريك، المصنف الوجيز فى تاريخ الأديان، ص١٨.

وينقل دراز عن هنرى برجسون أنه لم توجد جماعة بغير ديانة[١]. "فالذى لا مجال للمكابرة فيه أن كل أطوار الإنسان التي مر بها خلال تاريخه منذ أقدم الهمجية إلى أحدث المدنية ما فتئ تصور العبادة ملازما له"[٢].

وهذا هو مذهب أستاذنا الكبير د. محمد الخطيب الذي يرفض فكرة أن الأديان مستحدثة، وأعراضاً طارئة على البشرية، بل التدين ظاهرة عامة، يشترك فيها الناس جميعاً، وأنه موجود منذ بدء الخليقة[٣].

وهنا ننطلق إلى تساؤل آخر، ضمن هذا التسلسل المنطقي فى طرح الإشكاليات التي يراها هؤلاء العلماء والفلاسفة من أمثال بروكلمان، وهو: إن أثبتنا أن الأصل في البشرية هو الدين، وليس المادية، فلنا أن نتساءل: هل كان التوحيد هو الأصل أم الوثنية؟

مما لا شك فيه أن المسلم يعتقد أن الأصل في البشرية هو التوحيد، منطلقا من أن أبا البشر وأصلهم آدم عليه السلام كان نبيا موحدا، كما قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم:٣٠).

"لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره"[٤].

ومن قال إن الأصل الوثنية، فإن ذلك ناتج عن القول بأن أصل حياة الإنسان الهمجية والبدائية والتخلف، وهو بخلاف المنهج القرآني الذي يثبت "أن أهلية الانسان للثقافة والعلم متركزة فيه منذ بدايته في الوجود، ولا أدل على أنه يُرشد إلى توفرها فيه من هذه الآية الكريمة، وهي قوله سبحانه ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (سورة البقرة:

---

(١) دراز، الدين، ص١٢٨.

(٢) المودودى، أبو الأعلى، مفاهيم إسلامية، مؤسسة اقرا للنشر والتوزيع، جدة، ط ١، ١٤١١هـ، ص٩.

(٣) أنظر: الخطيب، محمد أحمد، مقارنة الأديان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط٣، ٢٠١٤م١٤٣٥ هـ، ص٢٩- ٣٠.

(٤) ابن كثيرالدمشقي،أبي الفداء إسماعيل ،تفسير القرآن العظيم،دار إحياء الكتب العربية ،مصر ،دط ،دت ، ٤٣٢/٣.

٣١: ٣٣). بل إن القرآن جعل الإنسان الأول خاضعا لقواعد القانون، تُوجّه إليه الأوامر والنواهي"[١].

فديانة التوحيد لدى البشر، أعترف بها "ويلهالم شميت"[٢]، فقد أكد أن ديانة الإنسان الأولى كانت توحيدية، ورأى أن البشر قد عرفوا الإله منذ البداية"[٣].

"هذه هي نظرية "فطرية التوحيد وأصالته"، التي انتصر لها جمهور من علماء الأجناس، وعلماء الإنسان، وعلماء النفس، ومن أشهر مشاهيرهم لانج lang الذي أثبت "وجود عقيدة الإله الأعلى" عند القبائل في أستراليا وأفريقيا وأمريكا، ومنهم "شريدرSheroeder". الذي أثبتها عند بعض الأجناس القديمة، وبروكلمان Brockelman الذي وجدها عند الساميين قبل الإسلام"[٤]

(١) الصقلي، محمد بن حماد، الدين والنبوة وحاجة البشر إليهما، هذه سبيلي، مجلة متخصصة يصدرها المعهد العالي للدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العدد الخامس، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص٩٩.

(٢) عالم لسانيات ألماني، ومبشر كاثوليكي، ١٨٦٨م- ١٩٤٥م.

(٣) لو نار، فريدريك، المصنف الوجيز في تاريخ الأديان، ص٢٧.

(٤) دراز، محمد عبد الله، ص١٨٨.

المبحث الأول

مقالات بروكلمان في الدين عند العرب

المطلب الاول: مقالات بروكلمان في الدين والاصنام عند العرب:عرض ونقد.

أولاً: عرض المقالة الأولى: الدين عند العرب،عرض ونقد:

أ-عرض المقالة الأولى:

يقول المستشرق كارل بروكلمان عن الحياة الدينية عند العرب "وكانت الحياة الدينية عند العرب كحياتهم السياسية، فى مستوى بدائي إلى أبعد الحدود. فلقد اعتقد العرب "الجاهليون[١]" كغيرهم من الشعوب ذات الثقافة الدنيا أن الطبيعة من حولهم مشحونة بقوى أعظم من قوى الإنسان، ولكن بالإمكان تسخيرها لخدمته بطرائق خاصة.حتى إذا ارتقى المستوى الديني عند العرب بعض الشيء تمثلوا هذه القوى روحاً بشرية، ذات طاقات خطيرة، فأصبحت في عرفهم شياطين. والواقع أن الساميين[٢]اعتبروا الأشجار والكهوف، والينابيع، والحجارة العراض على الخصوص مأهولة بالأرواح.ومن هنا قدس العرب القدماء ضروباً من الحجارة في سلع وغيرها من بلاد العرب، كما يقدس المسلمون الحجر الأسود القائم في زاوية الكعبة في مكة"[٣].

ب- نقد المقالة الأولى:

يعتمد المستشرق بروكلمان في مقالته على أن الدين عند العرب بدائي، وأنه ناشئ عن تسخير الطبيعة، والتأثر بها وبقدرتها.

وبهاتين المقدمتين يصل بروكلمان إلى نتيجة: أن الأصل في العرب هو الوثنية الدينية، ولكي يتم نقض هذه المقالة؛ يمكن العودة إلى باب من أبواب علم المنطق، وهو باب المغالطات، ويسمى مغالطات الاستنباط المادية، "التي يرجع الغلط فيها إلى كذب واحدة من مقدمات الاستدلال، أو أكثر. والواقع أن معرفة كذب أو صدق مقدمة أو قضية ما يرجع فيه إلى العلماء المتخصصين في العلم الذي تنتمى إليه المقدمة، فإذا كانت المقدمة تتضمن معلومة فى التاريخ فعلماء التاريخ يخبروننا بصدقها أو كذبها... وهكذا يخبرنا العلماء المختصون كلٌ فى حقل اختصاصه بصدق أو بكذب المقدمات المستخدمة فى الاستدلالات"[٤].

---

(١)الجاهليون نسبة إلى الجاهلية العربية:حقبت تاريخ العرب قبل الإسلام وتشمل حضارتهم ودينهم وشعرهم.أنظر:المنجد في اللغة والأعلام، ص ١٩٦.

(٢)الساميين: نسبة إلى سام بن نوح الأبن الأكبر وهى مجموعة شعوب عاشت في شبه الجزيرة العربية والشام وبلاد الرافدين.أنظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، جـ٤، ص٨٩.

(٣) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٣، ٢٤.

(٤) أحمد، عزمي طه السيد، مدخل إلى علم المنطق، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٥م، ص٢٤٨.

فبروكلمان هنا وضع مقدمتين هما: البدائية والطبيعية في الدين عند العرب، وتوصل من خلالهما إلى نتيجة هي: أن الأصل في دين العرب هو الوثنية الناتجة عن تقديس الطبيعة.

ونحن لا نعرف ما هو المنهج العلمي الذى اعتمده بروكلمان في إثبات وثنية العرب وبدائية الدين.إذ لو عرضنا هذه المقدمات على مصادر التراث الإسلامي، نجدها مخالفة لما قال، إذ إنها تثبت أن الأصل في الدين عند العرب هو التوحيد كما جاء عن رسول الله ﷺ: فعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: إن أول من سيب السوائب، وعبد الأصنام(١) أبو خزاعة عمرو بن عامر(٢)، وإني رأيته يجر أمعاءه في النار"(٣).

وقد كانوا يعرفون الله الواحد، ويشهدون بخلقه السموات والأرض، وتدبيره أمور الخلق.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (سورة العنكبوت ٦١:٦٣).

وقد ذكر القرآن الكريم شركهم، حتى إذا وقعوا في الضوائق، لم يسألوا غيره تعالى، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ (سورة الإسراء: ٦٧).أخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة في قوله (دعوا الله مخلصين له الدين) قال: إذا مسهم الضر في البحر أخلصوا له الدعاء (٤)، وهذا الإخلاص في الدعاء كان قبل الإسلام.

أما القول ببدائية الدين، فالرد عليه من خلال ما ذكره ابن كثير. في كتابه البداية والنهاية حيث قال: "واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام- غيره، فعبدوا الأوثان(٥)، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم ﷺ يتمسكون بها،

---

(١) الأصنام: إذا كان معمول من خشب أو ذهب أو من فضة على صورة إنسان فهو صنم.أنظر: الكلبي، أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب، كتاب الاصنام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١١م، ص٨٣.

(٢)أبو خزاعة:عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي، أول من غير دين إسماعيل ودعا العرب الى عبادة الأوثان، أنظر: الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٨٤.

(٣) مسند أحمد بن حنبل - ومن مسند بني هاشم - مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه – حديث رقم ٤٢٥٨، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٩٢/٧. وقال محققه: صحيح لغيره. وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع، حديث رقم ٢٠٢٤.

(٤) أنظر: ياسين، حكمت بشير، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، دار المآثر، المدينة المنورة، السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ١٩٩٩م، ١١/٣.

(٥) الأوثان:هو الصنم من الحجارة.أنظر: الكلبي، كتاب الاصنام، ص٨٣.

من تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف على عرفات، والمزدلفة، وهدي البدن، والإهلال بالحج والعمرة "(١).

فبعد هذا يتبين لنا خطأ المقدمتين اللتين ساقهما بروكلمان: ببدائية الدين عند العرب، والوثنية المطلقة.وفي مثل هذه الحالة لاشك أن النتيجة تكون خاطئة،بل غير صحيحة.

ونحن هنا قد أصبنا أمرين، هما: إبطال صحة مقالة بروكلمان عن الوثنية والبدائية عند العرب في الدين، وأثبتنا أن الأصل في العرب دين التوحيد، وأنه دين لم يكن ساذجاً أو بدائياً، وإنما تم تحريفه، وإدخال عبادة الأوثان والأحجار فيه تباعا، ولم يكن كما زعم بروكلمان استباقاً.

وأخيراً فإنه كان يجب على بروكلمان قبل إسقاط المذهب الكوني، أو الطبيعي في التدين على العرب، كان عليه أن يثبت أمورا منها: صحة هذه النظرية، بأن الأصل في الدين ناتج عن نظر الإنسان للطبيعة والكون. ثم إذا سلمنا بذلك، كيف يتسنى أن ينكر الأنبياء الذين أرسلهم الله بدعوة التوحيد إلى العرب، بشتى أضربها؟!وهل سيقول بأن الكعبة بنتها الريح من خلال تسلطها على الجبال الشاهقة، أم إنها بنيت بيد أنبياء الله، ومن أجل تعظيم الله.

وهل يستطيع بروكلمان أن ينفى أن التراث العربي يثبت أنهم كانوا ينظرون إلى الكون نظرة إعجاب، وليس نظرة رهبة ورعبٍ.

وأخيراً، العجب من بروكلمان، فهو عندما يتحدث عن الساميين يرى أن الأصل فيهم عقيدة الإله الأعلى، إذ هو من أنصار هذه النظرية. أما إذا كان الحديث عن العرب، فهم الساذجون البدائيون الوثنيون ابتداءً.

ونرجع إلى مقولة بروكلمان "ومن هنا قدّس العرب القدماء ضروباً من الحجارة في سلع، وغيرها من بلاد العرب، كما يقدس المسلمون الحجر الأسود "(٢).

فى هذه المقالة مغالطة أخرى تسمى في علم المنطق مغالطة اللجوء إلى اجتزاء الحقيقة، وذلك "حين نذكر جزءاً من الحقيقة حول موضوع ما، أو جزءاً من المقدمات، ونترك الأجزاء الأخرى، وكذلك إذا كنا نصف جانباً من شيء ما، ونترك وصف الجوانب الأخرى، في كل هذه الأحوال، وما يشبهها يكون ذلك مغالطة، فهذا معنى اجتزاء الحقيقة"(٣).

فهنا بروكلمان لم يبين لنا ما هي سلع هنا. هل هو جبل سلع في المدينة النبوية؟ أم القرية التي في الأردن؟ أم سلع جبل بديار هذيل؟ ولم يقتصر فقط على عدم تحديد المكان الجغرافي، بل تعداه إلى الاقتصار فقط على تقديس الحجارة، ولم يذكر شيئا عن عبادتهم الأخرى، أو منشئها، فهو كمن

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، ٢٣٧/٢.
(٢) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٩.
(٣) أحمد، عزمي طه السيد، مدخل إلى علم المنطق، ص٢٧١.

أفتى بعدم جواز الصلاة مستشهدا بقوله تعالى: ﴿ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (النساء:٤٣)، ونسي أن يكمل قوله جل وعلا ﴿ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء:٤٣). فالنهي هنا ليس عن عموم الصلاة، وإنما النهي عن كون الواحد في حالة سكر لا يعقل ما يقول. ثم لو سلمنا لبروكلمان بهذا عن أهل سلع، فما هو باقي مصير العرب الآخرين؟! سواءً في مكة أو اليمن أو غيرهما من بلاد العرب؟

إن تعميم حكم الجزء على الكل مغالطة أخرى، لا يقع فيها صغار الباحثين، ناهيك عن باحث مثل بروكلمان، إلا أن يكون للرجل مآرب أخرى قد تتضح من خلال باقي مقالاته، فمقالات هؤلاء المستشرقين، ينقض بعضها بعضا، فهم يحركون دفة السفينة لكي تبحر حيثما كانت شواطؤهم.

"ويبلغ الخيال أشده بهؤلاء المؤرخين الأوربيين، حين يزعمون أن قريشا نفسها – تلك القبيلة التي نجحت في أن تحكم مكة، وأن تنقلها من مرحلة البداوة إلى زعامة شبه الجزيرة العربية، وأن تنشئ لنفسها من التنظيم السياسي والاقتصادي والديني ما يكفل لها هذا التقدم، وما يدل على معرفة كبيرة بشؤون الحكم والاستقرار- لا يمكن أن تكون من هذه القبائل المبتدئة في تهامة[١] والحجاز[٢]، ومن ثم فلا بد أن تكون – فيما يزعمون- قد قدمت من الشمال أو من وديان العراق وربما كانت من بقايا الأنباط[٣]"[٤]

ثانياً: عرض المقالة الثانية: الأصنام.

أ-عرض المقالة الثانية:

يقول بروكلمان عن الاصنام عند العرب "ولكن هذه العفاريت[٥] لم تكن تحظى عندهم بصفة القداسة إلا بعد أن تصرح بأسمائها للبشر على ما فعل يهوه [٦] أمام يعقوب في حلمه ببيت إيل[٧]. حتى إذا صرح أحد هذه الشياطين باسمه أمسى في الإمكان اللجوء إليه لجوءاً ذا غناء. ومن طريق

---

(١) تهامة: سهل ساحلي ضيق غربي جزيرة العرب محصور بين جبال السرات والبحر الأحمر مناخ صحراوي قاس: أنظر:المنجد في اللغة والاعلام، ص١٨١.

(٢) الحجاز:كتلة جبلية من سلاسل السرات، تمتد بين جبال مدين شمالاً وعسير جنوباً. أنظر:المنجد في اللغة والأعلام، ص ٢١٣.

(٣) الأنباط:او النبط قبائل بدوية عربية، استوطنت جنوب فلسطين، القرن ٤ق.م.اتخذوا البتراء عاصمة لهم، قضى عليهم الرومان.أنظر:المنجد في اللغة والأعلام، ص٧٣.

(٤) مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط٣، ١٤٠٣هـ١٩٨٢م، ص٤٠٣.

(٥) العفاريت:عفريت يستخدم للتعبير عن القوة والدهاء والشر، ومفهوم الكلمة تعني نوعاً من القوى الغيبة التي تمتاز بالدهاء والمكر، ويصعب التفريق بين العفريت والجن، أنظر: دائرة المعارف الإسلامية، ج٢٣، ص٧٣٤٣-٧٣٤٤.

(٦) يهوه:أو "يهوفاه" من أسماء الإله لدى اليهود وأكثرها شيوعا وقداسة، وكان لا ينطق به الإ الكاهن الأعظم، في يوم الغفران.أنظر: الميسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٥، ص ٦٨.

(٧) بيت إيل: تعبير عبري معناه "بيت الرب "وهي مدينة كنعانية قديمة تعرف باسم "لوز" على بعد ١٦ كيلو متر من القدس ونابلس، وأسمها الحديث "بيتين ".أنظر: الميسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٤، ص١١٨.

الشعائر الدينية التي تؤلف التضحية نواتها، ارتبطت الآلهة برباط دموي مع القبائل المقدسة لها، وأصبحت بمثابة الحامي الذي تلوذ به القبيلة، بل بمثابة جدّها وسيدها الأعلى- وبذلك لم يعد من الميسور تحقيق أصلها الأول بعد أن اضطربت الأنساب، واختلطت على هذا النحو، وكانت كل قبيلة تتعبد لإلهها الخاص، ولكنها كانت تعترف في الوقت نفسه بسلطان آلهة القبائل الأخرى في مناطقها الخاصة، ومهما يكن من أمر، فلم تكن الصلة بين القبيلة عند العرب وبين إلهها وثيقة جداً، كما كانت الصلة عند بنى إسرائيل مثلاً، بين يهوه وشعبه.

ولقد كانت بعض العشائر تتخذ أحياناً أسماء آلهة غير التي تدين لها القبيلة، كما كانت بعض القبائل تشترك أحياناً في عبادة إله واحد، وكانت للآلهة مقامات ثابتة، حتى إذا ارتحلت القبيلة قامت بخدمة المقام، وعبادة إله القبيلة التي تحل محلها. وقد جرت العادة أن تزور القبيلة المرتحلة المقام مرة أو مرتين في العام، أيام الأعياد"(١).

ب- نقد المقالة الثانية:

لا يبدو أن مقولة بروكلمان مفهومة للوهلة الأولى، فهو يلقي بالمقال على عواهنه من غير ترتيب ولا تمحيص، ولكي استجلي الأمر، رجعت إلى النص المراد في التوراة؛ لأضعه بين يدي القارئ، حتى نبين منه ما يتبين، فقد جاء في العهد القديم في حلم يعقوب –عليه السلام-في بيت إيل التالي: "ورأى حلما، وإذا سُلم منصوبة على الأرض، ورأسها يمس السماء، وهوذا، ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهوذا الرب واقف عليها، فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك، وإله إسحاق... فاستيقظ يعقوب من نومه وقال:حقا إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم.وخاف وقال: ما أرهب هذا المكان! ما هذا إلا بيت الله، وهذا باب السماء... وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه، وأقامه عموداً، وصب زيتاً على رأسه، ودعا اسم ذلك المكان "بيت إيل"... ونذر يعقوب نذراً قائلاً: إن كان الله معي، وحفظني في هذا الطريق الذي أنا سائر فيه، وأعطاني خبزاً لآكل، وثياباً لألبس، ورجعت بسلام إلى بيت أبي، يكون الرب لي إلهاً، وهذا الحجر الذي أقمته عموداً يكون بيت الله، وكل ما تعطيني فإني أُعشّره لك"(٢).

وبعد عرض مقالة بروكلمان ونص التوراة الذي قاس عليه بروكلمان عبادة الأصنام عند العرب، تحتم الأمانة العلمية أن أذكر أن كلام بروكلمان له وجهان محتملان:

فالوجه الأول وهو الحق الذى لا مراء فيه، إذ إنه متطابق مع ما في القرآن الكريم، وهو أن العرب لم تتخذ تلك الأوثان والأصنام آلهة أو أرباباً، وإنما كانت تعبدها من أجل التقرب بها إلى الله جل وعلا رجاء النفع والضر، كما قال تعالى: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ (الزمر:٣).

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٤.
(٢) الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس، مصر، ط٤، ٢٠١٢م، سفر التكوين، إصحاح ٢٨: ١٢/٢٢.

وهذا المراد نجده جلياً واضحاً كما في قول بروكلمان: "بالإضافة إلى جميع هذه الآلهة؛ اعتقد العرب القدماء... بإله هو خالق الكون، هذا الإله هو الله الذي لم ينقل العرب فكرته عن اليهود والنصارى كما يظن كثير من الباحثين"(١).وسيأتي تفصيل ذلك في مبحث الإلهيات من هذه الرسالة.

وأن يعقوب عليه السلام اتخذ مكان رؤية الله في المنام مكانا يتعبد الله فيه إليه دائما، وإنما صنع العمود من الحجارة لكي يبقى علامة ودليلاً على المكان الذي سيبني فيه بيتاً ليتقرب فيه لله، "فنصوص توراة موسى(٢) تشير إلى إله إسرائيل وحده الذي يجب على اليهود عبادته دون غيره من الآلهة"(٣).

وكما هو الحال في القرآن بتحريم عبادة الأوثان والأصنام، وأنه ذنب لا يغفر، ويخلد صاحبه في نار جهنم؛ كذلك حرمت التوراة عبادتها، واعتبرتها خيانة عظمى، عقوبتها الرجم(٤).

وأما الوجه الآخر الذي شط فيه بروكلمان فهو قياس عبادة وثنية لحجر أو صنم تلبسّه شياطين، فأخذ يتكلم باسمه مغرراً بمن يعبده بنبي جاء برسالة السماء، أوحي إليه، كما أوحي إلى الأنبياء من قبله، حيث إن من طرق الوحي المعتبرة للأنبياء الرؤيا في المنام، كما جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: "أول ما بُدئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"(٥).

ثم بعد ذلك يقرر بروكلمان عن هذه الأصنام عند العرب أمرين:

الأول أنه يُلجئ إلى هذه الأصنام لجوءاً ذا غناء، و**الثاني** أن القبائل ارتبطت معها برباط دموي مقدس قائم على التضحية، فهي ملاذ القبيلة، وسيدها الأعلى.

ويرد على هذه الشبهة بأمرين: أولهما من كلامه، حيث قال "فلم تكن الصلة بين القبيلة، عند العرب، وبين إلهها وثيقة جداً، كما كانت الصلة عند بني إسرائيل مثلا بين يهوه وشعبه"(٦).فلا شك في ذلك، فشتان بين ديانة سماوية، لها إله يؤيد بالوحي الرسالات، ورسول تجري على يديه المعجزات، وكتاب فيه آيات بينات، وبين أصنام وأوثان جامدات، جاء بها أعرابي بلا بيان أو استدلالات.

وقد كانت تلك العلاقة بين العرب وأصنامها هشة، ولم تكن وثيقة جداً، كما قال بروكلمان، وهذا مصداق قوله جل وعلا: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٥.
(٢) المنسوبة إلى موسى عليه السلام عبارة أدق.
(٣) الخطيب، محمد أحمد، مقارنة الأديان، ص١٥٤.
(٤) انظر :سفر التثنية ١٧: ٦/٣ .
(٥) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج١، ص٧، ح٣.
(٦) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٤.

هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (العنكبوت:٦٥)، كما جاء فى تفسير ابن كثير لهذه الآية أنهم إذا ركبوا البحر، قالوا لبعضهم: أخلصوا لربكم الدعاء فإنه لا ينجي ههنا إلا هو(١).

ومما يؤكد ذلك ما ذكر عن عبد المطلب(٢) في قصة أصحاب الفيل أنه قام ممسكاً بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة(٣) وجنده :

لاهم إن العبد يمـ نع رحله فامنع حِلالَك (٤)

لايغلبن صليبهم وَمحِالهم غدوا محِالك (٥).(٦)

وبعد هذا أفلا يعلم يقيناً أن هذه الأصنام لم تكن للعرب منعة أو ذاتُ غناء كما أنها لم تكن محل ثقتهم.

والأمر الثاني وهو من التراث الجاهلي، حيث بينت أن هذه الأصنام فى الغالب لم تكن تغنى أو تسمن من جوع للعرب من الناحية الدينية كما سبق.

أما إن كان يقصد غنى اقتصاديا، فهذا أمر لا شك في جدواه لهم، كما هو معلوم.

ومما يستدل به في هذا المقام ما ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية عن أعرابى أحضر إبله إلى صنم اسمه سعد التماسا للبركة، فلما رأت الإبل الصنم وما عليه من الدماء نفرت وتفرقت في كل وجه، فغضب الأعرابي فأخذ حجراً ورجم به الصنم وهجاه، يقول:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعدٌ إلا صخرة بتنوفة(٧) من الأرض لا يدعو لغي ولا رشد(٨).

ومثل هذا كثيرفي تاريخ العرب وأشعارهم، لذا كان الاقتصار على هذا المثال مخافة التطوال.

وأخيرا، لو رجع بروكلمان إلى حركة الارتداد العربي عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ، وسأل نفسه: هل كان ذلك الارتداد إلى أصنامهم أم إلى أنبياء مزعومين جاءتهم بأديان مكذوبة، لعلم أنها لم تكن ذات غناء، إلا استثناء واحدا من باب الدقة العلمية، إنها كانت كذلك لسدنتها، الذين كانوا يتنفعون منها، أو أن تكون حمية الجاهلية.

---

(١) ابن كثير الدمشقي، أبى الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم ،ج٣، ص٤٢١.

(٢) عبد المطلب بن هاشم (ت نحو ٥٧٩):جد النبي الذي كفله ورعاه بعد موت ابية عبدالله.كان زعيم قريش في الجاهلية، وكانت له السقاية والرفادة . أنظر:المنجد في اللغة والأعلام، ص٣٦٨.

(٣) أبرهة الاشرم: ملك اليمن الحبشي.حاول هدم الكعبة٥٧٠ مستخدماً الفيلة في القتال "عام الفيل "إليه ينسب بناء القليس في صنعاء. أنظر:المنجد في اللغة والأعلام، ص ٢.

(٤) حِلالك :اِلحِلال جمع حِلة وهي جماعة البيوت.

(٥) المِحال :القوة والشدة .

(٦) أنظر: ابن هشام، السيرة النبوية،مكتبة المنار،الاردن،ط١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م، ج ١ ،ص٩٠.

(٧) تنوفة او التنوفية : القفر من الأرض الذي لا ينبت شيئاً أوالمفازة من الأرض أو الأرض الواسعة المتباعدة الأطراف .انظر :أحمد رضا ، معجم متن اللغة ،دار مكتبة الحياة ،بيروت ،دط ،١٣٧٧هـ ١٩٥٨ م ،ج٢ ،ص٤١١.

(٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢،ص٢٤٢ -٢٤٣.

ثالثا: عرض المقالة الثالثة عن الأصنام.

أ-عرض المقالة الثالثة:

يقول بروكلمان "وثمة آلهات ثلاث، استطاعت أن ترتفع بنفسها بصورة خاصة عن مرتبة الشياطين الدنيا:

الأولى: مناة، إلاهة القضاء والقدر، التي تقابل إلاهة الحظ المخلّص SoteiraTyche عند الإغريق، وكانت معروفة في مكة، ولكن عبادتها شاعت على الخصوص بين قبائل هُذيل البدوية المجاورة.

والثانية: اللات، أي "الإلاهة"، التي كانت تُعرف في الطائف بـ"الربة"، أي "السيدة"، والتي شبهها هيرودتس، بإلاهة الفلك Urania، وهي تقابل الأم الكبرى للإلاهة "عشتروت" عند الساميين الشماليين.

أما الثالثة: العُزّى، أي: "الكلية القدرة والعزة"، فلم تكن غير شكل آخر للإلاهة الثانية، اللات وكانوا يعبدونها في صورة الكوكب السماوي: الزهرة "فينوس"[(١)].

ب- نقد المقالة الثالثة:

وأما مقارنة بروكلمان بين الآلهة العظام عند العرب والآلهة الأخرى عند الإغريق [(٢)] وغيرهم، وغيرهم، فنعتقد – بناء على ما سبق من مقالاته – أنه يريد أن يقول إن هذه الآلهة العظام عند العرب منقولة عن غيرهم، وهذا أمر لا نختلف معه فيه، فقد سبق أن قلنا إن عبادة الأصنام طرأت على جزيرة العرب، عندما نقلها أبو خزاعة عمرو بن لحي من بلاد الشام إلى جزيرة العرب، [(٣)]ونخلص من هذا إلى تأكيد أن التوحيد هو الأصل، وليس الوثنية كما زعم.

وعبارته " وثمة آلهات ثلاث، استطاعت أن ترتفع بنفسها بصورة خاصة عن مرتبة الشياطين الدنيا" [(٤)]موهمة، فماذا يقصد بارتفاع هذه الآلهة عن مرتبة الشياطين؟

أيقصد أن الأصنام عند العرب كانت فئتين: فئة اكتسبت قداستها من حلول الشياطين بها، والتلبيس على عبّادها بذلك. وفئة أخرى اكتسبت قداستها من ارتفاع مكانتها الذاتية عند أصحابها؟

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٥.

(٢) الإغريق:اليونانيون (البطالمة والسلوقيون) الهيلينيون بمعنى مجموعة الشعوب اليونانية أو من اغرق في النمط اليوناني. أنظر: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٤،ص٢٠٣-٢١٣.

(٣) انظر :ابن كثير،البداية والنهاية ،ج٢ ،ص٢٣٥.

(٤) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٥.

وعند ايراد النص التالي، سيتأكد هذا الفهم الذي صار الباحث إليه، فبروكلمان يقول: "ولكن هذه العفاريت لم تكن تحظى عندهم بصفة القداسة إلا بعد أن تصرح بأسمائها للبشر... حتى إذا صرح أحد هذه الشياطين باسمه، أمسى في الإمكان اللجوء إليه لجوءا ذا غناء"(١)

ولعل بروكلمان يعني تدرج تقديس الأصنام والأوثان عند العرب في مراحل ثلاث، هي:

١- كونها حجرا.

٢- تحول الحجر، أو الصنم إلى وثن، يُعبد، وذلك من خلال تلبس أحد الشياطين به، والتحدث باسمه، حيث إن مثل هذا المعنى قد صرحت به بعض المصادر الإسلامية.

قال ابن تيمية: "ولا ريب أن الأوثان يحصل عندها من الشياطين وخطابهم وتصرفهم ما هو من أسباب ضلال بني آدم"(٢).

كما "أن الشياطين تدخل فيها، وتخاطبهم منها، وتخبرهم ببعض المغيبات عنهم وتدلهم على بعض ما يخفى عليهم وهم لا يشاهدون الشيطان، بل إذا سمع الخطاب من الصنم، اتخذه إلها.."(٣).

وقد ذُكر أن خالد بن الوليد ﷺ(٤) لما بعثه رسول الله ﷺ لهدم صنم العزى، وجد عندها امرأة حبشية شمطاء، نافشة شعرها، تصرف بأنيابها وخلفها سادنها ثم ضربها ففلق رأسها، فإذا هي حممة ثم قتل السادن....."(٥).

٣- إن بعض تلك الأوثان أو الأصنام، استطاعت أن ترتفع بنفسها عن تلك الشياطين، وأن تكسب ثقة عابديها من دون أن يتلبسها شيطان، يتحدث من داخلها باسمها، فهي لا تحتاج لمثل هذا، حيث رفعها أهلها إلى منزلة الآلهة، ومنها تلك الأصنام الثلاثة التي ذكرها، وهي: مناة، واللات، والعزى. (٦)

---

(١) بروكلمان ،تاريخ الشعوب الأسلامية ،ص٢٤.

(٢) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع عبد الرحمن بن قاسم، مكتبة المعارف، المغرب، دط، دت، ١٦٨/١.

(٣) حكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، ضبط عمر أبو عمر، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، ٤٧٢/٢.

(٤) خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، سيف الله، أبو سليمان، من أشراف قريش وإلية أعنة الخيل فيها، أسلم وبايع رسول الله وشهد مؤتة وأنحاز بالناس، كما شهد فتح مكة وحنين والطائف، ومع أبي بكر الصديق رضي الله عنة حروب الردة وقتال فارس والروم توفي بحمص سنة ٢١هـ.أنظر: العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تميز الصحابة ، دار الكتاب العربي، بيروت، دط ،دت ،ج١،ص ٤١٢-٤١٥.

(٥) الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص ٥٤.

(٦) انظر:بروكلمان ،تاريخ الشعوب الأسلامية ،ص٢٥.

و"هي الأوثان العظام الكبار التي كان المشركون يتناوبونها من أمصارهم، فاللّات كانت حذو قديد بالساحل لأهل المدينة. والعزى كانت قريبة من عرفات لأهل مكة ومناة كانت بالطائف لثقيف، وهذه الثلاث هي أمصار أرض الحجاز"[١].

خلاصة مبحث الأصنام:

١- إن العرب – في الدين – ليسوا أمة واحدة فمنهم أصحاب الديانة البدائية، ومنهم أصحاب الديانات التي تطورت حتى أصبحت راسخة، كما كان فيهم من اليهود والنصارى، والحنفاء[٢].

٢- إن الأصنام والأوثان عند العرب لم تكن على مرتبة واحدة. فقد كان منها ما داخله شيطان يتكلم منه، أو سادن يستخدم من اللطائف ما يُوهم أتباعه بأنه يتكلم معهم، ومنها الذي علا شأنه، حتى أصبح بغير حاجة لذلك كما مرّ.

٣-وكذلك العرب في سياستهم منهم البدائيون، ومنهم أهل المدن والقرى، يتمتعون بأنظمة سياسية غاية في التعقيد والتطور.

فمكة كمثال أذهلت بعض الغربيين في أنظمتها التي كانت تنتهجها، سواء على الصعيد الديني أو العمراني أو الاقتصادي أو السياسي إلخ.

مما دفع الأب "هنري لامانس" إلى القول بأن مكة إنما كانت جمهورية بالمعنى الكامل للجمهورية".[٣]

المطلب الثاني:مقالات بروكلمان في اليهودية – النصرانية - اديان اخرى.

اولاً: مقالات بروكلمان عن اليهودية.

أ- عرض المقالة الأولى عن اليهودية:

في الحديث عن تأثر الامبراطورية الرومانية باليهودية قال بروكلمان:"والواقع أن اليهودية قد وفقت إلى أن تكسب نفوذاً في إمبراطوريتهم فترة من الزمان، حتى لقد اعتنقها بعض حكامهم، واضطهدوا المسيحية،فِعل ذي نواس المتوفى سنة ٥٢٥"[٤].

أ- نقد المقالة الأولى عن اليهودية:

في مثل هذه المقالة فإني أرى أنه ليس لي فيها ناقة أو جمل وذلك لسببين اثنين هما:

١- أن هذه المقالة لم تأخذ الجانب العقدي عند اليهود ومدى تأثيره على عقائدهم، أوعقائد العرب أو المسلمين، حيث إن بروكلمان ساق فيها الجانب التاريخي، وهو ليس محور بحثنا أو

(١) ابن تيمية، الفتاوى، ٢٥٩/٢.
(٢)الحنفاء:حمع حنيف والمراد بة الكامل الاسلام ،الناسك المائل الى الدين،وهي ملة الخليل ابراهيم علية السلام .انظر: الشهرستاني ،الملل والنحل ،ص ٢٨٥.
(٣) مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم،ص٤٠٨.
(٤) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص١٦.

مرادنا من هذه الرسالة.

٢- أن هذه المقولة غاية في الاختصار، وأنها لم تكن بذاتها عن العقيده اليهودية وإنما من أجل الحديث عن الصراع بين اليهودية والنصرانية في الجزيرة العربية،وأن بروكلمان لم يأت بجديد أكثر مما هو موجود في كتب التاريخ. لكن قد يستفاد منها إثبات أن الصراع في الأديان كان موجوداً قبل الإسلام.

ب- عرض المقالة الثانية عن اليهودية:

يقول بروكلمان " ولقد ساعدت الأديان السماوية[١] التي كان لها منذ زمن طويل أنصار وأتباع في بلاد العرب على استعجال هذا التفسخ في الوثنية العربية واستفحاله؛ ففي جنوب الجزيرة بلغت اليهودية في فترة من الزمان كما ذكرنا آنفاً مبلغاً من القوة ظهرت آثاره في اعتناق الحكام لها،واضطهادهم المسيحين المنهمكين في النضال ضدها. ومنذ القرن الاول بعد الميلاد واليهود يهاجرون إلى الواحات الواقعة في الشمال الغربي، إلى تيماء[٢]،وخيبر[٣]، ويثرب[٤]، وفدك[٥] ليصبحوا فيها من ذوي الثراء. صحيح أنهم انكمشوا على أنفسهم في أحياء منعزلة،ولكنهم استطاعوا من غير شك أن يحملوا نفراً من العرب على اعتناق دينهم، وأن يذيبُوهم في بوتقتهم. وكانوا يتكلمون اللغة نفسها التي يتخاطب بها السكان. وعلى الرغم من شدة الحاجة إلى خدماتهم، كفلاحين وتجار وصاغة، فقد كان البدو لا يثقون بهم،ومن هنا لم تستطع اليهودية أن تؤثر في حياة العرب الدينية تاثيراً أكبر من الذي كان لها في الواقع"[٦].

ب – نقد المقالة الثانية عن اليهودية:

إن مقولة بروكلمان هذه حول الرسالات السماوية، وأنها قد ساعدت على سرعة تفسخ الوثنية قد تكون صادقة وصائبة لو قيدها بدل إطلاقها، وفصلّها بدل إجمالها، فإن كان مراد بروكلمان هو سرعة استجابة الأوس والخزرج لنبوة محمد ﷺ فهذا أمر صحيح لا مراء فيه، وذلك أن يهود يثرب كانت تتوعد الأوس والخزرج بنبي آخر الزمان الذي من اجله قدموا الى المدينه واستوطنوها ،كما

---

(١) الصواب مصطلح الرسالات بدل الأديان ،لأن الدين واحد وهو الأسلام

(٢) تيماء:واحة في شمال السعودية –الجزيرة العربية- جنوبي صحراء النفود الكبرى. أنظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص١٨٩.

(٣) خيبر: واحة في الحجاز غزاه النبي (٦٢٨). أنظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص٢٣٦.

(٤) يثرب:المدينة المنورة في الحجاز شمال مكة هي يثرب قديماً هاجر إليها النبي واستقر بها(٦٢٢)عاصمة الخلافة بعد وفاة النبي ثاني البلاد المقدسة الأسلامية وفيها ثاني الحرمين. أنظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص٥٢٢.

(٥) فدك:واحة في الحجاز قرب خيبر، اشتهرت قديما بتمرها وقمحها.أنظر: المنجد في اللغة والاعلام، ص٤٠٧.

(٦) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٦-٢٧.

ذكر ذلك ابن هشام في السيرة النبوية عن أقوام من الأوس[١]. والخزرج[٢]. ذكروا أنهم قد علوا اليهود الذين هم جيرانهم فى المدينة ظهراً في الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب، وهم يقولون: إن نبياً سيبعث الآن نتبعه،

قد أظل زمانه، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما بعث الله رسوله ﷺ من قريش واتبعناه كفروا به. يقول الله تعالى: " فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ" (البقرة:٨٩) [٣].

فلا شك أن الأوس والخزرج كان من أسباب سرعة انسلاخهم من الوثنية وإيمانهم بنبوة محمد ﷺ هو استفتاح اليهود عليهم بنبي يخرج في آخر الزمان "فعن ابن عباس أن يهودا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل[٤] وبشر بن البراء بن معرور[٥] وداود بن سلمة[٦]: يا معشر يهود: اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث،وتصفونه بصفته،فقال سلام بن مشكم أخو بنى النضير: ما جاءنا بشىء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم"[٧].

فهذا الأثر الذي ساقة ابن كثير رحمه الله في تفسيره له وجهان من الدلالة:

الاول: إن المعلومات التي كان يقدمها أهل الكتاب عن نبي آخر الزمان قد أثرت بشكل خاص في الأوس والخزرج بسرعة الانسلاخ من الوثنية، والإستجابة للرسالة المحمدية، والثاني أن معلومات أهل الكتاب كانت تخبر عن نبي فإنها كانت تلك المعلومات نفسها ومن الأشخاص انفسهم تنفى صحة نبوة محمد ﷺ، وأنه ليس هو المراد بتلك البشارات لعدم تطابق الصفات وجاء في نص

---

(١) الأوس:قبيلة بالمدينة نسبة الى أوس بن حارثة بن ثعلبة الأزدي وموطنهم الأصلي اليمن، عاهدوا بحماية النبي ﷺ والمدينة، أنظر:دائرة المعارف الاسلامية، ج ٥،ص١٤٠٩-١٤١١.

(٢) الخزرج:قبيلة كانت تنزل المدينة وتعرف مع الأوس بالانصار، هاجرت من اليمن ومن أكبر القبائل المناصره للنبي ﷺ.أنظر: دائرة المعارف الإسلامية، ج١٥،ص٤٦٤٤-٤٦٤٧.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، ت همام سعيد، محمد ابو صعيليك، دار المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٩ / ١٩٨٨م، ج٢، ص٢١٧.

(٤) معاذ بن جبل: بن عمرو أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي، مقدم في علم الحلال والحرام شهد المشاهد كلها، بعثة النبي ﷺ الى اليمن وقدم منها في خلافة أبي بكر توفي بطاعون الشام سنة ١٧هـ.أنظر: العسقلاني الأصابة في تميز الصحابة، ج٣، ص٤٠٦-٤٠٥.

(٥) بشر بن البراء بن معرور أنصاري خزرجي، من بني سلمة شهد العقبة وبدر وأحد والخندق، مات بفتح خيبر سنة ٧ هـ بعد أكله من الشاة المسمومة.أنظر: القرطبي المالكي، ابو عمر يوسف بن عبد البر، الإستيعاب في أسماء الأصحاب، دار الكتاب العربي، بيروت، دط،دت ،ج١، ص١٥١-١٥٢.

(٦) داود بن سلمة الأنصاري له ذكر في التفسير.أنظر: العسقلاني الأصابة في تميز الصحابة، ج١،ص٤٦٣.

(٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ١٢٤.

آخر أن النبي ﷺ وسلم "أول ما دعا نفراً من أهل المدينة، قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه"(١).

ومهما يكن فإن هذا هو أثرالديانه اليهودية كديانه سماوية في انسلاخ الأوس والخزرج من جميع ما يؤمنون به واتباعهم لدين الإسلام.

وأما ما يخص الديانه النصرانية فلم يكن لمبشريها كبير الأثر كما حصل في قصة الراهب بحيرا(٢). وذلك لسببين هما: تكتم أبي طالب(٣) بخبر ابن أخيه خوفاً عليه،وعملاً بمشورة بحيرا له، والسبب الاخر، أن هذه البشارة كانت في زمن متقدم على نبوته ﷺ بحيث إن من سمعها لم يسلم من أحد أمرين الموت أو الهرم،علماً بأن الراهب بحيرا التقى بالرسول الله ﷺ وهو ما يزال طفلاً ولمرةٍ واحدةٍ. وأما ما كان من خبر ورقة بن نوفل(٤) حيث كانت بشارته بنبوة محمد ﷺ متأخرة جداً ومتزامنةً مع بدء الرسالة، كما كانت بشارته في مجتمع صغير وخاص ضمت رسول الله ﷺ وزوجته خديجه بنت خويلد(٥) ثم لم يلبث ورقة بن نوفل أن مات، ومع أن هذا المعنى مع بعده إلا أني رأيت أهمية إيراده مخافة ان يلتبس كلام المستشرقين على أحد من امة خير المرسلين.

وأما مراد بروكلمان من قوله إن عدم اقتناع العرب بأديانهم الوثنية أدى بكل يسر وسهولة إلى اعتناقهم الرسالات السماوية متمثلة باليهودية والنصرانية واستدلاله على ذلك بعدد من الأدلة منها:

١. أن اليهودية بلغت في جنوب الجزيرة العربية مبلغ القوة ومظهر ذلك اعتناق الحكام لها.
٢. أن اليهود كان يضطهدون المسيحيين.
٣. أن اليهود كانوا يهاجرون الى شمال غرب الجزيرة العربية من أجل الثراء.
٤. استطاعة اليهود حمل نفرٍ من العرب على اعتناق الديانة اليهودية.

وقبل الرد على هذه الشبة يجب أن أبين اولاً خطورة هذه المقولة بهذا المراد بحيث إن القارئ لهذه المقالة لو آمن بها – أن العرب تفسخت من أوثانها وآمنت بكل يسر وسهولة باليهودية والنصرانية- وقابل ذلك كله بما لقيه النبي ﷺ وأصحابه من عناءٍ ومشقةٍ في نشر الرسالة، وما حصل من غزوات وسرايا، ودماءٍ وضحايا، لربما كان مدخلاً يغري أهل الشبهات بأن حججَ تلك الرسالات أقوى وأجلى مما جاءت في رسالة نبي خاتم الرسالات.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٨٢.

(٢) الراهب بحيرا:(القرن ٦) راهب أقام في جزيرة العرب على طريق القوافل، رأى محمداًﷺ بصحبة تجار قريش فقال لعمة أبو طالب: إنه كائن لإبن أخيك هذا شأن عظيم.أنظر:المنجد في اللغة والأعلام، ص١١٥.

(٣) ابو طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم كفل النبي بعد وفاة جده عبد المطلب ورث "السقاية" و"الرفادة" و"الرفادة" و"الزعامة" (ت٦١٩).أنظر: دائرة المعارف الأسلامية، ج٢، ص٣٥٤.

(٤) ورقة بن نوفل بن أسد (ت نحو ٦١١) من حكماء الجاهلية.أبن عم خديجة كان نصرانياً.انظر:المنجد في اللغة والأعلام، ص٦١١.

(٥) خديجة بنت خويلد بن أسدبن عبد العزى أم المؤمنيين زوجة رسول الله الأولى وأم جميع أولاده خلا أبراهيم، أول من أسلم.مولدها ووفاتها بمكة (٦٨-٣ق هـ).انظر:الزركلى،الأعلام،ج٢،ص٣٠٢.

وبعد أن يسر الله لي تفكيك هذه المقوله وبيان المترتب عليها أسأله تعالى أن يوفقني للرد عليها من عدة وجوه وهي كالاتي:

الوجه الأول: أن إطلاق مصطلح أديان سماوية على اليهودية والنصرانية محل نظر وخلاف إلا أن يكون ذلك الاطلاق باعتبار ما كان. أي بناءً على أصلها. أما باعتبار ما هو كائن فإن ذلك ما لم يسلم به علماء الغرب أنفسهم، فكيف بنا نحن المسلمين الذين يحق لنا أن نتساءل عن مصدر الديانة اليهودية – التوراة – فمن " هو مؤلف العهد القديم،وكم من قارئ للعهد القديم يلقى عليه هذا السؤال، فلا يحير جواباً الإ مردداً ما قرأه في مدخل التوراة بأن مؤلف هذه الكتب المقدسة كلها هو الله. مع أن الذين كتبوها هم بشرمن الذين أوحى الروح القدس إليهم "[١]. إذاً التوراة تشهد لنفسها بانها كلمة الله ولكن أين هى كلمة الله ؟ تساؤل يطرحه من أخذ بأصول البحث العلمي للوصول إلى الحقيقة هذا التساؤل " هل هي نص الشارحين اليهود او لفافات مغارة "قمران"[٢] او الترجمة السبعينيه[٣] الخ... وهكذا يبدو إسهام الإنسان في نص العهد القديم عظيماً. وإننا لنتحقق دونما عسر من نص إلى آخر أن النص الأصلي كان تحريفه ممكناً خلال أكثر من ألفي سنة"[٤]. إن تحريف التوراة أصبح أمراً مشهوداً، وعلماً معلوماً، وكما التوراة فكذلك الإنجيل حيث ذكر ابن تيمية رحمة الله عدم تطابق نسخها، واختلافها عن بعضها اختلافاً متبايناً[٥] فإنا لا ندهش إذا نظرنا إلى الأناجيل على أنها تعبير عن الرؤى الذاتية للذين جمعوا الروايات الشفوية الخاصة بجماعات مختلفة، وأنها كتابات المناسبات، أو نجد فيها كل هذه العيوب التي هي علامة صناعة البشر لها في مثل هذه الظروف"[٦].

إذاً نخلص مما سبق أن المصدر لهاتين الديانتين السماويتين – اليهودية والنصرانية – تم تحريفه بمعنى إبدال كلمة الله بكلمة البشر إذاً فقد محت كلمة الأرض كلمة السماء وإذا فهي إن كانت في الأصل سماوية الا أنها بالنتيجة أرضية فهذا التوافق بين الأديان السماوية المحرفة وبين أديان العرب ومنها الوثنية لم يجعل هناك كبير فرق بينها، مما سهل إن صحت العبارة أن يدخل من أراد من العرب في اليهودية والنصرانية، وعكس ذلك في الاسلام؛فهو ديانة لم يدخل إليها التحريف

---

(١) بوكاى، موريس، التوراة والأنجيل والقرآن والعلم، ترجمة الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، ص٢٢.

(٢) لفافات مغارة قمران:مخطوطات البحر الميت. لفائف مدونة على الرق والبردي بالعبرية والآرمية واليونانية، أسفار أصلية من العهد القديم وجدت على هيئة مخطوطات في كهوف ومغاور البحر الميت.أنظر: الميسيري موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٥، ص١٠٦.

(٣) الترجمة السبعينية:من الكلمة الاتينية "سبتواجينتا" معناها "سبعون"اشارة الى الأسطورة بان ٧٢ من علماء اليهود قاموا بترجمة العهد القديم العبري الى اليونانية وزعمت الأ سطورة أن كل عالم ترجم منفردا وتم التطابق..أنظر: الميسيري موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٥، ص٩٠.

(٤) بوكاي ،موريس ،التوارة والأنجيل والقران والعلم،ص ٢٣- ٢٤.

(٥) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطابع المجد التجارية، دط ،دت ،ج٢، ص ٢١.

(٦) بوكاي، موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص ٧٩.

فبقيت سماوية خالصة يصعب الانقياد إليها إلا من اقتناع تام وعقيدة راسخة، وكذلك لم تقبل رسالة الإسلام من أحد الدخول فيها إلا بعد الإنسلاخ التام مما سواها، والأخذ بها كاملة شاملة،فقد ذكر أصحاب السير أنَ العرب كانت إذا اشترطت على رسول الله ﷺ رد ذلك بقوله "إنه لا يقوم بدين الله الا من حاطه من جميع جوانبه"(١)

بعكس حال من يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض وهم أهل الديانه نفسها قال تعالى(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) البقرة (٨٥).

وقد كانت تلك الفئة من متهودة العرب تنهج نفس منهج أصحاب الديانة نفسها، حيث إنهم " لم يقبلوا التمسك بالسبت ولم يخضعوا لبقية وصايا التوراة "(٢).

الوجه الثاني: لم يوضح لنا بروكلمان في أي مراحل العرب الدينية كان لليهودية والنصرانية انتشار بين العرب حيث يرى المستشرق (لودولف كريل)(Ludolf krehl) أن العرب القدماء كانوا في الأصل موحدين ثم انحطت حالتهم الدينية بعد تركهم التوحيد،وبعد ذلك كان التأثر بالديانة اليهودية والنصرانية(٣). وذلك في جنوب الجزيرة العربية فقط، لا كما زعم بروكلمان بقوله في بلاد العرب فإن جزيرة العرب كانت زاخرة بالأديان والمذاهب التي لم يستطع أي دين ان يزحزح عقيدة أصحابها بها إلا دين الإسلام الذي دخلوه أفواجا، ومن ثَمَ حملوا لواءه جهاداً، وساروا بشرعةِ دعوة ودعاة.

الوجه الثالث: إن عامة اليهود في الجزيرة العربية ما عدا اليمن ليسوا ممن دخل في اليهودية من أهل الجزيرة العربية، وإنما هم يهود بالأصل، ومن نسل إسرائيل.كما كان يخاطبهم بذلك القرآن الكريم والحديث النبوي، وإنما هم مهاجرون كما أقر بذلك بروكلمان واثبتهُ كثير من المراجع التاريخية والدينية (٤)وحتى من تهود من العرب فانهم قلة قليلة، يتضح ذلك من مقالة بروكلمان نفسه نفسه حيث عبر عنهم بكلمة نفر "ولكنهم استطاعوا من غير شك أن يحملوا نفراً من العرب على اعتناق دينهم،"(٥)

الوجة الرابع: ألا يرى بروكلمان ومن لف لفيفه من المستشرقين والمستغربين أن الدخول في دين الإسلام لا بد في قبوله أن تكون النية خالصة لوجه الله تعالى، لا تشوبها شائبة كما قال رسول

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ، ج٣ ، ص١٧٦ – ١٧٧.
(٢) د. ولفنسون، اسرائيل، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الإعتماد، مصر، دط،١٣٤٥هـ ١٩٣٧م، ص٧٣.
(٣) انظر: على،جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط٢ ، ١٤١٣هـ ١٩٩٣ م، ج١، ص ١٣٦.
(٤) انظر:المرجع السابق ،ج٦ ،ص ٥٢٢.
(٥) بروكلمان ،تاريخ الشعوب الأسلامية ،ص ٢٧.

الله ﷺ: إنما الأعمال بالنية، وإنما لكل أمرٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسولة فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدينا يصيبها أو أمراة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه"(١).

وذلك بخلاف متهودة العرب وهم قلة، فقد كانت نواياهم محفوفة بإغراض دنيوية كالتجارة أو اتباع الملوك المتهودة، ولا يخفى مما في ذلك من المصالح الدنيوية،أو اعتقادات فاسدة تحمل العربي الوثني على إلزام من تحت ولايته بممارسة طقوس دينية أو الدخول في أديان مغايرة لدينه كما "كانت المرأة المقلاة(٢)في الجاهلية تنذر إن عاش لها ولد أن تهوده، فتهود قوم منهم فلما جاء الإسلام أرادوا إكراههم عليه، فنهاهم الله عن ذلك "(٣).

ثانياً: "مقالات بروكمان عن النصرانية.

أ – عرض المقالة الاولى عن النصرانية:

يقول بروكلمان عن النصرانبة في جزيرة العرب: " وعلى الرغم من ذلك استطاعت المسيحية أن تثبت للخطوب، وبخاصة في نجران، حتى ظهور الإسلام"(٤).

أ – نقد المقالة الاولى عن النصرانية:

في هذه المقالة لم يأت بروكلمان بشيء جديد، فهي سرد تاريخي مقتضب عن النصرانية في الجزيرة العربية، و خاصة في منطقة نجران(٥)، و كون بروكلمان مؤرخاً ومحققاً أرى أنه كان عليه أن لا يبقي هذه المقولة عائمة بلا نتيجة، أو أن تكون الإشارة عن تلك النتيجة بكلمات لا توصل القارئ إلى أي حقيقة سوى مقولة ضبابية، فهي كسراب بقيعة.

فحبذا لو أن بروكلمان بين الخطوب التي ثبتت لها النصرانية في نجران وآمل أن لا يكون منعه من ذلك أن المتسبب في ذلك كله هم المتهودة الذين ذاقت النصرانية وأتباعها في نجران على أيديهم صنوف العذاب.

---

(١) رواه البخاري،كتاب الايمان٤١، باب ما جاء أن الاعمال بالنية والحسبة،رقم ٥٤، العسقلاني، ابن حجر،فتح الباري بشرح صحيح البخاري، راجعه قصي محب الدين الخطيب، محمد عبد الباقي، دار الريان للتراث،القاهرة،ط١ ،١٤٠٧هـ ١٩٨٦ م، ج١ ،ص ١٦٣-١٦٤.

(٢) المرأة المقلاة :التي لايعيش لها ولد ،وأصله من القلت وهو الهلاك .أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني،سنن أبي داود،عزت الدعاس وعادل السيد ،دار ابن حزم ،بيروت،ط١ ،١٤١٨هـ ١٩٨٧م ،ج٣ ،ص٩٢.

(٣) على، جواد،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج٦، ص ٥١٥.

(٤) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص١٦.

(٥) نجران:مدينة سعودية على وادي نجران على حدود اليمن، اشتهرت بالمسيحية وشهدائها الذين أحرقهم ذو نواس في الأخدود(٥٢٣) أطلال مدن ومعابد قديمة و سدود ونقوش وكتابات سبئية ومعينية. أنظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص٥٧١.

فقد جاء عن أصحاب الأخدود، كما أشارت بذلك كثير من المصادر: أنهم "كانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام،[١] حيث حُفر لهم أخدود وأحرقوا فيه، وهم من نصارى نجران قتلهم (ذونواس اليهودي) [٢] وكان زعيم نصارى نجران الذي ثبت النصرانية فيها ونشرها بين النجرانيين رجل من أهل نجران اسمه (عبد الله بن تامر).

كان قد أخذ النصرانية عن راهب لازمه وتعلق به، وأثر في قومه بشفائه الأمراض بالدعاء إلى الله لشفائهم، فدخل كثير ممن شفوا وبرؤوا بدينه[٣]، وقد ذكر ابن كثير في تاريخه أن أمر أهل نجران استجمع على دين عبد الله بن التامر، وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه، مما حدا بذي نواس إلى أن يخيرهم بين اليهودية أو القتل، فاختاروا القتل، فخد لهم الأخدود، وحرقهم بالنار، وقتلهم بالسيف، ومثل بهم وهم قريباً من عشرين ألفاً[٤].

وبعد كل ما حصل لنصارى نجران على أيدى اليهود مما ذكر يكتفي بروكلمان بمقولته المقتضبة تلك كما فعل ذلك في مقولته عن تاريخ نصارى نجران قبل الإسلام فعله في مقالته عنهم بعد الإسلام، إذ أغفل فيها بروكلمان كيف تعامل رسول الله ﷺ مع نصارى نجران بأسلوب حضاري وجادلهم بأسلوب علمي غير مسبوق؛ إذ دعاهم ﷺ لزيارته في المدينة النبوية، وأنكر عليهم لبسهم لخواتم الذهب وجرهم ذيول الأثواب، بالإعراض عنهم ولم يكلمهم إلا بعد أن خلعوا تلك الخواتم والأثواب[٥].

ومع قدوم وفد نجران بهذه الصورة على رسول الله ﷺ من التكبر والتنمق والتبختر يجعل القارئ يعرف أنه لم تكن نية الوفد البحث عن الحقيقة والدخول في الدين الحق، وإنما من أجل الإبهار ورمي الشبهات،ومع ذلك فقد كان حلم رسول الله ﷺ وحكمته قد أحاط بالقوم من كل جانب، فقد رد عليهم ما قالوه في النبي عيسى بن مريم عليه السلام بأنه ابن الله، كما جاء في سورة آل عمران حيث افتتحت السورة بتنزيه الله عن الند أو الولد أو الموت، وقتل عيسى ابن مريم عليه السلام وصلبه في قولهم، وبين لهم كيف اصطفى آل عمران على العالمين كما اصطفى مريم على نساء العالمين وأنه لا عجب أن ولد عيسى عليه السلام بغير أب فقد خلق آدم عليه السلام بلا أبوين[٦].

وبعد ذلك كله وما هم فيه من غيٍ وعناد حيث دعاهم رسول الله ﷺ إلى المعجزة الحسية التي

---

(١) القرطبي، محمد بن احمد، الجامع لأحكام القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٧م، ج١٩، ص٢٨٧.
(٢) ذو نواس اليهودي (ت٥٢٤):آخر ملوك حمير فتح نجران وأحرق أهلها النصارى بني الحارث بن كعب في أخدود النار قضى عليه النجاشي. أنظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص٢٥٧.
(٣) أنظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣، ص٤٥٨.
(٤) أنظر: ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج٢، ص١٥٦.
(٥) أنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٣٧٠.
(٦) أنظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٢٥٨-٢٦٥.

تثبت صدق نبوته ﷺ فأنكروا دعاهم إلى المباهلة، متنقلاً بالحجة والبرهان من مبادئ العقول إلى المحسوسات، ليرسخ مبادئ حوار الأديان قبل أربعة عشر قرناً من الزمان حيث دعاهم للحوار وطبقه على واقع الحياة من خلال وفد نجران،وذلك بدعوتهم ثم بحوارهم ومجادلتهم بالتى هى أحسن بالنقل والعقل والحس، قال ابن كثير رحمه الله: لما أبوا طلبهم رسول الله ﷺ للملاعنة [١] ومعه الحسن[٢] والحسين[٣] وفاطمة[٤] وعلي [٥]رضى الله عنهم، والتى لم يجب الوفد النجراني لها لها أو مخاف عواقبها و إنما طلبوا من رسول الله ﷺ أن يبعث معهم رجلاً أميناً، ومهما يكن منهم فقد نزل لهم ﷺ لكل ما طلبوا واجابهم لكل ما سألوا[٦].

وما هي إلا سنوات معدودات حتى أرسل إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال فأجاب القوم إلى الإسلام ووفدوا على رسول الله ﷺ وهم يحمدون الله أن هداهم إليه.[٧]

ومن هنا يتضح لنا كيف تعامل اليهود مع نصارى نجران وكيف تعامل معهم رسول الله ﷺ بأسلوب لم يكن مألوفاً في عصر غابر من عصور البشرية المظلمة حيث أنار الاسلام جوانب الحياة الإنسانية التي لم يحسن تطبيقها غير المسلمين مهما ادعى غيرهم خلاف ذلك.

ب - عرض المقالة الثانية والثالثة والرابعة عن النصرانية:

٢-المقالة الثانية يقول بروكلمان "أما النصرانية فتأتت للعرب، الذين يمتازون بحساسيتهم البالغة للانطباعات الخارجية من طريق مغايرة كل المغايرة، فقد كان جميع البدو في الشمال على اتصال

(١) الملاعنة: وتعني المباهلة بأن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا لعنة الله على الظالم منا قال تعالى (ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (ال عمران:٦١.)أنظر: عجيبه، د. أحمد علي، نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة، دار الافاق العربية،القاهرة ،ط١، ٢٠٠٤،ص١١٤.

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب، سبط رسول الله وريحانته.مولده في رمضان من السنة الثالثة للهجرة على الأرجح، ترك الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان حقناً لدماء المسلمين توفي ٥٠ للهجرة على الأرجح. أنظر: العسقلاني الأصابة في تميز الصحابة.ج١،ص٣٢٧.-٣٣٠.

(٣) الحسين بن علي بن ابي طالب، سبط رسول الله وريحانته.ولد سنة ٤ على المشهور قتله جيش العراق لخروجة على يزيد بن معاوية، سنه ٦١ للهجرة.أنظر: العسقلاني الأصابة في تميز الصحابة.ج١،ص٣٣١-٣٣٤.

(٤) فاطمة الزهراء بنت رسول الله، وليس للرسول نسل إلا من طريقها زوج أمير المؤمنين علي بن طالب وأم السبطين الحسن والحسين.وسيدة نساء أهل الجنة.توفيت في رمضان سنة ١١ للهجرة.أنظر: ابن حجر، الأصابة في تميز الصحابة، ج٤، ص ٣٦٥-٣٦٥.

(٥) علي بن ابي طالب ابن عبد الملطلب ،هاشمي قرشي ،ابو الحسن ولد قبل البعثة بعشر سنين ،وتربى في حجر رسول الله ﷺ،شهد الغزوات عدا تبوك ،استخلفه سول اللهﷺ بيوع بالخلافة سنة ٣٥ هـ وقتل في رمضان سنة ٤٠ هـ.انظر :الأصابة في تميز الصحابة ،ج٢ ص٥٠١-٥٠٣.

(٦) أنظر: ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج٥، ص٦٥-٦٦ .

(٧) أنظر: ابن كثير، البدِاية والنهاية، ج٥، ص١١٤. جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٣، ص٥٣٢.

وثيق بالآراميين[١] الذين استوطنوا تلك الديار و الذين لونت النصرانية حضارتهم منذ زمن طويل تلوينا تاما. والواقع ان النصرانية تمتعت في ظل الامبراطورية الرومانية بقوة اجتذاب عظيمة، لمجرد كونها دين الدولة الرسمي، ومع ذلك فقد انضوت الاسرة اللخمية[٢] العاملة في الحيرة لخدمة الفرس آخر الأمر تحت لواء المسيحية، معتقد أتباعها الحضريين، و ليس من شك في أن بلاد العرب الداخلية و بخاصة مدن الحجاز التجارية لم تكن تجهل كل الجهل تعاليم المسيحية و تقاليدها، بسبب من اتصالها الدائم بقبائل الشمال،و ليس من شك أيضا في أن الرهبان الذين انتشرت صوامعهم من فلسطين و شبة جزيرة سيناء حتى قلب الصحراء،كان لهم أثر كبير في تعريف العرب بالنصرانية. أضف الى ذلك أن الصحراء كانت ملجأ لبعض الفرق المضطهدة من الكنيسة الرسمية،فكان طبيعيا أن تكون أقدر على النجاح في نشر تعاليمها من كنيسة الدولة الرسمية"[٣].

٣-المقالة الثالثة يقول بروكلمان :"نعم كان تأثير النصرانية واسع الانتشار قديماً في جزيرة العرب "[٤].

٤- المقالة الرابعة يقول بروكلمان : "وكان العرب على حافة الصحراء السورية على اتصال دائم بالنصرانية... وكانت النصرانية واسعة الأنتشار على عهد الرسول " ﷺ" ...." [٥]

ب- نقد المقالة الثانية والثالثة والرابعة عن النصرانية:

بقراءة هذه المقالة لبروكلمان عن النصرانية نجد أنه يغلب عليها السرد التاريخي الذي هو ليس محل دراستنا هنا، ولكن سأحاول أن أنتزع من هذه المقالة الجوانب العقدية الدينية التي تهمنا هنا، وساضعها في نقاط متسلسلة مع نقدها و هي كالتالي:

١- قوله "ومع ذلك فقد انضوت الأسرة اللخمية العاملة في الحيرة لخدمة الفرس آخر الامر، تحت لواء المسيحية معتقد أتباعها الحضريين" [٦]فمن أجل إيضاح هذا النص عن المسيحية عند عرب العراق ومن أجل مزيد فهم واستجلاء قولٍ، أرى من الحُسن أن استدعي مقالة أخرى لبروكلمان يوضح فيها ويقرر تسامح الأكاسرة مع أتباعهم في اعتناق ما يشاؤون من الأديان وذلك حين تسامح الفرس مع بعض رعاياهم في اعتناق النصرانية حيث قال: "أما خُلفاؤه (عمروبن

(١) الآراميين: شعب سامي ظهر حوالي القرن ١٣ ق.م. ما بين النهرين وعلى الفرات الأوسط حيث استقروا وتحضروا وأسسوا ممالك مستقلة في بلاد الشام وقد سقطوا على أيدي الآشورين٧٣٤ق.م.أنظر: المنجد في اللغة والأعلام،ص٣٤.

(٢) اللخمية: قبيلة عربية من كهلان القحطانية، رحل بعضهم الى شمال الجزيرة العربية وسوريا وفلسطين والعراق وأسسوا دولتهم نحو القرن الثالث.أنظر: المنجد في اللغة والأعلام،ص٤٩٣.

(٣) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٧.

(٤) بروكلمان ،تاريخ الأدب العربي ،ج١-٢، ص ١٥٣.

(٥) المرجع السابق ،ج١-٢، ص١٨٢.

(٦) بروكلمان ،تاريخ الشعوب الأسلامية ، ٢٧.

عدي)[١] فقد جعلوا مقرهم بوصفهم عمالاً للفرس في الحيرة... وأعتنق أتباعهم المذهب النسطوري المسيحي[٢] فترة من الزمان، في حين تعلقوا هم أنفسهم تعلقاً شديداً بمعتقداتهم الوثنية"[٣] فهاتان المقولتان تبينان للقارئ الكريم تسامح الفرس مع الاديان الاخرى سواءً ما كان منها وثنياً ام سماوياً، إذ يؤدي بنا ذلك إلى نتيجة لا مفر منها سبق أن اكدناها لبروكلمان أن الدين السماوي إن كان محرفاً فهو غير ذي أثر إذاً فلا ضير منه بل يجب الإفادة من أتباعه سواءً اقتصادياً أم صناعياً أم عسكرياً الخ.. [٤]

٢- في هذه المقالة نجد أن بروكلمان قد عمم النصرانية على أجزاء كبيرة من بلاد العرب، ففيما سبق ذكر النصرانية في شمال الجزيرة العربية ثم هو ينتقل مرةً اخرى إلى داخل الجزيرة العربية وخص بذلك بلاد الحجاز وانتشار الرهبان في أرجائها دعوة وتعريفاً بالنصرانية فمن أجل ذلك يتبادر إلى الذهن المتوقد بالتفكير المستنير سؤال هو هل لبروكلمان مقاصد وأفكار يرمي اليها من قريب أو بعيد؟ ولنعرف تلك الافكار والمقاصد ينبغي أن نبين أهداف تلك المقولة التي هي:

أ- معرفة العرب بالنصرانية وشرائعها في داخل الجزيرة العربية ومنها مدن الحجاز.

ب- انتشار الرهبان في أرجاء الجزيرة العربية ونجاحهم بنشر تعاليم النصرانية. فالسؤال هنا هل هما فكرتان بريئتان؟ أم شبهتان خبيثتان؟ ساقهما بروكلمان بغرض المعرفة الانسانية أم من أجل الدسيسة على نبوة سيد البرية محمد ﷺ ؟ تفطن ثم تفكر لماذا أغفل النصرانية في أرجاء جزيرة العرب عامة وقفز إلى حجازها خاصة؟ ولماذا قرر بروكلمان معرفة العرب بتعاليم النصرانية دون اعتناقها؟ فلعلي لا أستبق الإجابة عن هذه الشبهات التي سيكون الرد عليها في مباحثها المخصصة لذلك، لكن هذا لا يمنع من الإشارة إلى أن بروكلمان كغيره من المستشرقين الذين انتهجوا وضع الشبهات دونما الاشارات، ولكنهم يُعرضّون حتى تستنتجها عقول المرجفين الذين يظنونه صيداً ثمينا وهو غثٌ غير سمين فهو من خلال ما ذكر كأنما يقول إن ما جاء به محمد ﷺ هو من إخبار كل قس ومبشر، وليس وحياً كما قال وذكر، ومهما يكن فإن خلاصة القول أن النصرانية عند العرب لم تكن من الاديان المنتشرة إذ إن "أديان العرب في العصر الجاهلي كان أبرزها دينين:

---

(١) عمرو بن عدي(ت نحو ٣٢٨) مؤسس سلالة بني نصر اللخميين في الحيرة.أنظر:المنجد في اللغة والأعلام، ص٤٨٠.

(٢) المذهب النسطوري المسيحي:طائفة من المسيحين. ينتسبون الى نسطورا بطريرك القسطنينية سكن الموصل وأرمينا ونشروا المسيحية في إيران والهند والصين ينكرون أن مريم أم الله، أنظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص٥٧٣.

(٣) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٣.

(٤) انظر :ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة، دار الجيل، بيروت، دط، ج١١-١٢، ص٢٧٩. د. على جواد، جواد، المفصل في تاريخ العرب، ج٦ ص٦٢٨- ٦٢٩.

الصابئة [١] والمجوسية. وهما الدينان اللذان كانا يسودان في ذلك الحين العالم الشرقي." [٢].

ثالثاً: الأديان الاخرى:

بعد أن تعرضنا لمقالات بروكلمان التي كان آخرها عن النصرانية مروراً باليهودية وابتداءً بالوثنية وعبادة الاصنام عند العرب قبل الاسلام عرضاً ونقداً نرى أن بروكلمان لم يتعرض إلى أي ديانة أخرى عند العرب قبل الاسلام مع وجود أديان أخرى غير ما ذكر لذا نكتفي بما اكتفى به بروكلمان مع أن الريبة تقع في قلوبنا، والشك يقدح في أذهاننا، ولنا أن نتساءل لماذا ذكر بروكلمان اليهودية والنصرانية مع وجود أديان غيرها أكثر انتشاراً وأعظم سطوة ؟ إن بروكلمان ومن سار على طريقته من المستشرقين إن كان مرادهم الإيحاء بأن ما جاء به النبي محمد ﷺ من دين وشريعة لم يكن وحياً يوحى إنما هو مقتبس من اليهودية والنصرانية فهو مثلاً يشبه عدد الصلوات المفروضة على محمدﷺ بما هو موجود عند اليهود من صلوات[٣].

بل قد ذهب بروكلمان إلى أبعد من ذلك حينما قال: "لقد اقتبس النبي عن التوراة فكرة الخطيئة الاصلية[٤]، وعلم أن الله قد بعث إلى كل شعب في أوقات معينة- ابتغاء تحذير الجنس البشري من الخطيئة، وبخاصة خطيئة عبادة الاوثان- برسل أوحى إليهم بمشيئته من طريق الملك جبريل[٥]، وانما تنتظم كتب اليهود والنصارى المقدسة هذا الوحي الالهي، ولكن محرفاً عن ما وضعه من غير شك "[٦]. اذا فهي شبهة نعرفها من مستشرق يرمي بها ذات اليمين وذات الشمال لعلها تشكك المؤمن بصدق نزول الوحي على نبينا محمد ﷺ كما فعل غيره من المستشرقين، حيث زعم أحدهم أن قصة زكريا في القرآن مقتبسة من الانجيل[٧] كما زعم مستشرق آخر أن محمداً ﷺ نظم القرآن محاكاة للتوراة والانجيل[٨]، ومرة اخرى لعلي لا اتعجل الرد على هذه الفرية حتى يحين يحين أجلها في موضعها المقدر لها أن تموت فيه بإذن الله تعالى، ولكن لا مانع من عرضها حتى يتأهب لها القارئ الكريم، ويأخذ حذره مما افترته أقلام القوم،ولعلي لا أغادر هذه الرقعة مما كتبت حتى أنقل القارئ فيما ذهبت إليه من الظن إلى اليقين حول افتراء بروكلمان من أن الشريعة

---

(١) الصابئة :أتباع نحلة تؤله الكواكب كان مقرهم في حران ،مابين النهرين أشتهر منهم أطباء وفلاسفة ومنجمون .انظر :المنجد في اللغة والأعلام، ص٣٤٢.

(٢) إرفنغ، واشنغتون، حياة محمد سيرة نبي الإسلام، ترجمة د. على حسني الخربوطلي، الأهلية للنشر والتوزيع، الاردن، ط١، ٢٠١٤م، ص٢٣ .

(٣) أنظر: بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٦٩.

(٤) الخطيئة الأصلية: سيتم التحدث عنها في الفصل الثالث.

(٥) جبريل: من رؤساء الملائكة. هو عند المسيحيين ملاك بشارة زكريا والعذراء. وعند المسلمين أ حد الملائكة المقربين الى الله منه تلقى الرسول رسالته. أنظر: المنجد، ص ١٧٩.

(٦) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية،ص٦٥-٦٦.

(٧) أنظر: درمنغم، إميل، حياة محمد في عيون مستشرق، ترجمة عادل زعيتر، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٤م، ص١٢٧.

(٨) أنظر: م.سفاري، المستشرقون وتحريف السيرة النبوية مختصر حياة محمد، ترجمة محمد عبد العظيم، دار الاندلس الجديدة للنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ص٤٤.

الإسلامية أخذها رسول الله ﷺ في جلها من التعاليم اليهودية والنصرانية فيقول: "وليس يجوز أن نطلق الحكم على دين محمد على أساس القرآن وحده طبعاً، وليست المسألة مسألة نظام مرتب إذا لم تكن الدقة والتماسك الفكري أقوى جوانبه على الإطلاق، ولم يكن عالمه الفكري من إبداعه الخاص إلا إلى حد صغير، فقد انبثق في الدرجة الأولى عن اليهودية والنصرانية، فكيّفه محمد تكييفاً بارعاً وفقاً لحاجات شعبه الدينية." [(١)]

كل تلك الشبهات سوف ارد عليها في المباحث القادمة في موضعها إن شاء الله تعالى ببيان وتفصيل و كما قيل الباطل لجلج والحق أبلج.

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٦٤.

المبحث الثاني

مقالات بروكلمان في الكعبة والحجر الاسود: عرض ونقد

المطلب الاول: مقالات بروكلمان عن الكعبة:عرض ونقد.

ا- عرض المقالة الاولى:

قال بروكلمان " سار الحاكم الحبشي أبرهة بتحريض من بيزنطة التي كانت تتوق إلى الاشتباك بعدوتها القديمة فارس في الجنوب ايضا - الى بلاد العرب الجنوبية، فاستولى عليها واندفع لمهاجمة الفرس في الشمال، ولكنه لم يوفق للتقدم إلى ما وراء مكة. ومهما يكن من أمرٍ، فقد استولى على البلاد بعد أربعين عاما أحد قواد الملك الساساني"(١).

ا- نقد المقال الاولى:

يبدو في هذه المقالة أن الأمانة العلمية عند بروكلمان قد انعدمت، والتبست عليه السبل فضل الطرق ولم يكتف بالضلال، بل أحب الإضلال، فكيف يجرد حملة أبرهة لهدم الكعبة من الدوافع الدينية فجعلها سياسة محضة بدعوى غزو بلاد فارس، لكن يبدو أن أبرهة الاشرم وهو من القادة العسكريين والملوك المعتبرين قد ضل الطريق وأخطأ المسير، فمن قال لأبرهة إن الطريق الى بلاد فارس يمر عبر مكة ثم رجوعا إلى اليمن! ومن قال إن أهل مكة يدينون بالولاء السياسي للفرس؟ وإن أهل مكة يعتقدون ديانة ملوك الفرس وشعوبها؟

وكيف نسي بروكلمان أن أبرهة الاشرم " بعد أن فرغ من القضاء على الثورات، ومن ترميم سد مأرب، انصرف إلى نشر المسيحية ومحاربة الاديان الاخرى"(٢) ثم إنك لتعجب كيف أغفل بروكلمان النزعة الدينية النصرانية عند الملك أبرهة الذي كان دائما ما يفتتح مراسلاته وكتبه بعبارة "(بخيل رحمن ومسحهو)، أي (بحول الرحمن ومسيحه)، الذي دونه على سد مأرب بجملة (بخيل ودا ورحمت رحمنن ومسحهو ورح قدس)، ومعناها: (بحول وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه روح القدس)"(٣) ومهما يكن فإن هذه الحملة كانت مدفوعة بمعتقد الديانة النصرانية الذي اختلط بالنزعة الاستعمارية فأيهما كان المُسير فإنه لا يعني شيئا، فهما يشتركان في الحملة نفسها من أجل هدم بيت رب إبراهيم الخليل عليه السلام وما يرمز اليه من وحدانية الله جل وعلا إلى عقيدة مسيحية تدعي وحدة الإلوهية بينما هي تعتقدُ بالثالوث مختلطة بوثنية الرومان، ونسي أولئك القوم أن مكة تهدم ولا تُهدم، وأن هدمها إنما هو بإذن من الله تعالى بهدم العالم وانتهاء صلاحه، وأخيرا وهذا المهم الأهم لماذا لم يشر بروكلمان عن السبب في عدم توفيق أبرهة في السير إلى ما

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص ١٦.
(٢) د. مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، ص٣٧٩.
(٣) د. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ص ٤٩٤.

وراء مكة، وهو الحدث العظيم الذي يشير بكل جلاء ووضوح إلى قداسة هذه البقعة من الأرض، وأن لها شأنا سماويا في مستقبل الأيام بالنور الذي سيجلو ظلام الليالي الطوال ويدندن بأحداث أقل شأنا منها كلقاء الراهب بحيرا رسول الله ﷺ وهو غلام يافع. فلا شك أذن بأن الحدث الأول- مهما عظم – لا يخدم أهدافه، وأما الآخر فإنه بحسب رأيه يكرس أوهامه بأن التعبير عن قصة أصحاب الفيل بعبارة- ومهما يكن من أمر- مع عدم التصريح بها إنما هو مجافاة لمنهج البحث العلمي الذي يدعيه المستشرقون، ولا نحتاج في إثبات قصة أصحاب الفيل إلى الخوض في الروايات التاريخية النقلية أو التأويلات العقلية مادام الواقع الذي لا يستطيع أن ينكره أحد من البشر قد أقر ذلك لأمرين:

١- ما كان رسول الله ﷺ ليتلو على كفار مكة سورة الفيل لو لم يكن وقوعها مشاهدا محسوسا.

٢- إنه لو لم يكن أصحاب الفيل أمرا محسوسا ومشاهدا لدى كفار قريش لأثر عنهم أو عن بعضهم تكذيب لرسول ﷺ وهم الباحثون عن كل هفوة وزلة.

المطلب الثاني: مقالات بروكلمان في الحجر الاسود: عرض ونقد.

أ- عرض المقالة الأولى:

قال بروكلمان:"ومن هنا قدس العرب القدماء ضروبا من الحجارة في سلع وغيرها من بلاد العرب، كما يقدس المسلمون الحجر الاسود القائم في زاوية الكعبة في مكة."[١]

أ- نقد المقالة الأولى:

هذه المقالة من بروكلمان تقوم على القياس؛ فقد قاس تقديس العرب القدماء أنواعاً من الحجارة كما قدس المسلون الحجر الاسود. ومن هنا يحق لنا أن نطرح بعض الاسئلة التي سينكشف من خلالها هشاشة هذه الدعوى الاستشراقية. فهل تقديس العرب للحجارة كما هو تقديس المسلمين للحجر الاسود؟ وهل قياس أحدهما على الاخر قياس منضبط؟ وما هو مراد بروكلمان بالتقديس؟ فلعلي قبل الخوض بمراد بروكلمان بالتقديس وأعرّج على معنى كلمة تقديس عند أهل الاختصاص ف" التقديس في لغة العرب يعني: التطهير، ومنه الارض المقدسة، وبيت المقدس، كمجلس ومعظم. وتقدس: تطهر "[٢] فمعنى التقديس: هو التعظيم والتطهير. فهل قدست العرب الأحجار لمجرد تطهيرها وتعظيمها أم لشيء آخر لم يذكره بروكلمان لحاجة في نفسه. وما هي غاية المسلمين من تقديس وتعظيم وتطهير الحجر الاسود ! إن بروكلمان كغيره من المستشرقين يكتبون بالمنطقة الرمادية التي لا يتبين أسودها من أبيضها فيتوه القارئ في ليل صحرائها فلا يعرف شرقها من غربها إلّا إن كان حاذقا في تفاصيل نجومها، حيث إن بروكلمان في كلتا الحالتين لم يقدم لنا

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص ٢٤.

(٢) الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م، ص ٧٢٨.

نتيجة التقديس سواء عند العرب في الجاهلية، أم عند المسلمين في دينهم، وقبل ذلك كله لم يقدم لنا الأوصاف الجوهرية وغير الجوهرية التي تخول له وبشكل علمي ومنطقي أن يقيس. فهل هيئة الحجر الأسود كهيئة أحجار العرب التي يقدسون؟ أم أن جنس الحجر الأسود من أجناس أحجار العرب التي يعبدون؟ وهل ما يرمز إليه الحجر الأسود هو ما ترمز إليه أحجار العرب التي يعظمون؟ كل هذه التساؤلات وغيرها سنقوم بمشيئة الله تعالى بالرد عليها من خلال الرد على مقالات بروكلمان في الحجر الأسود لكي نبين أن هذا القياس الذي قرره بروكلمان لا يقوم على وجه شبه حقيقي جوهري،وإنما ينطلق من وجه شبه ظاهري متعلق بالظاهر حيث تكون النتيجة ليست ظنية بل خاطئة نتيجة مغالطة القياس التمثيلي الذي "يقوم على نقل وصف أو حكم من حالة جزئية معينة إلى حالة أخرى لوجود شبه بين الحالتين، ونتيجة هذا النوع ظنية وقد تكون خاطئة حيثما يكون وجه الشبه صفة عرضية وليست جوهرية أو رئيسية"(١).

ولعلي أسأل بروكلمان هل كل ما يُعظم ويقدس يعبد؟ وهل تقديس المسلم للقرآن الكريم وتعظيمه له وتطهيره عبادة له؟ فإني لم أسمع أحداً من قبل أخبر بأن المسلمين يعبدون القرآن إلا أن يكون هذا القول من بعد.

"إن هذا الاستدلال(٢) الذي شرحناه هنا لا يقوم على وجه شبه حقيقي جوهري وإنما يعتمد على وجه شبه ظاهري يتعلق بالشكل الخارجي فحسب، ولهذا فإن نتيجته ليست ظنية بل خاطئة وفيها غلط، فهي مغالطة"(٣).

ولمزيد إيضاح نطرح هذا المثال فالقصدير الاصفر يلمع وكذلك الذهب الأصفر يلمع فهل كل ما يلمع ذهب! قطعا ًلا حتى وإن اشتركا في صفات كونهما معدنين لامعتين فإنه لا يعني تشابههما فليس كل ما يلمع ذهبا وليس كل ما يقدس يعبد.

ب- عرض مقالات بروكلمان عن الحجر الاسود الثانية والثالثة والرابعة:

قال بروكلمان في مقالاته الثلاث عن الحجر الاسود:

٢- المقالة الثانية :"الحجر الأسود ولعله أقدم وثن عُبد في تلك الديار."(٤)

٣- المقالة الثالثة :"وعندما بلغ محمد الكعبة طاف بها سبعاً على راحلته، لامساً الحجر الأسود بعصاه في كل مرة. وبذلك ضم هذا الطقس الوثني إلى دينه."(٥)

---

(١) أحمد، عزمي السيد طه، مدخل إلى علم المنطق، ص ٢٦٤.
(٢) الاستدلال هو :القياس ،قاس الشئ على الشئ اذا قدره بقدره.انظر :الأثري ،عبدالكريم بن مراد،تسهيل المنطق،مطابع سجل العرب،ط٢، ١٩٨٤م،ص ٥١.
(٣) أحمد، عزمي السيد طه، مدخل إلى علم المنطق، ص ٢٦٤.
(٤) بروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٣٠.
(٥) المرجع السابق، ص٥٧

٤- المقالة الرابعة: "ويضم الحائط اليماني على ارتفاع خمسة أقدام عن سطح الأرض الحجر الأسود الشهير الذي يتألف اليوم من عدد من الحجارة الصغيرة وثلاثة أحجار أكبر منها، والذي يشد بعض أجزائه إلى بعض شريط فضي، ولعل هذا الحجر أقدم الأوثان التى عرفتها مكة قبل الإسلام وهو يشبه الحجارة المقدسة الأخرى التي كثيراً ما نجدها عند الساميين، ولقد أخذ محمد عادة تقبيله أثناء الحج دون أن يضع لها أساساً معيناً.والحق أننا لا نجد منذ فجر الإسلام ضعفاً في معارضة كل تقديس للحجارة والأنصاب [١]على اعتبار أن ذلك ضرب من الوثنية."[٢]

ب-: نقد مقالات بروكلمان عن الحجر الاسود الثانية والثالثة والرابعة:

هذه المقالات الثلاث شبهتها واحدة،ومغزاها الذي يريد بروكلمان أن يرسخه في ذهن القارئ واحد وهو وثنية الحجر الأسود، وهذه النتيجة قد توصل لها بروكلمان من مقدمة هي أنَّ العرب كانت تعبد الحجر الأسود،فحبذا لو أن بروكلمان كفانا مشقة البحث وأحالنا على مصدر أو مرجع يثبت لنا من خلاله أن العرب كانت تعبد الحجر الأسود حتى نوافقه على أن هذا الحجر من مظاهر الوثنية، وليس مظهراً من مظاهر التوحيد وعبادة الله وبقايا ملة الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كما سنثبته خلال البحث.

لنسأله مرة أخرى وبصيغة مغايرة أين دليل هذه الدعوى إذ يستلزم البحث العلمي استناد الرأى أو الدعوى إلى دليل. فإين هو هذا الدليل ؟ سواءً أكان ذلك الدليل من مصادرنا أو من مصادرهم. فإني لم أجد في المصادر العربية والإسلامية على حد علمي ما يدل على أن الحجر الأسود كان يعبد عند العرب قبل الإسلام إذاً فهي دعوى هشة لا تمت للبحث العلمي بأى صلة لعدة أسباب أهمها:

١- أن أصحاب هذه الدعوى من المستشرقين لم يقدموا لنا دليلاً منقولاً أو محسوساً أن العرب كانت تعبد الحجر الأسود قبل الإسلام.

٢- بعد تتبع بعض من رد على هذه الشبهات من الباحثين نجد أنهم قد جزموا بأن العرب لم تكن تعبد الحجر الأسود فقد "اتخذ العرب آلهتهم في الجاهلية من أشياء لا تحصى، ومع ذلك فلم يروا مطلقاً أن الحجر الأسود كان ضمن آلهتهم."[٣]

ولنا أن نتساءل: "هل نقل مؤرخ أو ذكر شاعر أو خط أديب من الأقدمين أن الحجر الأسود كان وثناً من الأوثان في أى عهد من عهود البشرية ؟"[٤]

---

(١) الانصاب:الحجر إذا نصب للعبادة.أنظر: الكلبي، الأصنام، ص٦٣.
(٢) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٧١.
(٣) العيساوى، محمود خلف جراد، افتراءات المستشرق بروكلمان على التاريخ العربي الإسلامي، ص١٨٨.
(٤) المرجع السابق، ص١٩٠..

وقد ذهبت لمثل ذلك من النفي موسوعة بيان الإسلام لنخبة من كبار العلماء فقد جاء فيها " شرع الإسلام تقبيل الحجر الأسود لما له من منزلة عظيمة، وما يقال من أن أصله صنم جاهلي هو افتراء خالص لا يسنده شيء من حق أو علم."(١)

إذا كان كذلك حيث لم يوجد ثَمَّ مستند يبني عليه أساس مقولته فكيف ساغ له أن يقطع بتلك المعلومة المغلوطة التى تدل على هشاشة طرحه العلمي.

٣- وكما تتبعت أهم المصادر العربية التي تحدثت عن تاريخ العرب قبل الإسلام وعن أصنامهم فلم أجد ما يشير إلى أنهم عبدوا الحجر الأسود أو أنه كان من أصنامهم ومن هذه المصادر:

أ) كتاب الأصنام لابن السائب الكلبي حيث ذكر فيه كثيراً من أصنام العرب وأحجارهم التى كانوا يعبدون،ولم أجد فيه شيئاً عن عبادة العرب للحجر الأسود(٢).

ب) البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي حيث تتبعت ما عبدت العرب فلم أجد ما ذكره بروكلمان بأن العرب قد عبدت الحجر الأسود مماثلة بأصنامها أو أوثانها أو أنصابها التى اتخذتها والأحجار أرباباً بل وجدت خلاف ما ذكر، حيث إن تلك الأحجار من الأصنام والأوثان والأنصاب كانت تتخذ أرباباً من دون الله سواءً بالذبح والطواف والتوسل والتقرب(٣)، أما الحجر الأسود فإنه لم يعدُ كونه رمزاً يقدس ويكرم من باب تقديس وتكريم الكعبة لانها بيت الله في الأرض

"قال أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة:

وبالبيت حق البيت من بطن مكةٍ *** وبالله إن الله ليس بغافلٍ

وبالحجر المسود إذ يمسحونه *** إذ اكتنفوه بالضحى والأصائل(٤).

إن شعر أبى طالب توصيف دقيق لمنزلة الحجر الأسود عند العرب قبل الإسلام حيث لم تعدُ أن تكون تلك المنزلة غير ما ذكرنا.

جـ: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام حيث تتبعت فيه المجلد السادس وهو الخاص بأديان العرب ومعبوداتهم وأصنامهم فلم أجد فيه أن العرب قد اتخذت الحجر الأسود وثناً يُعبد ولكن من باب الأمانة العلمية أرى أنه من الواجب ذكر كلام للمؤلف قد يكون نحى فيه منحى المستشرقين حيث يقول " ولا يستبعد أن تكون صخرة اللات صخرة من هذه الصخور المقدسة التى كان يقدسها

---

(١) نخبة من كبار العلماء، موسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات، دار نهضة مصر، ط١، ٢٠١١م، القسم ١، ج٤، جزء ٦، ص١٠٧.
(٢) أنظر: ابن الكلبي، كتاب الاصنام.
(٣) أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢ ص٢٣٥- ٢٤٤، ابن الكلبي، كتاب الأصنام،ص٦٣.
(٤) ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج١، ص١٨٩.

الجاهليون ومن بينها (الحجر الأسود) الذي كان يقدسه أهل مكة ومن كان يأتي مكة..، لذلك كانوا يلمسونه ويتبركون به"(١).

وبعد ذكر هذا الكلام وما ذكرنا سابقاً يتبين الفرق بين تقديسهم لأصنامهم وتقديسهم للحجر الأسود الذي كنت آمل أن لا يلتبس هذا المعنى على جواد علي ولكن لعلي اعتذرله بأنه مختص في علم التاريخ، وليس من أهل الاختصاص في علم الأديان والمعتقدات

٤- وبعد البحث في المصادر العربية توجهت إلى بعض ما كتبه المستشرقون فلم أجد فيها ما يؤيد مقولة بروكلمان من أن الحجر الأسود كان وثناً يعبد فعلى سبيل المثال:

أ- قصة الحضارة حيث وصف المؤلف الكعبة والحجر الأسود ولم يقل مثل ما قال بروكلمان من كونهما أوثاناً تُعبد ويظهر ذلك جلياً بعد فراغه من الحديث عنهما حيث عرج على ذكر الأصنام فقال: " وكان في الكعبة قبل الإسلام عدد من الأصنام تمثل معبودات العرب، منها اللات، والعزى، ومناة "(٢).

ولم يقل ذلك عن الحجر الأسود مع أهميته ووقوعه في قلب الكعبة وكثرة من يقدسه من الحجاج وغيرهم.

ب- دائرة المعارف الإسلامية

"وفي مكة كان يطاف حول الكعبة التى فيها الحجر الأسود الذي كان مقدساً منذ قديم الزمان"(٣)

هذا النص الذي جاء في دائرة المعارف الأسلامية نقرأ منه كلمة "مقدس" ولم نقرأ كلمة "معبود" أو "وثن" وكتبة هذا النص بلا شك يدركون دلالة كل كلمة فلو كان يدور في خلدهم أنه كان وثناً أو عُبِدَ لما ذهبوا إلى المعنى البعيد الملتبس مقابل المعنى القريب البين وهم القوم الذين لا يغادرون صغيرة ولا كبيرة من الشبهات إلا ورموها بطريق أهل الصالحات، ويتضح هذا المعنى من خلال نص آخر من دائرة المعارف الإسلامية، فى الحديث عن ماء زمزم " ومن المعتاد أيضاً أن يشرب الحاج ماء زمزم المقدس أو يرش به "(٤).

فهل يعقل أن يُشرب المعبود ؟ أو يرش الوثن ؟ أم أن المقصود بالمقدس المعظم والمطهر إلى آخر هذه المعاني التى لا يحيد عنها إلا من كان الهوى راحلته والجهل بوصلته، وهذا المعنى نجده جلياً في كتاب حياة محمد حيث يقول مؤلفه: "تعتبر الكعبة وبئر زمزم أماكن مقدسة بالنسبة لأهل الشرق، وبخاصة من ينحدرون من سلالة إسماعيل، كانت مكة بما تضمه من أماكن مدنية مقدسة

---

(١) على جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٦ ص٢٣١، ٢٣٢.
(٢) ديورانت، قصة الحضارة، ج١٣، ص١٩.
(٣) دائرة المعارف الإسلامية، ج٢٢، ص٦٩٦١.
(٤) دائرة المعارف الإسلامية، ج١١، ص٣٤٦٣.

منذ زمن طويل قبل ظهور الإسلام وكانت مقصد الحجاج من جميع أرجاء بلاد العرب"(١).كما نجده في دائرة المعارف الإسلامية: "ويبدأ الطواف من الحجر الأسود وينتهى عنده، وفي أثنائه تكون الكعبة عن يسار الطائفين. ويجب على المرء أن يبذل جهداً خاصاً لكي يقبل الحجر الأسود أو يلمسه على الأقل "(٢).

ونخلص بعد هذه النقولات عن المستشرقين وغيرهم أن الحجر الأسود لا يعدو كونه حجراً تقدسه العرب وأهل الإسلام ولا يعبدونه.

٥) استخدام بروكلمان كغيره من المستشرقين في شبهاتهم ضد الأديان المنهج الاسقاطي(٣) سواءً أكان ذلك بإسقاط العبادات والطقوس التي تقوم بها الأمم السابقة أو إسقاط النظريات التى يؤمنون بها ويروجون لها فبروكلمان " أسوة بغيره من الباحثين الغربيين المؤمنين بتطور الأديان وتدرجها(٤).فقد يكون اسقط عبادة الحجارة عند غير المسلمين على الحجر الاسود عند المسلمين

فمثلاً جاء في الموسوعة اليهودية أن الديانة اليهودية تطورت من عبادة الأحجار والأشجار إلى عبادة إله ثم التراجع إلى عبادة العجل(٥).

مثل هذا التطور المزعوم قد يدعو هؤلاء القوم إلى إسقاط ذلك على الكعبة والحجر الأسود بأن أصلهما عبادة وثنية ثم تطورت إلى التوحيد كما مر معنا في المقولات الثلاث السابقة.

" إن انتشار بعض معالم الكعبة بين الشعوب السامية ومنهم وثنيون يدل على أنها ظاهرة بشرية لا علاقة لها بالوحي السماوي، خضعت لقانون التطور – ذلك الذي سيطر على العقلية الأوربية في العصر الحديث، وحاول بعض العلماء تطبيقه في مجال الأديان ايضاً (٦)، أو أن انتشار عبادة الأحجار السود وتقديسها وتقديم القرابين لها (٧)، كل ذلك قد يتم إسقاطه كما اسلفنا على الكعبة والحجر الاسود. والذي لا يجوز بأى حال من الأحوال فتلك بيوت قد اندثرت والكعبة باقية وتلك

---

(١) ارفنغ، واشنغتون، حياة محمد سيرة نبي الإسلام، ترجمة د. على الخربوطلي، ص٣٦- ٣٧.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، ج ٢٢، ص٦٩٦٢.

(٣)اسقاط :ميل الشخص الى أن يعزو الى العالم الخارجي العمليات النفسيةالمكبوتة جهلا منه بأنها خاصة به ،ويتمثل هذا المنهج في خضوع الباحث إلى هواه وعدم استطاعته التخلص من الانطباعات التي تركتها عليه بيئته الثقافية المعينة وعدم تحرره من الأحكام المسبقة التي يكونها عن موضوع بحثه ويعني تفسير التاريخ بإسقاط الواقع المعاصر المعاش على الوقائع التاريخية الضاربة في أعماق التاريخ فيفسرونها في ضوء خبراتهم ومشاعرهم الخاصة وما يعرفونه من واقع حياتهم ومجتمعاتهم . انظر : مراد وهبه ، المعجم الفلسفي ، مكتبة الأسرة،القاهرة ،دط،٢٠١٦،ص ٦٦، العيوب المنهجية في سياق الروايات الحديثية عند المستشرق مونتجمري وات في كتابيه "محمد في مكة"، "محمد في المدينة " د. نعمات الجعفري ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الكويت العدد ٩٧ ص ٢٠٨.

(٤) النعيم، عبد الله محمد الأمين،الاستشراق في السيرة النبوية، ص٦٠.

(٥) أنظر: المسيرى، عبد الوهاب محمد، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م، ج٤، ص٤٩.

(٦) شامة، محمد، الإسلام في الفكر الأوربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، ص٣٣.

(٧) أنظر: المسيرى، الموسوعة اليهودية ج٤، ص١٠٣، ديورانت، قصة الحضارة، ج١١، ص٣٢٧.

حجارة قد اندرست والحجر الاسود باقٍ، ولا يستوى بيت حُميَ بالطير الأبابيل، وبعث فيه خير المرسلين بغيره من أساطير الأولين.

ثم إن ذلك " الانتشار- وحده ليس دليلاً قاطعاً على صحته لاحتمال أن هذه الشعوب كانت واقعة تحت التأثير الروحي للكعبة، لمكانتها بين العرب قاطبة، فدفعها إلى محاكاتها في أقاليمهم، فإذا اضيف إليه ما أخبر به الوحي عن تحديد البقعة الطاهرة لإبراهيم لإقامة البيت، رجح أن الكعبة وما حولها وما يقام فيها من شعائر هو تحديد من السماء غَيَّرَ العرب فيه قبل الإسلام ثم جاء القرآن الكريم فصحح ما غُيِرَ فاستقام الدين كله لله"(١).

٦) التناقض

وقع كارل بروكلمان في هذه المقالات بالتناقض من جهتين الأولى: من جهة رسول الله ﷺ الذى حارب الوثنية بشتى صورها وأعلى من شأن عبادة الله جل وعلا وحده، ولم يتسامح مع أي مظهر من مظاهر الوثنية أو عبادة غير الله وهو في بداية الرسالة ولم يشتد عودها بعد، فكيف له بعد ذلك كله أن يتسامح مع حجر لو كان من مظاهر الوثنية وهو السيد المطاع والقائد المنتصر، فهي الحقيقة التي إن غابت عن مستشرق وحاول أن يطمسها مثل بروكلمان تظهر عند آخر مثل ديورانت بقوله: " وطاف محمد وأتباعه في أثناء ذلك بالكعبة سبع مرات، ومس محمد الحجر الأسود بعصاه مظهراً له دلائل الإجلال، ولكنه نادى ونادى بعده المسلمون " لا إله إلا الله "(٢).

والثانية من جهة بروكلمان نفسه الذى ادعى أن المسلمين يقدسون الحجر الأسود كما كان الجاهليون يقدسون الأحجار، وأن الرسول ﷺ ضم هذا الحجر وقدسه وهو طقس وثني وفى نهاية حديثه ينفي كل أقواله بأن المسلمين يحاربون تقديس الأحجار منذ اللحظة الأولى لظهور الإسلام، فهذا التناقض وعدم الثبات على مقولة واحدة يؤكد عدم صحة ما ذكر(٣).

مع الإشارة هنا إلى أن العرب كانوا على بقايا دين الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام في حجهم وزيارتهم للبيت والخليل إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وإمام الموحدين ومحطم أصنام الوثنيين.

---

(١) محمد شامة، الإسلام في الفكر الأوربي، ص٣٣.
(٢) ديورانت، قصة الحضارة، ج١٣،ص ٤٠.
(٣) أنظر: جريس، غيثان على، افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية،جدة، ط٣، ١٤١٥هـ، ص ص ١٦.

٧) عدم وضوح المصطلحات

كما وقع بروكلمان بالتناقض وقع في عدم وضوح المصطلحات والعبارات التي تلتبس على القراء وهذا خطأ منهجي يجعل القارئ في حيرة من مراد الكاتب، وكان من الأصوب التعريف بالمفردات التي استخدمها مثل التقديس والصنم والوثن والحجر الذي يُعبد، ومعنى العبادة،وغيرها من المصطلحات الدينية.

إذ إن لغة العرب ذات مفاهيم دقيقة يجب التعامل معها بحذر شديد حتى يتم الوصول للمعنى المراد، " والتراث الإسلامي لا ينفك عن اللغة والمستشرقون غرباء على اللغة، كتب شيخ المستشرقين الروس وأقدرهم بإطلاق(كراتشوفسكي)، إلى شقيقته يقول لها (إن اللغة العربية تزداد صعوبة كلما ازداد المرء دراسة لها)"[(١)].

فالمستشرق عندما يكتب عن الإسلام فلا يخلو في تعامله مع اللغة العربية وفهم مدلولاتها ومفرداتها من أن يقع تحت العجز الفطري، والعجمة الموروثة، أو يعتمد على أقوال مستشرقين سابقين لا يجيدون فهم مدلولات اللغة العربية [(٢)]. فمثلاً نرى أن مصطلح التقديس الذي مر معنا بيان معناه، قد التبس على بروكلمان فلم يعط المعنى المتعارف عليه عند العرب.

وفيما يخص التعريف بالمصطلحات فلعلي أتجاوز ذلك لأني أرى أن الكلمة قد يتغير معناها بحسب سياقها في الجملة، لذلك فإني أحيل بروكلمان والقارئ الكريم إلى المصادر التي يُستقى منها التشريع الإسلامي وهما: القرآن الكريم والسنة النبوية، فهل فيهما ما يدل على أن المسلمين يعبدون الحجر الأسود مما يترتب على ذلك صنمية الحجر الأسود أو وثنيته أو كونه من الأنصاب، فمثلاً القرآن الكريم وهو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي لم يذكر فيه الحجر الأسود أو شيء من فضائله، فضلاً عن عبادته، فإني أتعجب كيف يعبد المسلمون الحجر الأسود ولم يرد ذكره في القرآن الكريم، ناهيك عن الأمر بعبادته! وأما في السنة النبوية وهى المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي فإنى لم أجد فيها حديثاً واحداً صحيحاً يأمر المسلم بعبادة الحجر الأسود. ولعلي أسرد بعض ما جاء من الأحاديث من السنة النبوية، التى تدل على فضل الحجر الأسود وليس على عبادته:

---

(١) سرى، طارق، المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، مكتبة النافذه، الجيزة،ط١، ٢٠٠٦م ، ص١١٩.
(٢) أنظر: المرجع السابق، ص١١٩.

قول رسول الله ﷺ: " إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطا"[١].

فهل في هذا الحديث ما يدل على اتخاذ المسلمين للحجر الأسود وثناً أو صنماً يعبد كما تعبد الأصنام والأوثان والأنصاب.

وفي رجوعنا إلى معنى العبادة نجد تجاهل بروكلمان لمعنها في اللغة وهي بمعنى: الطاعة[٢]. فهل نجد في نصوص الشريعة الإسلامية سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية ما يأمر المسلم بطاعة الحجر الأسود؟

وكما ذكرت معنى العبادة في لغة العرب أذكر معنى العبادة في مصطلح علماء الشريعة الإسلامية. فقد ذكر ابن تيمية أنها " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فالصلاة والزكاة... من العبادة... رجاء رحمته، والخوف من عذابه "[٣].

ويستطرد ابن تيمية ليضع معنيين لا تكتمل العبادة إلا بهما وهما: " معنى الذل، ومعنى الحب: فهى تتضمن غاية الذل لله تعالى، بغاية المحبة له "[٤].

فبعد كل هذه المعاني التي لا تنصرف إلا لمعبود واحد بحق هو الله جل وعلا. هل نجد فى تلك المعاني ما يصرفه المسلم للحجر الأسود ؟ أم هي الشبهة والافتراء التى ما زالوا ولم يزالوا يرمون بها هذا الدين وشعائره، مع المعرفة بمفهوم الخالق والمخلوق، والعابد والمعبود، والوثنية والتوحيد!

٨) نظرة الأمة الإسلامية للحجر الأسود

يأتي الرد على ما ساقه بروكلمان أو غيره من المستشرقين حول عبادة المسلمين للحجر الأسود وأنه من مظاهر الوثنية، وذلك من خلال حال الأمة الإسلامية سلفاً عن خلف حيث لم يتعدى تقبيلهم للحجر الأسود ولمسهم وإجلالهم له من كونه شرعاً إسلامياً وجب الامتثال له " وذلك تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها تنفي عن قلبه ألوهية ما سوى الحق، وتثبت في قلبه ألوهية الحق... وإقراره بألوهية الله تعالى دونما سواه، يتضمن إقراره بروبيته وهو أنه رب كل شيء ومليكه، وخالقه ومدبره، فحينئذ يكون موحداً لله "[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ابن حنبل في مسنده،١١/٢ رقم ٤٥٨٥، والنسائي في سننه، كتاب مناسك الحج، باب ذكر الفضل بالطواف بالبيت، ٢٢١/٥، رقم ٢٩١٩ والحديث صححه الألباني، أنظر: صحيح سنن النسائي ص٤٥٢، رقم ٢٩١٩.

(٢) الفيروزبادي، القاموس المحيط، ص٣٧٨.

(٣) ابن تيمية، العبودية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٦، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ص٣٨.

(٤) المرجع السابق، ص٤٤.

(٥) ابن تيمية، العبودية، ص١٥٥ – ١٥٦.

من أجل ذلك نجد أن عمربن الخطاب رضي الله عنه لما أقبل على الحجر المسود استحضر هذا المعنى بقوله: " إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك "(١). إذاً هى طاعة الله جل وعلا رب الحجر ورب البشر، حجر جامد في زاوية، بأرض مقفرةٍ خاوية، بوادٍ غير ذي زرع، وبشرُ يملك المدر والوبر، مُقبلاً حجرا، خاضعاً لرب البشر، إنه الله من قال وأمر، فما كان من عمر إلا أن أقبل وأمتثل، مطأطئاً الرأس، مقبلاً الحجر، فهل يفهم بروكلمان النقل ويدرك الخبر.

إنها عقيدة مقررة من كلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأنه حجر لا يضر ولا ينفع، استقاها من معلمه ونبيه محمد ﷺ، واعتقد المسلمون بها خلفاً عن سلف، بأنه حجر لا يضر ولا ينفع وهذا مظهر لأعظم خصائص الربوبية التي تُصرف للمعبود رجاء نفعه ومخافة ضره.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، ح١٥٩٧، ج٢، ص١٤٩،.

الفصل الثاني

النبوات

مقالات بروكلمان في الرسول ﷺ.

المبحث الأول: بعثة الرسول ﷺ من وجهة نظر بروكلمان،عرض ونقد.

المطلب الأول: عرض مقالات بروكلمان في بعثة الرسول ﷺ.

المطلب الثاني: نقد مقالات بروكلمان في بعثة رسول الله ﷺ.

المبحث الثاني: مفهوم الوحى عند بروكلمان،عرض ونقد.

المطلب الأول: عرض مقالات بروكلمان عن الوحى.

المطلب الثاني: نقد مقالات بروكلمان عن الوحى.

المبحث الثالث: شبهات بروكلمان حول جوانب تتصل بالعقيدة من سيرته ﷺ،عرض ونقد.

المطلب الأول: عرض مقالات بروكلمان حول جوانب تتصل بالعقيدة من سيرته ﷺ.

المطلب الثاني: نقد مقالات بروكلمان حول جوانب تتصل بالعقيدة من سيرته ﷺ.

الفصل الثاني

النبوات

المبحث الأول

بعثة الرسول ﷺ من وجهة نظر بروكلمان،عرض ونقد

المطلب الأول: عرض مقالات بروكلمان في بعثة الرسول ﷺ

أ. عرض المقالة الأولى:

قال بروكلمان: "لسنا نعلم علم اليقين السنة التى ولد فيها النبي. والمشهور أن ولادته كانت حوالى سنة ٥٧٠، ولكن الذي لا شك فيه أنها متأخرة عن ذلك بعض الشيء... والواقع أن الروايات الإسلامية قد سعت إلى أن تحيط النبي بهالة من التمجيد منذ اللحظة الأولى.... ولسنا نملك بينة موثوقاً بها عن حياة النبي الأولى إلا هذه الآيات القرآنية من سورة الضحى:

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾ ﴾ (الضحى: ١-١١)" [(١)].

المطلب الثاني: نقد مقالات بروكلمان في بعثته ﷺ

أ. نقد المقالة الأولى:

يرى كثير من المفكرين والكتاب من العرب والمسلمين أن في تأخير بعض المستشرقين لمولد النبي ﷺ عن محل الخلاف وهو بين عامي ٥٧٠م و ٥٧١م أن الهدف منه هو الطعن في نبوته ﷺ إذ يعتقدون أن الأنبياء يبعثون في سن الأربعين، وما دام مولده كان متأخراً عن ذلك فنبوته قبل الأربعين؛ قد حاول الاب هنري لامنس اليسوعي أن يؤخرتاريخ ولادته ﷺ عشر سنوات حتى ينقض القول الذي يقول: إن محمداً بعث على رأس الأربعين، ويخرج إلى القول:إنه ما دام الأنبياء يبعثون على رأس الأربعين ومحمد قد صدع بالدعوة على رأس الثلاثين فمحمد ليس نبياً[(٢)] وقد نقل

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣١ – ٣٢.
(٢) أنظر: بروكلمان، هامش تاريخ الشعوب الإسلامية، عمر فروخ، ص٣١.

هذا المعنى والاستنتاج كثير من الباحثين[١]، فلا داعى لتكراره ولعلي هنا لا انتقد بروكلمان بقدر ما انتقد هؤلاء الباحثين؛ فمن أين جاءوا بأن الأنبياء لا تبعث إلا في سن الأربعين،وأن هذا قولاً شرعياً، إن مثل هذه الدعوى تحتاج إلى إثبات بدليل شرعي، والقوم دعواهم بلا دليل فلنا أن نسألهم الدليل كما نسألهم عن رؤيا يوسف عليه السلام وهو غلام قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ {يوسف:٤)، ويحيى عليه السلام قال تعالى: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ {مريم:١٢). وعيسى عليه السلام: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ {مريم:٢٩-٣٠).

كما أن مولده ﷺ محل خلاف بين مؤرخي المسلمين أنفسهم، فهي حكمة ربانية؛ إذ إنه لو كان يرتبط بمولد رسول الله محمد ﷺ عقائد دينية أو شرائع عملية لكان العلم بعام مولده وشهره معلوماً بالوحي الذى عليه مدار شرائع الإسلام ومصدرها، وقد جنب الوحي ذلك كله.

ولعلي بعد هذا الاستطراد أعود لمسألة بروكلمان عن المنهج العلمي ودقته في ذلك، فليس من الدقة العلمية أن يذكر بروكلمان تاريخ مولد رسول الله ﷺ حيث إن الخلاف خلاف يسير في زمانه، فلماذا أبى بروكلمان التصريح واكتفى بالتلميح حيث لا يعدو الخلاف في مولد رسول الله ﷺ بين ثلاثة أقوال وهى "عام ٦١٦٣ من هبوط آدم، حسب تقدير أبي الفداء، عام ٥٧٨ من ميلاد المسيح عليه السلام،٥٣ق هـ"[٢]. وهذا القول خلاف المشتهر إذ إن القولين المشهورين سنة ٥٧٠م[٣] والقول الثاني كما ذكره العيساوي بتحقيق العالم الفلكي محمود باشا المصري أن ولادته ﷺ عام ٥٧١م [٤] وكما لاحظنا على بروكلمان الخلل في الدقة العلمية فيما يخص التراث الإسلامي على وجه الخصوص، نلاحظ عليه أيضاً الخلل في المنهج العلمي إذ سلك في ذلك الانتقائية في المصادر؛ فهو قد نقل القول الضعيف الشاذ من مصدر غير معتمد وغربي[٥]، وترك المصادر العربية المعتمدة. فكان يجب على بروكلمان أن يعتمد على الأقل على المصادر من كلا الطرفين ثم

---

(١) أنظر: النعيم،عبدالله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية، ص٤٣- ٤٤، العيساوي، إفتراءات المستشرق بروكلمان على التاريخ العربي الإسلامي، ص١٠٣، جريس، افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية، ص ١٧.

(٢) سفاري، المستشرقون وتحريف السيرة، ص ٣.

(٣) أنظر: موسوعة بيان الإسلام، القسم الثاني، ج٥، ص ١٠٥.

(٤) أنظر: العيساوي ، افتراءات المستشرق بروكلمان على التاريخ العربي الإسلامي، ص ١٠٥.

(٥) أنظر: لامنس H. lammens، chronolojie dela sirca، lahede Mahometetla، journal Asiatijuex، t17 P 209-250.

إن رجح فعليه أن يبين دلالة الترجيح التي نقلته من الآراء المعتمدة والمتعارف عليها إلى رأي يخالفها وأقل منها شهرة، وأخيراً ينبه الباحث إن الهدف من نقد هذه المقالة بالمقام الأول هو ليس بيان صحتها من خطئها، وإنما الهدف منه هو بيان الخلل في مناهج كثيرٍ من المستشرقين في التعامل العلمي مع تراث الأمة العربية والإسلامية، وأخيراً لعل أحداً يسأل سؤالاً مشروعاً هو: ما دام أن قضية مولد الرسول ﷺ كما أسلفت لا يترتب عليها شرائع علمية أو عقائد دينية فلماذا يغامر المستشرقون ومنهم بروكلمان بالتشكيك فيها وعدم الإلتزام بالمنهج العلمي والدقة العلمية، فاجيب: إن الهدف من ذلك كله هو التشكيك في سيرة رسول الله ﷺ قبل النبوة، ونقلها من نور الصبح إلى ظلام الغسق لكي يسهل لهم التزوير والتلفيق.. إلخ

وهذا ما نكشف من خلال مقولة بروكلمان:" ولسنا نملك بينة موثوقاً بها عن حياة النبي الأولى إلا هذه الآيات القرآنية من سورة الضحى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾ ﴾ {الضحى}[(١)]، مع أنه لا يختلف إثنان من الباحثين المختصين بأن رسول الله محمد ﷺ يقف في ضوء التاريخ الساطع... إن سيرته الشخصية... مدعومة بوثائق تاريخية وروايات مسندة وموثقة، إلا أن الاستشراق الأوربي يأبى إلا أن يبدأ في تشكيكاته وتحريفاته من الأسس والجذور متبعاً منهج المبشرين التقليدي نفسه في التشكيك بالنصوص التاريخية حيث يتساءل بعض المستشرقين عن مدى الثقة بالمعلومات التي وصلتنا عن محمد ﷺ قائلاً: لا نعرف بالضبط متى ولد محمد ؟ وأكثر ما جاءنا عن حياته الأولى معلومات أسطورية[(٢)].

وإنك لتعجب من المستشرقين بوجه عام ومن بروكلمان بوجه خاص أنهم "يشككون في كل رواية وردت في السيرة، وخصوصاً في أخبار مرحلة ما قبل البعثة "[(٣)] من الأخبار التى تدل على نبوة رسول الله محمد ﷺ، في حين أننا نجدهم يدندنون حول الأخبار التي يزعمون أن فيها مطعناً في نبوة محمد ﷺ كالتقائه بالراهب بحيرا زعماً منهم أن بحيرا هو الذى علمه تلك الشرائع والعقائد.

ويرد عبد الله النعيم حول ما ذكره بروكلمان في مقولته أنه "لا شيء صحيح غير ما ورد في سورة الضحى،" يوضح الأسلوب الانتقائي الذي اتبعه حيث يغفل أن القرآن الكريم لم يتنزل ليكون

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٣٢.
(٢) أنظر: د. فاروق عمر فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي، ص٥١.
(٣) خضر شايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م، ص ٣٨٦.

كتاباً تاريخياً بل كتاب عقيدة وشريعة،وما كان القرآن لينصرف عن إشكالية الدعوة مفاهيماً ومساراً إلى إشكالية شخصية تدور حول حياة محمد ﷺ، كما أن النبي ﷺ ليس هدفاً وغاية وإنما وسيلة لتبليغ الدعوة[١]. وغاية كل ذلك من المستشرقين هو ضرب المصادر والمراجع العربية والإسلامية ليبقوا فقط ما تستنتجه خيالاتهم وتروج له أفكارهم.

ويؤكد الباحث من خلال اطلاعه على بعض المواقع في الشبكة العنكبوتية أن هدف المستشرقين بشكل عام من عدم الأخذ بالقولين المشتهرين في عام مولده ﷺ وهما ٥٧٠م و٥٧١م والأخذ بالقول الشاذ غير المشتهر هو تأخير عام ولادته مما يترتب على ذلك تقديم موعد نبوته وأنه إنما بعث في الثلاثين من العمر ولم يبعث على رأس الأربعين من سنه الشريف ﷺ هو نفي التشابه بين موسى ومحمد عليهما السلام. وقد عدا سعيد حوى هذا التماثل في امور منها كونه ذا والدين واولاد ونكاح وأن شريعتة مشتملة على السياسات المدنية ،وامور الجهاد، واشتراط الطهارة ...والقيام بالحدود والقصاص والتعزيرات والقدرة على اجرائها الخ... [٢]

فعندما يقوم المستشرقون من اليهود والنصارى بإبطال التشابه فإنما ذلك لقطع الطريق على نبوءة في العهد القديم تبشر بنبي يبعث، من أهم دلائله أنه أقرب الأنبياء مشابهة بموسى عليه السلام،حيث يحاول النصارى نسبة تلك المشابهة إلى عيسى عليه السلام،مع الاختلاف الشاسع بين النبيين والنبوأتين، وكما يحاول اليهود تشبيه بعض انبياء بني اسرائيل بموسى عليه السلام مع عدم التطابق إلا مع محمد ﷺ حيث جاء في العهد القديم:"يقيم لك الرب الهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون "[٣] ثم يواصل النص التوراتي بقولة:" أقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا اطالبه وأما النبي الذي يُطغي فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به،أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي، وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه "[٤]

فمن خلال هذا النص التوراتي يقطع بوجود نبي مشابه في جل أحواله احوال النبي موسى عليه السلام كما أسلفنا وكما هو مذكور بقوله – مثلي – مثلك – وهذا لم يتسن إلا لمحمد ﷺ وكما هو الحال في مشابهة الاحوال يقارب هذا النص التوارتي مع نص قرآني قال تعالى:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى

(١) أنظر: النعيم، عبد الله محمد الأمين ، الاستشراق في السيرة النبوية، ص٧٧- ٧٨.
(٢) انظر :سعيد حوى ،الرسول ﷺ، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ط٩، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م ص ٤٦٦.
(٣) سفر تثنية ١٨: ١٥.
(٤) سفر تثنية ١٨:١٨-٢٢.

خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ {العلق: ١-١٩}.

فأول أية نزلت على رسول الله تكلمت باسم الله، وذكر في كلا النصين التوراتي والقرآني الطغيان من الإنسان(١).

"فكل أنبياء بني إسرائيل تبعوا التوراة ولم يكلمهم الله، لكن النبي الشبيه بموسى عليه السلام أولاً لا بد أن ينزل عليه كتاب. وثانياً أن يكلمه الله،، إذن فهو النبي محمد ﷺ الذي أنزلت عليه الشريعة أي القرآن الكريم ، ، حيث تم ذلك بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام"(٢).

(١) أنظر: why islam (sit) online shabir ally.
(٢) الكلبي، قيس، حقيقة محمد ﷺ في التوراة والإنجيل، دار الواضح، مصر، د ط، ٢٠١١م١٤٣١هـ، ص٢٤٥.

المبحث الثاني

مفهوم الوحى عند بروكلمان،عرض ونقد.

المطلب الأول:عرض مقالات بروكلمان عن الوحي[١]

أ. عرض المقالة الأولى:

يقول بروكلمان: "وأغلب الظن أن محمداً قد انصرف إلى التفكير في المسائل الدينية في فترة مبكرة جداً، وهو أمر لم يكن مستغرباً عند أصحاب النفوس الصافية من معاصرية الذين قصرت العبادة الوثنية عن إرواء ظمأهم الروحي"[٢].

ب. عرض المقالة الثانية:

يقول بروكلمان "ولكن بينما كان بعض معاصري النبي، كأمية بن أبي الصلت[٣]. شاعر الطائف، وهى بلدة بحذاء مكة، يكتفون بواحدانية عامة، كان محمد يأخذ بأسباب التحنث والتنسك، ويسترسل في تأملاته حول خلاصه الروحي، ليالي بطولها في غار حراء[٤]، قرب مكة، لقد تحقق عنده أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة، فكان يضج في أعماق نفسه هذا السؤال: إلى متى يمدهم الله في ضلالهم ما دام هو عز وجل قد تجلى آخر الأمر للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟ وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة، ولكن حياءه الفطري حال بينه وبين إعلان نبوته فترة غير قصيرة ولم تتبدد شكوكه إلا بعد أن خضع لإحدى الخبرات الخارقة في غار حراء، ذلك بأن طائفاً تجلى له هناك يوماً هو الملك جبريل.على ما تمثله محمد فيما بعد، فأوحى إليه أن الله قد اختاره لهداية الأمة، وآمنت زوجه في الحال برسالته المقدسة،وتحرر هو نفسه من آخر شكوكه بعد أن تكررت الحالات التي ناداه فيها الصوت الإلهي، وتكاثرت ولم تكد هذه الحالات تنقضي حتى أعلن ما ظن أنه قد سمعه كوحى من عند الله، ولكن ذلك لم يُثر أول الأمر اهتماماً كبيراً بين مواطنيه، ولم يلهب أحاسيسهم ومشاعرهم؛ فقد كانوا متعودين أن يظهر في كل قبيلة تقريباً كما يظهر الشاعر "كاهن" يستطيع أن يعزو أحكامه فيما يتعلق بالخلافات والمشكلات الغامضة: من قتل وسرقة أو شرود إبل وضياعها المعروضة عليه إلى "صاحب" له غيبيّ، وأن يذيعها في الناس نثراً مسجوعاً، كما فعل النبي فيما نزل عليه من

---

(١) الوحي لغة :الإعلام في خفاء... والبعث والإلهام و الأمر والإيماء والإشارة،... وشرعاً الإعلام بالشرع .انظر:العسقلاني ،ابن حجر ،فتح الباري بشرح صحيح البخاري،ج ١ ،ص ١٤-١٥.

(٢) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٢.

(٣) أمية بن أبي الصلت:(٦٢٦) شاعر جاهلي من رؤساء ثقيف، نبذ الأصنام ودعاء للتوحيد في دين الحنفاء. أنظر: المنجد، في اللغة والأعلام،ص ٤.

(٤) غار حراء: جبل قرب مكة يعرف بجبل النور تحنث فيه النبي قبل بعثته. أنظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص ٢١٤.

وحي، ومن هنا كان على محمد أن يحتاط مرة بعد مرة من أن يضعه مواطنوه في مصف هؤلاء الكهان ومرتبتهم"(١).

ج –عرض المقالة الثالثة :

يقول بروكلمان فيما يخص كتابة الوحي في زمن النبي محمد ﷺ :"ولعل نجوماً متفرقة من الوحي كانت قد كتبت في حياة الرسول " ﷺ" ولكن أكثر الوحي كان يروى بلا ريب شفاهاً من الذاكرة فحسب ..." (٢)

د- عرض المقالة الرابعة :

يقول كارل بروكلمان معرضاً بأعجازالقرآن الكريم اللغوي :"كان أسلوب النثر الديني الذي جاء به محمد "ﷺ" في القرآن موضع تقديس العرب على أنه كلام الله .ومن ثم لم يجرؤ أحد على مضاهاته والنسج على منواله ....." (٣)

المطلب الثاني: نقد مقالات بروكلمان عن الوحي

أ. نقد المقالة الأولى والثانية والثالثة والرابعة :

إن مسألة إثبات الوحي لرسول الله ﷺ أو لغيره من الرسل لا تكون ابتداءً إنما هي من لوازم أمرين هما:– إثبات وجود الله تعالى، وهذا من باب التدرج من الأعلى إلى الأسفل إن كنت تؤمن أن مسألة إثبات وجود الله أعظم من أن يكون للعقل أو العلم سلطان عليها وإنما هي محكومة ومفطورة في فؤاد الإنسان وقلبله ووجدانه " إن وجود الله هو أول الحقائق وأكبرها وأظهرها دلت على ذلك الفطرة والعقول والبصائر وهدى إليه العلم... إن الاعتقاد بوجود الله من الأمور البديهية التي تدرك بالحدس النفسي قبل أن تقبل بالدليل العقلي، فهي لا تحتاج إلى دليل، وإن كانت الادلة على صحتها ماثلة في كل شيء لذا لم يكن إثبات وجود الله تعالى من أهداف القرآن الأولى "(٤)،فإن آمنت بوجود الله كان من الممكن أن يوحي الله لمخلوقاته أو لأحد من خلقه بالكيفية التي يختارها سبحانه وتعالى

والأخر: إثبات النبوة التي تثبت بالمعجزة، وهو من باب التدرج من الاسفل إلى الأعلى؛فإن آمنت بالنبوة كان من الممكن الإيمان بالوحي الذى هو نوع من أنواع المعجزة الخارقة للعادة حيث يتجلى عالم الغيب لمخلوق من عالم الشهادة " إن أثبات مسألة الوحي ليست من الأمور العقلية التي يمكن تحقيق إجماع بشرى حولها. ويبدو جلياً أن إثبات ذلك تم بقرينة التصديق بالنبوة"(٥).

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٤-٣٥.
(٢) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ،ج١ -٢،ص١٩٦.
(٣) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ،ج١ -٢،ص٣٠٩.
(٤) د. محمد حسن مهدى بخيت، ابن رشد وفلسفته الالهية، عالم الكتب الحديث، اربد، ط١، ٢٠١٤، ص ٢٠٣.
(٥) الجابري، صلاح، الاستشراق قراءة نقدية، ص١٢٣.

فمسألة إثبات الوحي تقع بين مسألتين يسهل إثباتهما،هما: وجود الله تعالى،والأخرى إثبات النبوة لمدعيها من خلال المعجزات التي تؤكد صدق دعوى النبي.

كما أن الوحي من الممكن عقلاً، والممكن العقلي يحتاج في إثباته أو نفيه إلى دليل،ونحن نستدل عليه بالمعجزة التي ثبتت بالتواتر الذي لا ينكر، فمن هذا المنطلق نجد أن من أنكر الوحي لا يملك الدليل على إنكاره إذ إن الوحي ممكن عقلاً، فمنكره يحتاج إلى دليل على إنكاره،فإذا استحال وجود الدليل على الإنكار وثبت وجود الدليل على الإثبات فقد ثبت الوحي الذي هو من عالم الغيب الذي من دلائله مشابهة وجوده بالرؤيا في المنام،فهي دليل على إثبات وجود عالم الغيب والرؤيا جزءُ من الوحي إذ إن الرائي يلتقي في المنام بأشخاص قد فنوا أو غابوا عنه ولا يشعر من بجواره بهذا اللقاء، فهذا إن دل على شيء دل على إمكانية أن ينتقل الإنسان من عالم الشهادة إلى عالم الغيب دون أن يشعر به من حوله، وهذا ما كان من صور الوحي التي تأتي رسول الله وما كان يحصل له عند نزول الوحي إذ كان يلتقي بجبريل عليه السلام ويسمع منه دون أن يشعر به من حوله وذلك في بعض صور نزول الوحي.

بمثل هذه المقدمة نذهب إلى مناقشة بروكلمان في مسألة الوحي المحمدي أو بمعنى ادق تصوره للوحي الذي كان ينزل على رسول الله ﷺ،مع التأكيد باني لا ألزم بروكلمان أو غيره من المستشرقين أو الباحثين بالصورة التي يراها هو عن الوحي بشكل عام،أو الوحي المحمدي بشكل خاص، ولكن التثريب والمأخذ إنما يكون بالتزام الباحث بأصول البحث العلمي ونتائجه وهنا أؤكد أنه عندما يعجز المستشرقون وغيرهم عن مواجهة حقائق الشريعة الإسلامية فإنهم يلجأون إلى المغالطات لعل وعسى أن يكون فيها بغيتهم من الحجج والتدليس والتي هي أوهى من بيت العنكبوت، فمثلاً بروكلمان قد وضع القارئ أمام ثلاث مقدمات هي:" انصراف الرسول ﷺ للتفكير بالمسائل الدينية،والصفاء النفسي،ومعارضته للوثنية الجاهلية، فهذه المقدمات تبدو للوهلة الأولى أنها مقدمات صادقة إن كانت قد صدرت بحسن نية، ولكن مع الاسترسال في قراءة بقية المقالة والتمعن فيها والبحث عن نتائج تلك المقدمات نجد أن بروكلمان قد دس السم في العسل من خلال قوله " وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعوّ إلى اداء هذه الرسالة رسالة النبوة"[١].

إذن تلك المقدمات الثلاث كان من نتيجتها أن نفس النبي محمد ﷺ قد هيئته للنبوة فهي نبوة ووحي نفسى مترسخ من خلال ما ذكر، وهذا بما يعرف عند المستشرقين بالوحي النفسي وهي ما أراد بروكلمان أن يمرره بأسلوب هادئ وناعم،متكئاً في ذلك على إشكالية في هذا الموضوع وهي " تُعقد عمل الباحث الإسلامي الذي يسعى إلى إقناع دعاة العقلانية الحديثة بجدوي النموذج النبوي،

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٣٥.

وبمحدودية الطاقات العقلية البشرية "[١]، ولما " كان الوحي الأساس الأول والجوهر الحقيقي لمعنى النبوة والرسالة، والمنبع للأخبار الغيبية كافة في قضايا العقيدة وأحكام التشريع اهتم أعداء الإسلام من المستشرقين المغرضين والمبشرين المسيحيين بمعالجة موضوع الوحي في حياة الرسولﷺ، وبذلوا جهداً كبيراً من أجل التشكيك والإنكار، وكان جهداً في الغالب يستهدف التأكيد على أن الوحي القرآني ليس مرتبطاً بمصدره الإلهي، وإنما هو نابع من ذاته عليه الصلاة والسلام"[٢].

من أجل ذلك أحب أن ألقي نظرة سريعة على تعريف الوحي والنبوة، حيث يعرفه ابن حجر العسقلاني بقوله: "والوحي لغة الإعلام في خفاء... والبعث والإلهام و الأمر والإيماء والإشارة،... وشرعاً الإعلام بالشرع[٣] "والنبوة" لغة : مأخوذة من النبأ بمعنى الخبر، وشرعاً : وصول خبر من الله بطريق الوحي إلى من اختاره من عباده لتلقي ذلك"[٤].

فمن هذا التعريف يقسم الوحي من حيث المعنى إلى وحي لغوي ووحي شرعي، ومن باب المناظرة والمحاجة لعلي أقسم الوحي إلى قسمين: وحي خاص: وهو ما اختصت به رسل الله عليهم السلام من علم غيب بشتى أضربه حيث "سمى الله الطريق الذي يعلم الله به أنبياءه ورسله وحياً، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ {النساء:١٦٣} "[٥].

ووحي عام وهو ما كان لسائر المخلوقات كمثل قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ {النحل:٦٨}، ومنه رؤيا النائم التي هي من الغيب، ومع تكرارها اتخذ وجودها صفة القطعية.

فالمدركات كما يقول عادل السكرى: "العلم يقع عن طريق الإدراك الذي يمتاز بكونه أوضح طرق العلم، إذ إن إثبات المدركات لا يحتاج إلى دليل مثل إثبات السواد، فالمعرفة الإدراكية أكثر وضوحاً وأشد بياناً من المعرفة الاستدلالية "[٦].

فمن هذا التقسيم الجدلي يتبادر إلى الذهن سؤال حول الرابط بين الرؤيا في المنام ووحي الله إلى

---

(١) الجابري، صلاح ،الاستشراق قراءة نقدية، ص١٢٣.
(٢) العيساوي، محمود خلف ،افتراءات المستشرق بروكلمان على التاريخ العربي الاسلامي، ص١٠٧.
(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج١، ص١٤-١٥.
(٤) البوطي، محمد سعيد رمضان، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، دمشق، ط٣٣، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م ص ١٨٣.
(٥) الاشقر، عمر، الرسل والرسالات، دار النفائس للنشر والتوزيع، الاردن، ط١٤، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٧م، ص٥٧.
(٦) أنظر السكري، عادل، النزعة النقدية عند المعتزلة، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤٣٤هـ ، ٢٠١٣م، ص١٤٢.

انبيائه ؟ إن الرابط يتضح من خلال أهم سمتين أو خصيصتين في وحي الله إلى الأنبياء، ورؤيا المنام وهو الاخبار بالغيب من أمور المستقبل؛ فإن الأنبياء ومن خلال الوحي يطلعهم الله جل وعلا على علوم الغيب ومنها ما يكون في المستقبل، وهو معلوم من خلال المعجزات،ودلائل النبوات، والنائم قد يطلعه الله على الغيب من خلال رؤيا منام، وهذا كما أسلفنا من المدركات من خلال التجربة والمحسوسات فخلاصة القول أن وحي الله إلى أنبيائه علم غيب لا نعلمه إلا عن طريق السمعيات، ولإدراكه وإمكانية وقوعه جعل الله له مثالاُ من المحسوسات وهي رؤيا النائم ففي هذا يقول رسول الله: "....لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له"[١].

وفي دراسة الوحي لرسول الله ﷺ سأدخل إلى هذا الموضوع بنفس مقدمات بروكلمان وهي: الهاجس الديني والصفاء النفسي وقصور الديانات الوثنية، والاختلاط باليهود والنصارى، ولقاء الراهب بحيرا، والخلوات والتحنث. والسفر إلى بلاد الشام، وممارسة التجارة... إلخ.

لا شك أن كل تلك الصفات قد تسوغ للنبي محمد ﷺ أو لغيره من البشر أن يدعى النبوة ونزول الوحي عليه إن اراد ذلك، فهذا قد يقال به وقد لا يقال، ولكن الأمر المستعصي والممتنع على رسول الله ﷺ وعلى غيره من البشر أن يأتي بما أتى به الوحي المنزل على النبي محمد ﷺ، لأنه كما سنبين هو فوق الطاقات والإمكانيات البشرية من نواح متعددة.

إن الاستشراق بقسميه سواءً القديم – التقليدي – أو الحديث – المعاصر، فيما يخص الوحي المحمدي ملتقيان في إقصائه وإلغائه، اما عن طريق الكذب والتزوير وتلفيق التهم كما هو الاستشراق التقليدي، أو عن طريق المغالطات والتزوير كما هو الاستشراق الحديث،ومن مشاكل دراساته،كما جاء عن الاعسم قوله: دراسة سيرة الرسول الكريم محمد ﷺ وفق كتب السير والتاريخ من تراثنا العربي ويزاوجون ما يكتبون بما ورثوه من عهد اللاهوت المضاد للإسلام في أوروبا القرون الوسطى [٢]، وكمثال لما ذكرت أورد ما ذكره د. مصطفى عبد الرازق عن احد المستشرقين بأن دين الإسلام دين شهواني وعقلي معاً وأن خلفاء محمد ﷺ يزعمون ما جاء به وحياً أوحاه الله، وأن تقدمهم هو بألوان الترف. بل وذهب إلى أبعد من ذلك حيث زعم أن المعارف التي حصلوها نتيجة شهوة متأججة فيهم[٣].

فإذا كانت هذه أقوالهم في المحسوسات المدركات من شرائع الإسلام، وفي تقدمه العلمي فما

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٥٦٤/٥، كتاب التعبير، باب المبشرات ومسلم ٣٤٨/١ كتاب الصلاة، باب، النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود.

(٢) أنظر:الأعسم، عبد الأمير، دراسات في الاستشراق، دار الفرقد، دمشق، ط١، ٢٠١١م، ص ٥٨.

(٣) أنظر: مصطفى عبد الرازق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دط، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م، ص ٨.

عسى أن يكون قولهم في غيبيات الشريعة ومنها الوحي على سبيل المثال؟

وخلاصة هذا الأمر في مسألة نزول الوحي وإدراكه كحدث، أن معرفتنا بحدوث أي حدث يكون بإدراك حدوثه وحدوث نتائجه، أو بإدراكه دون إدراك نتائجه، أو بإدراك نتائج الحدث دون إدراك الحدث نفسه، والأخير هو ما ينطبق على الوحي إذ إن نزول الوحي أمر من الغيب لا يدركه إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأما نتائج هذا الإيحاء فهي من عالم الشهادة يتفطن لها أولو الألباب.

فلذلك يقرر د. صلاح الجابري أن ما فعله المستشرقون وتلامذتهم هو حصر أنفسهم بمجال خارج حدود البحث العلمي ببحثهم عن أصل القرآن أو الوحي نفسه فهذا النوع من البحوث غير مجد تماماً[١].

من أجل ذلك نؤكد أن البحث العلمي الصادق في الوحي كحدث إنما يكون بنتائجه لوقوعها في دائرة الإدراك البشري لا في الحدث نفسه لامتناع الإدراك البشري عن الاحاطة فيه كحدث، فالبحث العلمي في الوحي " يجب أن ينحصر في الجانب البشري، أما البعد الإلهي فلا يمكن استكشافه بالمنهج العلمي لأنه أكبر من أن يحتويه منهج بشري فهو مسألة تتجاوز العقل البشري، فلا يعثر العقل فيه على محددات دقيقة لانطلاق البحث، فضلاً عن أنه غير مشخص في حد ذاته في الواقع، ولذلك يؤخذ مأخذ المسلمات المصدق بها بقرينة النبوة "[٢].

فدراسة الوحي الإلهي من أجل إثباته وإدراك حدوثه إنما تتم من خلال دراسة النتائج المترتبة على تطبيقه، فإذا أثبتنا أنها تنهض بالإنسان إلى ما لا يستطيع أن يصل إليه بعقله المجرد استطعنا أن نبرهن على صدق تلك النتائج بَرهنًا على صدق مقدماتها وهي متمثلة في الوحي الإلهي فمن النتائج ما يأتي:

١. إثبات النبوة.

٢. إثبات أن القرآن من عند الله والرد على شبهة الوحي النفسي.

٣. الآيات المعجزة المتحدى بها.

أولاً: النتيجة الأولى: إثبات النبوة.

مما لا شك فيه أن طرق إثبات النبوة كثيرة، لذا يصعب الإحاطة بها لكن سيجد القارئ أبرز دلائلها تحت العناوين المذكورة وهما:

---

(١) أنظر: د. الجابري، الاستشراق قراءة نقدية، ص ١٧٧.

(٢) د. صلاح الجابري، الاستشراق قراءة نقدية ص ١٧٧.

أ. **الفرق بين النبي ومدعي النبوة:**

مما لا شك فيه أن الأمور تثبت بأضدادها، وما يثبت وجود النبي الصادق هو وجود أدعياء النبوة، فمثلاً يرى مالك بن نبي أنه بعقد موازنة بين النبوة وادعاء النبوة كنوعين من الفكرة الدينية وذلك بتمييز النبي الموحى إليه عن منافسة المحرف من خلال جميع الاتجاهات الخلقية للنبي الموحى إليه قائمة على أساس الفكرة المتسلطة الملازمة(١)، فكرة إله واحد عام، يريد النبي أن يثبت فرائضه الخاصة في شعائر قومه... أما مدعى النبوة فهو انتهازي يتبع التيار الشعبي، وليس له أثر في الأخلاق، وليس ملهماً، بل يصل إلى حد التملق(٢) وما كان لذلك أن يكون في النبوة الصادقة والنبي الموحى إليه إلا أن هذا الأمر هو نتيجة أمر خارق للعادة غيبي يسمى ظاهرة الوحي " ذلك أن حقيقة (الوحي) هي الفيصل الوحيد بين الإنسان الذي يفكر من عنده، ويُشرّع بواسطة رأيه وعقله والإنسان الذي يبلغ عن ربه دون أن يغير أو ينقص أو يزيد(٣)، وبعد هذا التفريق والإثبات ينوه الباحث إلى أن النبوة والوحي بشكل عام ثابتان لدى الفلاسفة(٤) مع التحفظ على الكيفية والتفصيل التي استطرد د. العمري في استقصائها(٥) مع التنبيه على اختلاف الكيفية والتفصيل في النبوة والوحي بين د. العمري و د. الخضيري، وذلك في النقل عن الفلاسفة. وذلك قد يكون عائداً إلى الاستقصاء في ذلك من فلاسفة مختلفين ومدارس فلسفية مختلفة، والباحث هنا ليس هدفه الخوض في ذلك، وإنما إثبات أن النبوة والوحي أمران مقرران في علوم بني البشر بشكل عام والفلاسفة بشكل خاص(٦)، وكما قرر ذلك د. عزمي طه في تعريف الوحي والنبي حسب رأي الفارابي: أن النبي إنسان يوحى إليه معرفة يقينية صحيحة من الله، بواسطة الوحي أو الروح الأمين(٧)، وأنه مختص بالمعجزات واضعاً السنن والشرائع مرغباً ومرهباً بما أفاض الله عليه.

وللتأكيد مرة أخرى فإن أعظم ما يميز النبوة الصادقة " أنها بوحي وتكليف من الله، فليست نابعة من نفوسهم أو نتيجة عوامل اجتماعية من ظلم وبغي، أو تفكيرهم العميق أو تألمهم من حالة الناس المؤسفة، بل هي بوحي من الله وتكليف... فكل نبي يقول: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ

(١) مع تحفظ الباحث على هذا التعبير.
(٢) أنظر: مالك بن بني، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق ط١٣، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، ص ٩٥-٩٦.
(٣) البوطي، محمد سعيد، كبرى اليقينيات الكونية، ص ١٨٦.
(٤) أنظر: الخضيري، د. زينب محمود، أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م ،ص٣٨٨.
(٥) أنظر: العمري، د. محمد نبيل طاهر، النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية، دار الفتح للدراسات والنشر، الاردن، ط١، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، ص ٩٦-١٠٣.
(٦) أنظر: العمري، النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية، ص ٢٨٧.
(٧) أنظر: عزمي طه السيد أحمد، الفلسفة والدين في مدينة الفارابي الفاضلة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٥م، ص٦٤.

قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥﴾ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ {يونس:١٥-١٦)[١].

لا كما أراد بروكلمان أن يعزو الوحي والنبوة عند محمد ﷺ إلى احاديث النفس، وعبادة قومه الوثنية، فالنبي صاحب النبوة الصادقة كما يرى مالك بن نبي من أهم خصائصه: التزامه بسلوك معين ودائم، وإقصاء جميع العوامل الأخرى للذات، وحكم فذ على أحداث المستقبل، واستمرار مظاهر السلوك النبوية، وتماثلها الظاهر والخفي عند جميع الأنبياء[٢].

ولمثل هذا يشير الباحث إلى مبحث الدلائل التي تدل على صدق النبوة وصدقها مدعيها من كذبه ونوجزها فيما يلي:

١- إن نبوة الأنبياء تقرر بالمعجزات[٣]، والتي هي دليل صحيح يقيني مع عدم حصر الدليل في في المعجزة فقط.

٢- إن النبوة يدعيها أصدق الصادقين، وأكذب الكاذبين، وما من أحد ادعي النبوة كذباً، إلّا وظهر عليه الكذب والجهل والفجور والصادق ضد ذلك كله فلابد أن يظهر صدقه[٤].

وذلك بين من أحوال النبي ﷺ التي كانوا يستقرؤون بها صدق نبوته ومن الامثلة على ذلك:

١) إستقراء خديجة بنت خويلد رضى الله عنها حال النبي ﷺ قبل البعثة وما هو عليه من الصدق ومكارم الأخلاق من صلة الرحم وإقراء الضيف وإكساب المعدوم والإعانة على نوائب الدهر[٥].

---

(١) الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، ١٤٣٦هـ٢٠١٥م، ص٤٣ – ٤٤.
(٢) أنظر: مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص ٩٩.
(٣) المعجزة: أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد نبي تصديقاً له. الجرجاني، التعريفات، ص٢٩٨.
(٤) أنظر: ابن أبي العز الدمشقي، علي بن علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية تحقيق. د. عبد الله التركي شعيب شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، دمشق ط٣، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م، ج١، ص ٢٤٣-٢٤٤.
(٥) أنظر: البخاري، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، ج٩، ص٢٩، ح٦٩٨٢.

٢) إستقراء النجاشي[١] لتعاليم النبوة وما يدعو إليه النبي محمد ﷺ وذلك بعد سماعه سورة مريم وما فيها عن عيسى عليه السلام حيث قال " إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة"[٢].

٣) الإستقراء العام الدقيق لأحوال النبي ﷺ نسباً ومولداً،قولاً وفعلاً، خُلقاً وخلقاً، سلماً وحرباً، دعوة وعبادة...إلخ، وهو ما صنعه هرقل [٣]عظيم الروم مع أبي سفيان بن حرب[٤] قبل إسلامه، حيث سأله عن أحوال النبي محمد ﷺ قبل بعثته وبعدها وجميع أحواله "[٥]

إن "طريق معرفة الأنبياء كطريق معرفة نوع من الآدميين خصهم الله بخصائص، يعرف ذلك من أخبارهم واستقراء أحوالهم، كما يعرف الأطباء والفقهاء، ولهذا إنما يقرر الرب تعالى في القرآن أمر النبوة، وإثبات جنسها بما وقع في العالم من قصة نوح وقومه، وهود وقومه،... وغيرهم، فيذكر وجود هؤلاء وأن قوماً صدقوهم، وقوماً كذبوهم، ويبين حال من صدقهم وحال من كذبهم فيعلم بالاضطرار حينئذٍ ثبوت هؤلاء، ويتبين وجود آثارهم في الأرض، فمن لم يكن رأى في بلده آثارهم، فليسر في الأرض ولينظر آثارهم، وليسمع أخبارهم المتواترة"[٦] مما تصدق به نبوة الأنبياء، فالنبوة الصادقة المتضمنة " الإعلام بالغيوب ووضع الشرائع الموافقة للحق، والمفيدة من الاعمال ما فيه سعادة جميع الخلق.."[٧]، فهذه هي أبرز الأدلة المبرهنة على صدق النبوة التي هي من السمعيات التي تحتاج إلى دليل يؤيدها ويكون برهاناً على صدق وجودها، فالأنبياء مؤيدون بما يقوي موقفهم ويؤيد أقوالهم، وأهم هذه الأدلة المعجزة[٨]، التي جاءت "بآيات الرسل؛ إذ هم قومٌ نشأوا بين قوم عرفوا أحوالهم، وقد كانوا أدركوا منتهى وسعهم. فلما جاءوا بالآيات التي قهرت عقولهم – مع علمهم بأن وسعهم لا يحتمل إنشاء مثلها – لزمهم العلم بصدق فيما أخبر من مرسله، وأن تلك الآيات مما أنشأها من أرسله لتكون رسالته من عليم حكيم قادر على إنشاء الأدلة على

---

(١) النجاشي: أصحمة بن أبحر ملك الحبشة، أسلم في عهد رسول الله ولم يهاجر كان رداءً للمسلمين.صلى عليه رسول الله صلاة الغائب بالمدينة سنة ٩هـ من شهر رجب. أنظر: العسقلاني، الأصابة في تميز الصحابة،ج٢،ص١١٦.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، من حديث أم سلمة رضى الله عنها، ح١٧٤٠،ج٣، ص٢٦٣.

(٣) هرقل: إمبراطور بيزنطي (٦١٠-٦٤١) قاهر الفرس احتل تبريز واسترد عود الصليب وحرر الشرق (٦٢٢-٦٢٩)فشل في وقف الفتح العربي فتخلى عن سورية وفلسطين ومصر، أنظر:المنجد في اللغة والأعلام، ص ٥٩٥.

(٤) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية صحابي من سادات قريش في الجاهلية، أسلم يوم فتح مكة سنة ٨ هـ شهد حنين والطائف وكان عامل رسول الله على نجران من الشجعان الأبطال شهد اليرموك وفيها انقطعت الأصوات الإ صوته، وفقعت عينة .أنظر: الزركلي، الأعلام، ج٣،ص٢٠١.

(٥) البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ح٧،ج١، ص٨.

(٦) ابن تيمية، كتاب النبوات، تحقيق د. عبد العزيز الطويان، مكتبة اضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، ص ١٩٨-١٩٩.

(٧) ابن رشد، ابو الوليد محمد، تهافت التهافت، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة ،ط٥، ج٢، ص ٧٧٦.

(٨) أنظر: د. العمري، النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية، ص ٣٠٩.

إثباته؛ ليعلموه بها وإن لم يشهدوه"[١].

ب. اثبات تكرار ظاهرة النبوة:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١ ﴾ {غافر:٣٠ -٣١) هذه مقولة مؤمن آل فرعون الذي أنذر قومه بمن قبله من الرسل والنبوات دليل واضح على تكرار هذه الظاهرة، وأنها ليست بأمر جديد على البشرية، وهو كقول ورقة بن نوفل لما سمع القرآن قال: إن هذا الناموس الذي كان يأتي على موسى عليه السلام وكذلك النجاشي بقوله: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، وكذلك الجن لما سمعت القرآن وّلّوا إلى قومهم منذرين: ﴿ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠ ﴾ {الاحقاف:٣٠)[٢].

فتكرار النبوة مما احتج به رسول الله ﷺ على قومه بأنه لم يكن أول رسول أرسله الله بل كان قبله رسل كثيرون أرسلوا إلى أقوامهم، قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٩ ﴾ {الاحقاف:٩) "أي لست بأول رسول طرق العالم،بل جاءت الرسل من قبلي،فما أنا بالأمر الذي لا نظير له حتى تستنكروني وتستبعدو بعثتي إليكم فإنه قد أرسل الله جل وعلا قبلي جميع الأنبياء إلى الأمم"[٣].

فتكرار هذه الظاهرة ليس حدثاً فرداً، حتى يكون غريبا، بل هو ظاهرة مستمرة تتكرر بانتظام وبالكيفية نفسها، واستمرار ظاهرة تتكرر بالكيفية نفسها يعد شاهداً علمياً لتقرير مبدأ وجودها..[٤]. وهذه الظاهرة تتكرر مع أناس قد امتازوا بصفات عن سائر الناس، من أبرزها الصدق في القول والعمل، وحسن السيرة والعفة في كل شيء. فهم الصفوة من بني الإنسان والمثل الأعلى له، مع تزودهم بقوة غيبية يعجز عنها سائر البشر، فهل يعقل أن كل هؤلاء الأنبياء قد تواطأوا على الكذب؟ وخاصة الكذب على الله جل وعلا،مع تركهم الكذب على الناس[٥]

(١) الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، كتاب التوحيد، ت بكر طوبال ،محمد آروشي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ٢٠٠٧م، ص٢٤٧.
(٢) أنظر: ابن تيمية، النبوات، ص٢٠٠–٢٠١.
(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ١٥٤.
(٤) أنظر:ابن نبي، الظاهرة القرآنية، ص٨٧.
(٥) أنظر: السامرائي، فاضل صالح، نبوة محمد ﷺ من الشك إلى اليقين، دار بن كثير للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، ص ٥٠-٥١.

ثانياً: إثبات أن القرآن من عند الله والرد على شبهة الوحي النفسي[١]

مما لا شك فيه التلازم في هذا العنوان بين أن القرآن من عند الله والوحي النفسي، بمعنى أننا إن استطعنا أن نثبت أن القرآن وحي من عند الله أبطلنا شبهة الوحي النفسي، وما أدرجه المستشرقون حول إنسانية الوحي،وأثبتنا نبوة محمد ﷺ إذ إن السؤال الرئيس حول أدلتنا في إثبات أن القرآن وحي إلهي التي ترد على شبهات المستشرقين حول أنسنه الوحي ؟

ويرى الباحث أن ما يرد من الردود والإثبات قد يدخل فيه كثير من الشبهات التى قد ترد في مقالات بروكلمان فكان التنبيه من أجل عدم إعادتها مرة آخرى، وأنوه هنا إلى أن المستشرقين ككفار مكة في توصيفهم للوحي حيث وصفوه بأنه سحر، وتارة كهانة أو شعراً... إلخ، وقد حذا المستشرقون حذوهم ولكن بعبارات عصرية كقولهم بالوحي النفسي أو الخلاق أو المتدفق أو كقولهم عبقرية محمد.. إلخ

وما أنا بصدده هنا هو النظر من خلال أدوات المعرفة الإنسانية التي بنيت عليها نظرية المعرفة في القران الكريم،هل هو قول البشر؟ أم وحي إلهي يوحى إلى خير البشر؟ والحكم في ذلك يتبين من خلال أمرين هما: المقدمات والنتائج: فهل المقدمات التي جاء به مدعى النبوة والوحي – محمد ﷺ – في دائرة القدرات البشرية؟ وكذلك هل نتائج تلك المقدمات مما يقدر على صنع مثله البشر؟ كل ذلك سيتبين من خلال ما سأورده ليحكم القارئ إلى أيهما يذهب فيؤمن به عقله.

الأدلة:-

أ- **إثبات وجود الله تعالى:**

إن مسألة إثبات وجود الله تعالى إثبات لإمكانية الوحي الإلهي الذى تحصل به النبوة، "فالإيمان بالنبوات يقوم على الإيمان بالله تعالى، ويتفرع منه، فلا يتصور إيمان بالنبوات مع جحد لوجود الله تعالى... والحقيقة أن مسألة الإيمان بوجود الله هي أكبر وأظهر البديهيات على الإطلاق. والإيمان بوجود الله تعالى مركوز في نفس الإنسان ومفطور عليه، والمنكرون له شرذمة قليلة يقوم إنكارها على محض المكابرة والعناد، وكثيراً ما يزول هذا العناد عند الشدائد"[٢]، وهذا القول يظهر بوضوح في القرآن الكريم عن فرعون وحصول الأمرين له معاً فهو جاحد بوجود الله ظاهراً ومستيقناً به باطناً قال تعالى:﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ {النمل:١٤}.وفي أثناء غرقه آمن بالله قال تعالى: ﴿ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ

(١)الوحي النفسي : ألهام يفيض من نفس النبي الموحى اليه لا من الخارج .انظر: محمد رشيد رضا ،الوحي المحمدي ،ص٥٩ .

(٢) د. السامرائي، فاضل صالح، نبوة محمد ﷺ من الشك إلى اليقين، مقدمة بقلم د. عبد الكريم زيدان،ص ١٧ -١٨.

فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ {يونس: ٩٠}.

ب. إثبات أدلة النبوة :

لقد بعث الله تعالى الأنبياء عليهم السلام ليرشدوا الخلق إلى الحق، لذا فقد أيدهم بالمعجزات لتكون دليلاً على صدق نبوتهم، فهي بمثابة قول الله تعالى: صدق عبدي فيما ينقله عني والدليل على ذلك أن خرق له العادات، وغير له النواميس، وسنن الكون.

إن مسألة إثبات النبوة الصادقة "المقترنة" بالمعجزة كما مر معنا دلالة على أن الوحي من عند الله فلا نبوة بلا وحي. فالمعجزة هنا تتجلى في أمور ثلاثة هي إرسال الله جل وعلا الملك بالوحي، واتصال الملك حامل الوحي بالإنسان النبي، وانكشاف عالم الغيب لعالم الشهادة من خلال انكشاف الوحي للنبي وكلها تؤكد أهمية الوحي الإلهي.

"إن ما يتجاوز الطبيعة هو أمور الله التي لا يمكن الوصول إليها إلا بالوحي. وبدون الوحي لن يكون لدينا أي تصور، أو أي رغبة لمعرفة هذا الذي يعلو على الأمور الطبيعية، ويتجاوز مجال الفائق للعقل تماماً حدود عقلنا، ومع هذا فالأسرار ليست عبثاً حتى بالنسبة لنا إنما هي ما يتجاوز نطاق العقل فحسب أي ما لا يمكن لقدراتنا الطبيعية أن تكتشفه بمفردها، كيف يمكننا إذن أن نبلغ مجالاً بهذا الثراء وبهذا السمو؟ إن الوسيلة الوحيدة هي الإيمان الذي ينصب كله على ما هو فائق للطبيعة، وهو ما يتطلب من جانب الله نوراً وفاعلية متجاوزين لنطاق الطبيعة "[(١)].

ج. إثبات الوحي الإلهي:

إن مسألة إثبات ظاهرة الوحي الالهي بشكل عام يلزم منها إثبات ظاهرة الوحي الإلهي لمحمد ﷺ وإثبات الوحي الإلهي لمحمد ﷺ إثبات لنبوته وسيقوم الباحث بإثبات ذلك عقلاً ونقلاً وحساً.

أولاً– العقل[(٢)]:

أ. نسبة الوحي لله:

إن نسبة الرسول ﷺ لما جاء به أنه وحي إلهي وليس من عند تلقاء نفسه إقرار يؤخذ به... فأي مصلحة للعاقل الذي جاء بالإعجازين القرآن والسنة وما فيهما أن ينسبهما لغيره مع إمكان انتحالهما مما يزيده رفعة وفخامة شأن[(٣)] إن جانباً من جوانب ذلك الإعجاز هو الأسلوب القرآني الذي يحمل

---

(١) الخضيري، د. زينب محمود، أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى، ص ١١٨.
(٢) العقل :جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف وهو مايُعقل به حقائق الاشياء، قيل محلة الرأس وقيل القلب .انظر: الجرجاني ،علي بن محمد ،التعريفات ،دار المعرفة ،بيروت،ط٢ ،١٤٣٤هـ ٢٠١٣م ،ص ١٤٠.
(٣) انظر: دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، المكتبة التوفيقية، مصر، ط٢، ٢٠١٣م، ص ٢٢-٢٣.

طابعاً لا يلتبس معه بغيره، فلا يطمع طامع أن يحوم حول حماه، بل يدع الأعناق تشرئب إليه ثم يردها ناكسة الأذقان على الصدور[١] إنه استفهام عقلي يرد شبهة الوحي النفسي. كما قال صاحب مناهل العرفان: وأي وجه لمحمد ﷺ في أن يتنصل من نسبة القرآن إليه وهو صاحبه؟.... فليس شيء أوجه له ولا أعلى ولا أمجد من أن يكون هذا القرآن كلامه... ولو كان من تأليف محمد ﷺ لأثبت به ألوهيته بدلا من نبوته، لأنه لا يمكن أن يصدر إلا عن إله[٢].

كيف يسُوّغ عقل أحدِ من الناس أن احداً من الناس معه ما يغير به الامم، ويحكم به الدول، أن ينسب ذلك لغيره ويسير كل ذلك خلافا لأمره ؟ " وجئتهم بالقرآن فحاربوه، ومنعوا القارئين أن يتلوه، وفروا منه حتى لا يسمعوه، ولكنهم كانوا إذا وقعت إلى أحدهم الآيات منه بدلته تبديلاً وجعلته رجلاً آخر: أقبل عمر الغليظ الجافي، عدو الإسلام الألد، ليأتي الجريمة الكبرى، فسمع آيات معدودات، فإذا هو ينقلب إلى عمر المؤمن الرقيق العبقري الذي أدار وحده إحدى عشرة حكومة من حكومات هذه الأيام، بسلمها وحربها، وقضائها وماليتها، وداخليتها وخارجيتها، وجليل أمرها وحقيره، ما قصر في شيء منه ولا أساء، فكان نادرة الزمان وأعجوبة الفلك"[٣]. وإذا كانت معجزة عيسى عليه السلام إحياء بعض الموتى، فإن معجزة محمدﷺ إخراج أمة من العدم، لتتبوأ مكان الصدارة في ربوع المعمورة وما أبدع هذا التصوير في قول أمير الشعراء:

أخوك عيسى دعا ميتاً فقام له　　　　وأنت أحييت أجيالاً من العدم[٤]

إن من احيا اجيالاً، وبعث أمه، قطعاً ليس هو محمد ﷺ بل القرآن المعجزة الذي يتلوه، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ {الجمعة:٢}. فكيف لو كان من تلقاء نفسه أن ينسبه لغيره؟!

ب. اعجاز التشريع:

وهو مما يحمل العقل على إدراك أن ما جاء به رسول الله ﷺ فوق طاقات العقل البشري وذلك بأمور منها:

- الكثافة في التشريع، وذلك من خلال الوحيين القرآن الكريم والسنة النبوية،مما يوصل إلى نتيجة كونهما وحياً وإبطال أنهما نحلة بشرية "فما بين الله من شأن القرآن الذي إنما يعرف خروجه عن احتمال وسع الخلق من بالغ في فنون الآداب، وعرف جواهر الكلام وأصنافه، ثم ما فيه من

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٨٥.
(٢) انظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢، ص٣١٣.
(٣) الطنطاوي، على، سيد رجال التاريخ محمد ﷺ، جمع مجاهد مأمون، دار المنارة، جده، ط٢، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ص٣٥.
(٤) الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، ص٢٨٨-٢٨٩.

المحاجة في توحيد الرب،وأدلة البعث، مما لم يكن يومئذٍ على وجه الأرض من يدعي ذلك؛ ثم ما فيه من الإنباء وما يكون أبداً، ومن بيان النوازل التي تكون، مما ليس في استعمال العقول تطلع عليه"[١].

وفي هذا يجب أن نتنبه إلى أمر دقيق هو أنه يجب عدم الخلط بينها في التمييز والتفريق بين الإعجاز في الكثافة في الشرائع وهو ما أقصده هنا، وبين الإعجاز في صواب الشرائع، وهو ما سأورده فيما بعد، لذا وجب التنويه لأنهما يصدران من موردٍ واحد وهو بشرية صاحب هذه الشرائع، وهو محمد ﷺ، وأميته، ويتفرعان بنتيجتين مختلفتين هما الكثافة والصواب. فأنّا لبشر لا يقرأ ولا يكتب وفي بيئةٍ وثنية ذات أصنام متعددة أن يضع كل تلك الشرائع وبهذه الكثافة؛ فبالنظر إلى جانب من جوانب شرائعه لو أخذناها مثلاً كالعبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج... الخ، فهي ذات كثافة في أمور التعبد والتحنث،ثم إذا عدنا إلى واحدةٍ من تلك الشرائع وهي الصلاة لوجدناها باباً واسعاً من الفرائض والنوافل، ثم لو دخلنا إلى صلاة واحدة من تلك الصلوات لتفرعت إلينا شجرة عظيمة من الأركان والواجبات والسنن والمكروهات والمبطلات.. الخ، ولو أخذنا ركناً واحداً من تلك الأركان لرأينا له صفاتٍ متعددة وأقوالاً مختلفة.... الخ، إن كل ذلك من الكثافة لا يوصلنا إلا إلى نتيجة واحدة هي أن ما جاء به محمد ﷺ يفوق قدرات الطاقات البشرية "إن نظرة القرآن الكاملة الشاملة المتناسقة للكون والحياة و الفكر والمعاملات والحروب والزواج والعبادات والاقتصاد...لو كانت من صنع محمد ﷺ، لما كان محمد بشراً، إن هذه التنظيمات وهذه التشريعات والآراء تعجز عن القيام بها لجان كثيرة لها ثقافات عالمية وتخصص عميق مهما أتيح لها من المراجع والدراسات والوقت. فرجل أياً كانت عبقريته، وأياً كانت ثقافته، ليعجز عن أن يأتي بتنظيم في مسألة واحدة من هذه المسائل، فما بالك بكلها مع تنوعها وتلون اتجاهاتها؟ وهل يتسنى لأمي أن يأتي بهذه النظرة الشاملة في الكون والحياة والفكر...؟"[٢].

ج. الإعجاز في صواب الشرائع مع الكثافة في التشريع:

إن ما جاء به محمد ﷺ يحمل سمتين هما الصواب والكثافة، فهي لم تكن شرائع محددة ذات نتائج صائبة، ولم تكن شرائع كثيرة ذات نتائج صائبة وغير صائبة، بل شرائع ذات كثافة في التشريع، قد تصل إلى الآلاف من الشرائع والقوانين، وذات نتائج صائبة. إن عملية التشريع وسن القوانين من أخطر القضايا التي واجهت البشرية منذ فجرها الأول إلى يومنا هذا الذي نضج فيه العقل البشري واستوى على سوقه، فهاهم فلاسفته ومنظروه، وعباقرته ومفكروه، ومعاهده وجامعاته، ومجالس شيوخه وبرلماناته تضع التشريع والقانون، وتعتقد فيه الحق والأمان، لما ترى

---

(١) الماتريدي، ابو منصور محمد بن محمد، كتاب التوحيد ، ص٢٨٠.
(٢) شوقي أبوخليل، الإسلام في قفص الاتهام، دار الفكر، سورية، ط٥، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص٢٥.

منه من زخرف القول وعظيم الفكر ومتانة الرأي، واجتماع الأمة عليه، وعند التطبيق بعد الإقرار يتضح الخلل والعور، وتذهل العقول، وتطيش الأحلام، والتجربة شاهدٌ على ذلك؛ فمثلاً:لمن نظر في قانون المرأة والأم والأسرة في الغرب، وإلى غيرها من القوانين التي جزموا بصحتها، فكانت نتائجها غاية في الخطأ والسلبية مما أدى إلى التفكك والانهيار، وما جلبته من التعاسة والشقاء.

وبالنظر إلى الشرائع التي جاء به النبي محمد ﷺ وهو فرد واحد... نجد المقدمات الصادقة والنتائج الصائبة؛ فقانون الأسرة في الغرب كانت نتائجه أن يموت الأبوان أو أحداهما في دور العجزة التي يكتظ بها الغرب اليوم، ومن تأثر بهم من الشرق(١) ومكانة الأم في شريعة محمد ﷺ نتج عنها رفعها إلى المنزلة السامية اللائقة بتكريمها.

إن هذه المقدمة التي أوردتها تدل دلالة على ما يسمى بربانية الشريعة الإسلامية المستمدة من الوحيين القرآن والسنة، فهي ربانية من الله جل وعلا، فالله هو ذو العلم المطلق. أما علمنا فهو علم ناقص محدود، لذا فإن كثرت الشرائع في الإسلام مع صوابها وموافقتها للفطرة البشرية يدل دلالة قاطعة على أن هذه الشرائع من عند الله العالم بكل شيء، ولو كانت من عند غير الله لكان فيها خطأ كثيراً.

إن إبراهيم عليه السلام يترك أماً مع ابنها الرضيع بمكانٍ قفرٍ، ثم يرجع عنهم قافلاً إلى بلاد بعيدة، أمر لا تستوعبه العقول ولا تدركه الأفهام؛ لكن نتائج هذا الأمر، عند صاحب الأمر، الذي أمر بهذا الأمر، فمعرفتنا هلاك نفسين بريئتين رضيع وأمه، فإذا هي حياة امة وأمم، يخرج منهم معلم البشر ﷺ، بعد ذلك قل إن شئت هي الربانية أو الإلهية التي جاءت بعلوم حملها الوحي الذي لا طاقة للعقل البشري بمثل علومه، لذا نجد أن الله تعالى قد نبهنا لهذا فقال: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ {الاسراء:٨٥). إن شرع شرعاً لم تدركه أفهامنا أو تستوعبه عقولنا يختم كل ذلك بقوله جل وعلا ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾. {البقرة:٢١٦)

"فنحن إذن أمام فكرتين تتمثلان في نظر النبي بقيمتين مختلفتين: الفكرة الشخصية التي تنبعث من معرفته البشرية، والوحي القرآني المنزل عليه"(٢). معرفة بشرية تحتمل الصواب والخطأ؛ ووحي منزل صواب لا يحتمل الخطأ، ويتضح ذلك مما رواه مسلم عن موسى بن طلحة عن أبيه، قال: مررت مع رسول الله بقومٍ على رؤوس النخل فقال: "ما يصنع هؤلاء؟" فقالوا: يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيتلقح، فقال رسول الله: "ما أظن يغني ذلك شيئاً ". قال فأخبروا بذلك

---

(١) الجزيرة الوثائقية، برنامج ترحال في خريف العمر.
(٢) ابن نبي، مالك،الظاهرة القرآنية، ص١٦٨.

فتركوه، فأخبر رسول الله بذلك فقال: "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه،فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله عز وجل"(١).

وفي مثل هذا يضع د. راجح الكردي سمات ربانية المعرفة النبوية نوجزها بما يأتي:

١. العلم (٢)الذي جاء به الأنبياء عليهم السلام هو من عند الله بكل خصائصه ومقوماته،بغير ما زيادة أو نقصان.

٢. عصمة الأنبياء من الخطأ في التبليغ حتى تصل إلى البشر سليمة من العيوب.

٣. المعرفة التي تنشأ عن الفكر(٣). البشري تبقى في حدود المعرفة الفكرية البشرية الخاضعة للزمان والمكان والبيئة والتكوين النفسي والمؤثرات الانسانية.

٤. المعرفة (٤)التي تنشأ عن المعرفة النبوية هي وحدها مناط الثقة المبرأة عن كل عيب ونقص،سالمة من كل جهل وهوى(٥).

وهذه السمات تتجلى بكل وضوح من خلال إدراك نتائجها التي لا تخطئ، ولا يعرف غير الصواب إليها طريقاً، وذلك في جميع معارفها التي جاءت بها.ليثبت من خلال ذلك أن هذه الشرائع ليس بمقدور بشرٍ أن يأتي بمثلها مهما علا عقله وارتفع فكره، وصفت روحه، وسمت نفسه. إن هذا التناغم في التشريع بين الروح والجسد قيماً ونظماً، لم ولن تتقنه غير الشريعة التي جاء بها النبي محمد ﷺ منبثقاً عن الوحي الرباني، والتي ضلت فيها الشرائع الغربية وهو مما قرره علماؤهم وفلاسفتهم بانقلاب حياتهم من الإنسانية إلى خلافها، فقد عبر أحدهم عن مثل ذلك بقوله: "وإن من التناقض البين المؤلم أن نرى أن الرقي الباهر الذي حصل في العلوم لا نظير له في التاريخ، وأن هذه الفتوحات المتوالية أحبطت إنسانيتها إلى أخس الدركات،ومن المحزن أن نحس بأنه بينما نشعر بنماء قوتنا يوماً بعد يوم تنطفئ حرارة قلوبنا – وتضيع زهرة حياتنا القلبية بتأثير غلبة المطامع المادية والشهوات الجسدية"(٦). وهذا مع عجز الغرب أن يجد في الوحي المحمدي أي نقص أو تناقض، بل موافقة للعقل والفطرة الإنسانية، فهم لم يتطرقوا لأحاديث رسول الله ﷺ، أو تعاليمه، أو حياة أصحابه، أو شرائع آيات القرآن أو السنة،بل بإظهار المجتمع المسلم بصور بشعة من الجوع والفقر... الخ"(٧).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثالاً ما قاله شرعاً، ح٢٣٦١، ج٤، ص١٨٣٥.
(٢) العلم :هو ادراك الشئ على ماهو به .الجرجاني ،علي بن محمد ،التعريفات ،ص ١٤٢.
(٣) الفكر :ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول .انظر: المرجع السابق،ص ١٥٥.
(٤)المعرفة :إدارك الشي على ماهو عليه ،وهي مسبوقة بجهل .انظر :المرجع السابق ،ص٢٠٠.
(٥) انظر: الكردي، راجح ، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة،دار الفاروق ،عمان ، ط٣ ،١٤٣٢هـ ٢٠١١ م، ج٣، ص٢٨١_٢٨٢.
(٦) السايح، أحمد عبدالرحيم، اضواء على الحضارة الإسلامية، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٠١هـ١٩٨١ م، ص١٩١.
(٧) انظر: قيس الكلبي، حقيقة محمدﷺ في التوراة والإنجيل،ص٣٢.

وإن تطرقوا لما ذكرنا فإنهم يلجأون إلى المغالطات التي نسجوا خيوطها حسب ما تقتضيه أهواؤهم، ولدعم ما أقول فإنه يستحسن أن ألخص نظرية ابن تيمية في مسألة التشريع والمشرع إلى صنفين: فمن أمر بالإثم والعدوان فهو ظالم فاجر، ومن أمر بالبر والعدل فلا يخلو أن يكون عالماً بكل ما يخبر به من الغيوب، جازماً بصدق نفسه جزماً لا يحتمل النقيض. لا يجوز مخالفته، فإن كان جازماً بذلك فهو النبي المعصوم الذي لا يخبر إلا بحق وصدق ولا يأمر إلا بعدل، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ {الانعام:١١٥}. وإن كان غير جازم أي يتحرى العدل والصدق باجتهاده ورأيه، فإن هذا قد يأمر بأشياء يجوز أن تكون المصلحة والعدل في خلافهما، ويخبر بأشياء بأجتهاده يجوز أن يكون الأمر فيهما بخلاف ذلك ولابد أن يغلط في بعض ما يخبر به من العلميات... وارداً خطئه وغلطه لأنه لا معصوم إلا الأنبياء(١).

د. عظمة إعجاز الوحي المحمدي:

تتجلى عظمة الوحي الإلهي الذي أُمر النبي ﷺ بتبليغه من وجهين سأحاول تسليط الضوء عليهما مستعيناً في المقام الأول في ذلك بحدة فكر المتلقي، وسرعة التقاطه للفكرة المطروحة، ومدى تفسيره لظواهر الكون من خلال اعتماد الظواهر المادية ورفض ظواهر ما وراء المادة من ظواهر الغيب والروح. أو على نقيض ذلك باعتماد ظاهرة الروح والقلب واستبعاده للمادة وكلا المنهجين مرفوضان في التعامل مع الوحي الإلهي الذي أُمر النبي ﷺ بتبليغه للناس كافة. إن المتمعن في الوحي يجد أن له جانبين يؤلفان بين ما ذكرنا من عالم المادة وعالم الروح فهو من خلال مصدر تعاليم الوحي يأخذ الصفة الإلهية الغيبية عن الله جل وعلا ومن ناحية تطبيق الوحي يأخذ الجانب الإنساني المادي وذلك عن رسول الله ﷺ فإذا نظرنا إلى الجانب الغيبي رأينا عظمة الوحي وشرائعه الذي يفرض على المتلقي أنه فوق المقدور البشري، وإذا نظرنا إلى الجانب المادي رأينا قوة التأثير، وسرعة التغيير، التي هي فوق القدرات البشرية مما يوصل إلى نتيجة واحدة وهي اتكاء الجانب المادي البشري على قوة هائلة من الجانب الغيبي الإلهي رغم النزعة البشرية في التطبيق "فالقرآن يقاوم الرؤية الغيبية أو اللاهوتية من خلال إيمانه بالسنن الكونية، فهو لا ينسب الحدث الجزئي إلى سبب إلهي أو غيبي مباشر، وإنما ينسب الحدث إلى سببه الواقعي، فيربطه بالأحداث السابقة عليه، وبالأهداف التي رُسمت له في المستقبل عبر سنة أو قانون، ثم يؤمن بأن هذا القانون أو السنة يعبر عن القدرة الإلهية، والإرادة الربانية"(٢). فلا شك هنا أن الوحي الإلهي المنزل على النبي ﷺ محوره الرئيس هو الإنسان المتشكل من عالم الروح التي لا يعلم من أمرها

---

(١) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،ج ٤، ص١١٨–١١٩.
(٢) د. صلاح الجابري، الاستشراق قراءة نقدية، ص١٤١.

شيئاً، ولا يملك غير الإقرار بها، وعالم المادة التي كون إقراره بها نابعاً من إدراكه وحسه لها، فكان من ذلك دقة التنسيق بين تعاليم الوحي الإلهي وتطبيق تلك التعاليم تطبيقاً بشرياً مما نتج عنه أن كان التغيير الذي ساقه الوحي أسرع من الزمان الذي وجد فيه من خلال إقامة دعوة ثم دولة ثم إسقاط أعظم إمبراطوريتين في زمن قياسي لا يتجاوز عقدين من الزمان، وكما أن المطلوب من تعاليم الوحي الإلهي من الجانب البشري في التغيير وهو النبي محمد ﷺ ومن معه من صحبه لا حدود لقدرتها مقارنة بقدرات النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم تلك القدرات المحدودة جداً وفي فترة زمنية لم تكن أصلاً ذات شأن يذكر. فهل تملك أحاديث النفس لرجل واحد أن تغير التاريخ والحياة؟ تغييراً روحياً ومادياً ما زالت آثاره تشتعل على مدار خمسة عشر قرناً من الزمان من خلال عظمة الوحي،وقوة التغيير، والدقة والتناسق بين المصدر والمتلقي. لتتفاعل المادة والروح فيما يسمى تطبيق الدين وشرائعه. وفي هذا يقول د. صلاح الجابري إن الدين في مفهوم الإسلام ليس افتراضاً وضعياً، وإنما هو رؤية واقعية.. واقع تكويني وليس واقعاً تشريعياً فحسب بل هو مكون كوني مثل السماء والأرض... كما في قوله تعالى ﴿ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ﴾، {الروم:٣٠) فكما أن الإنسان لا يستطيع أن يلغي الشمس والقمر، فكذلك الدين لا يمكن إلغاؤه أو تبديله كما يحدث في سائر الفرضيات الوضعية[١].

من هنا يتضح خطأ كل مستشرق أو مفكر يحاول أن يلغي الوحي من خلال عزو أحداثه ومسبباته إلى أحداث ومسببات مادية بحتة؛ لأنه وبكل بساطة يرتقي أو ترتقي نتائجه وأحداثه فوق ذلك كله سواء بشرياً أو اجتماعياً أو إقتصادياً... الخ، فالوحي على نقيض صناعة القوم في الإلغاء من خلال إنكار الأصل الإلهي له فهو يقر بالمادة ويستخدمها في تجانس وتناغم تام فضلاً عن إلغائها ويطالب أتباعها بالأخذ بأسبابها ومسبباتها، فالإشكالية في نبوة محمد ﷺ المنبثقة عن الوحي الرباني "في أذهان الغربيين فإنهم لم يبحثوا في نبوة محمد ﷺ بحثاً عقدياً يهدف إلى النظر في شكل ومحتوى رسالته من حيث دلالتها على النبوة، بل انصرف جمهورهم إلى رصد التشابهات الجزئية الموجودة بين ما جاء به الإسلام وبين الكتابات الدينية السابقة. إضافة إلى رصد المحيط المادي للدعوة الإسلامية؛ لأنهم اعتبروا أن هذه العوامل هي المصادر التي نشأ عنها قيام النبي ﷺ بالتبشير برسالة الإسلام"[٢]. بهذا المنهج المتعسف حاول كثير من المستشرقين ومنهم بروكلمان بشكل مباشر أو غير مباشر أن ينسبوا من نبوة محمد ﷺ ونجاحها المعجز في التأثير والتغيير إلى عوامل

---

(١) أنظر: د. صلاح الجابري، الاستشراق قراءة نقدية، ص١٥٥–١٥٦.
(٢) خضر شايب، نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص٤٤٢.

مادية وبيئية.... الخ بحتة، متجاهلين كل تلك التعاليم والشرائع الصادرة عن وحي لا يملك المنصف إلا عزوها إلى قدرة خارجة عن المقدور البشري.

إن المعجزة تكمن في الجمع بين عظمة الوحي وقدراته الهائلة وبين ضآلة المادة من خلال القدرات البشرية المتاحة للوحي في تلك البقعة من الأرض،بحيث لم تتصادم معها مما يشكل إلغاء أحدهما للآخر، بل بقيام القدرة الإلهية – الوحي – تدفع المادة المتمثلة بالقدرة البشرية إلى تغيير حركة التاريخ بشكل متسارع وقياسي. ولتوضيح هذه الفكرة لكي لتصبح جلية أكثر استشهد بكلام د. صلاح الجابري حول ما أسماه بالحل الفلسفي،حيث نبه إلى مبدأ الانسجام بين العلة والمعلول، ومبدأ عدم التناقض، فيلزم من مبدأ العلية أن النتيجة يجب أن لا تتجاوز سببها؛ فالنتيجة إما مساوية لسببها، أو أقل منه، فإذا تجاوزت النتيجة مجموعة العوامل المحددة كسبب لها، يجب البحث عن عامل آخر هو سبب الفراغ المنطقي بين النتيجة وسببها المفترض لها[(١)]. فمثلاً حياة الجاهلية العربية[(٢)] دينياً واجتماعياً واقتصادياً وأخلاقياً... الخ...لا تكون سبباً في ادعاء النبوة والوحي والمجازفة في ذلك، ثم إن تلك الدعوى من النبوة والوحي تغير وجه العالم في زمن يسير بإمكانات محدودة. إنها علل لا ترتبط بمعلولاتها، أو أسباب بمسبباتها، فقد فشلت حركة التغيير مرات عديدة سواءً على الجانب الفردي كأمثال الحنفاء أو على جانب الملوك والدول كأبرهة الأشرم.

"إن العامل المفقود في التكافؤ بين السبب والنتيجة (الإسلام والعوامل المادية السابقة عليه) وتفاعل الإسلام مع المحيط العالمي هو الوحي السماوي، الذي أسرع من حركة التاريخ المتباطئة في شبه الجزيرة العربية، وأن العامل الأساسي في التكافؤ بين السبب والنتيجة في ظهور الحضارة الإسلامية هي القيم السماوية، ولذلك فإن التفسير الموضوعي لوقائع وأحداث التاريخ الإسلامي لا يمكن أن يعزل تلك الوقائع عن مساهمة عاملي الوحي والقيم الموحى بها"[(٣)]. وأنه كلما كان الصفاء البشري بتطبيق الوحي كلما كان التأثير والتغيير عظيماً وسريعاً رغم ضآلة الاستعداد المادي متمثلاً بذلك في سير الخليفتين الراشدين العمرين، وخلاف ذلك كلما كان التطبيق البشري للوحي مكدراً بشوائب الأهواء والشهوات وسوء النيات كلما أبطأت حركة التغيير وتضاءل حجم التأثير برغم الإمكانات المادية الهائلة واقعاً مشاهداً ومحسوساً من تاريخ هذه الأمة وذلك خلال أربعة عشر قرناً من الزمان.

فمن اللازم أن نفرق بين القدرة المادية المحسوسة، والقدرة الإلهية التي انبثق عنها هذا الوجود بشكل عام ووجود الوحي الإلهي بشكل خاص ظاهرة تعجز المادة عن تحليلها وتفكيكها أو تفسيرها

---

(١) أنظر: د. صلاح الجابري، الاستشراق قراءة نقدية، ص١٩٦.
(٢)الجاهلية العربية:حقبة تاريخ العرب قبل الإسلام وتشمل حضارتهم ودينهم وشعرهم.أنظر:المنجد في اللغة والأعلام، ص ١٩٦.
(٣) د. صلاح الجابري، الاستشراق قراءة نقدية، ص١٩٦–١٩٧.

كظاهرة مادية محسوسة، لأنها وبكل بساطة تتجاوز حدود المادة إلى الكمال الروحي الذي تنشده الحضارة الإنسانية منذ فجرها الأول الذي لم تدركه إلا بالوحي الذي هو حتمية غيبية قد تبدو في مقدماتها تتعارض مع المادة لكنها في نتائجها تتسق معها اتساقاً دقيقاً لا تنفك عنه، إنه النقص في المذهب المادي، أو تأليه المادة دون الإيمان بوجود القدرة الإلهية الغيبية التي تتدخل في ظواهر غير مدركة بالحس الذي يقف على حدود عالم الظاهر، فما وراء هذه الحدود لن يستطيع غير العلم الديني المنبثق عن الوحي أن يجيب عن تلك وبشكل يروي نهم الروح الإنسانية غير المتناهية، إن السيطرة على الجسد وإشباع رغباته أمر ميسور لأنه في نطاق الحس والمادة، وتبقى مسألة التعامل مع الروح أمراً عسيراً لا يدرك إلا بعلم الوحي الصادر عن الله جل وعلا.

وبعد هذا كله فإنك لتعجب أن تنسب هذه الظاهرة الغيبية العظيمة إلى أحاديث نفس، أو تعاليم دينية محرفة أو بيئية إذا ما قورنت بهذه الظاهرة تبقى متخلفة حضارياً وعلمياً واقتصادياً الخ... أو نوبات صرع؟! فأي مصروع هذا الذي تغير نوبات صرعه بوصلة التاريخ؟ وأي أحاديث نفس تلك التي تحول أمة من مؤخرة الأمم إلى صدور الدول؟ وأي مقدمات مغلوطة من التخلف الوثني والحضاري والاقتصادي تنتج عنها نتائج صائبة لا تخطئ؟

هـ. عدم التحذير من نبوة محمد ﷺ.

"إذا كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى يدعون أن كتبهم المقدسة لم تغفل عن أي نبوءات ولو كانت صغيرة، فكيف لم تذكر شيئاً عن الرسول محمد ﷺ ولو بالإشارة سواء بتصديق نبوته أو تكذيبها"(١). بهذه المقدمة لنا أن نسأل إذا كان النبي محمد ﷺ مدعي نبوة، أي سَيُضلُ أمماً من اليهود والنصارى ومن غيرهم من شعوب الأرض وسيخرجهم من دينهم الحق الذي يضمن لهم في نهاية الأمر الجنة إلى دين الباطل الذي سيؤول بهم إلى الجحيم، خاصة إذا عرفنا أن دينه سينتشر وسيعمّر في الأرض وإلى قيام الساعة، وكل ذلك على حساب الديانتين اليهودية والنصرانية" أليس الجدير بأن يذكر منه شيء سواء عن محمد ﷺ أو عن دينه الإسلام في التوراة والإنجيل، فلنقل لليهود والنصارى بينوا لنا من كتبكم المقدسة بطلان رسالة محمد ﷺ إن لم تعترفوا بصدقها؟"(٢).

إن حدثاً عظيماً سيغير مجرى التاريخ وأديان الأمم وبمثل هذا الانتشار والخلود ألم يكن من الأحرى بالتوراة والإنجيل التحذير من مثل هذه الفتنة وهي التي نبهت ونوهت إلى ما هو أقل من ذلك بكثير؟

---

(١) قيس الكلبي، حقيقة محمد في التوراة والإنجيل، ص٣٤_٣٥.
(٢) قيس الكلبي، حقيقة محمد في التوراة والإنجيل، ص٣٥.

إن رجلاً صاحب فتنة وكذب كالمسيح الدجال الذي سيكون في آخر الزمان وفي فترة زمنية محدودة حذر منه الانبياء تحذيراً عظيماً، فكيف بمحمد ﷺ لو كان مدعياً للنبوة غير صادق ألم يكن من الأجدر أن يسلط عليه الضوء، وأن ينبه عنه في النبوات لأنه وبكل بساطة – كما يزعمون – حَوَّلَ الملايين بل المليارات من البشر من دين الحق إلى دين الباطل ومن أهل جنة إلى أهل نار ؟.
إن العقل الصحيح يفرض بعد ذلك كله أن نبوة محمد ﷺ نبوة صادقة حتى ولو لم تبشر بها التوراة والإنجيل، فكيف إذا أثبتنا فيما سيأتي أنهما بشرا بنبوة النبي العربي من بني إسماعيل محمد ﷺ،وقد نبة ابن تيمية الى ذلك فقال:"إنه ليس شرط النبي أن يبشر به من تقدمه، كما أن موسى كان رسولاً إلى فرعون، ولم يتقدم لفرعون به بشارة... فإن دلائل نبوة النبي لا تنحصر في أخبار من تقدمه"[١].كما ذكر ابن القيم أنه من الممتنع عدم ذكر نبوة محمد ﷺ في الكتب الإلهية فهو ما لا تسوغه عقول العقلاء وتأباه حكمة أحكم الحاكمين، بل الأمر بضد ذلك من البشارات وأخذ الميثاق والتصديق به كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ {آل عمران:٨١)[٢].

إن محمداً ﷺ قد جادل أهل الكتاب وظهر دينه على أديانهم، فإن كان كاذباً ومدعياً للنبوة فلا بد أن يذكر بالذم والتحذير، فيكون هذا من أعظم ما يحتجون به عليه في حياته، وعلى أمته بعد مماته، فإذا لم يكن كذلك، علم أنه ليس في كتب الأنبياء ما يوجب تكذيبه وذمه بل يقر بنبوته وصدقه[٣].

ثانياً: النقل

كما أنه لم يأتِ التحذير في الكتب السماوية من نبوة محمد ﷺ ،الإأنه جاء ذكرها في التوراة والإنجيل كتب اليهودية والنصرانية،وهما من أقرب الرسالات السماوية إلى الإسلام سواءً قرباً زمانياً أو مكانياً، أو في الهندوسية والفارسية[٤] وهما الأبعد زماناً ومكاناً عن دين الإسلام،وذلك ليعرف القارئ أن حدثاً عظيماً كنبوة محمد ﷺ لا بد أن تذكره جميع الرسالات، لأنه خلاصة الشرائع وثمرة الدين، ذكراً مؤيداً ومصدقاً لهذه النبوة والوحي؛إذ لو كانت عكس ذلك لنوهت الكتب والرسالات والأنبياء إلى ذلك، وحذرت من مدعي آخر الزمان الذي سَيُظِّلُّ أمماً كثيرة ولأزمان

---

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج١، ص١٧٧.
(٢) أنظر: ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، مكتبة القرآن ،القاهرة ،دط ،دت ،ص٧٠. ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٣، ص٢٩٤.
(٣) أنظر: المرجع السابق، ج٣، ص٢٩٦–٢٩٧.
(٤) أنظر: قيس الكلبي، حقيقة محمد ﷺ في التوراة والإنجيل، ص١٠٢–١١٠.

طويلة، وما دام أنها لم تفعل وإنما أيدت وصدقت فلا يملك القوم غير الإيمان والتصديق أو الكذب والتزوير. هذا وسيقوم الباحث باستقراء ما أمكن من ذلك واستخراج النصوص قدر الإمكان التي تبشر بنبوة النبي محمد ﷺ في التوراة والإنجيل كما يأتي.

أ. **اليهودية:**

تعددت البشارات برسول الإسلام في التوراة، واختلف في البشارة هل هي باسمه محمد ﷺ أم بصفاته ونعوته؟ وقد رجح ابن القيم أن ذكر الرسول محمد ﷺ في كتب اليهود والنصارى إنما هو بأوصافه ونعوته وليس باسمه الشريف[١]. الا أن القول الصحيح أنه مذكوربأسمه ﷺ قال تعالى { **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ }(الصف ٦)** وأورد من تلك البشارات من التوراة ما تشهد بنبوة محمد ﷺ أو تشهد بمثل ما أخبر به من الآيات والبينات على نبوته ونبوة من قبله[٢].

١. البشارة الأولى:

"جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس،وعن يمينة نار شريعة لهم "[٣].

فمجيء الله من طور سيناء[٤]، إنزاله التوراة على موسى عليه السلام، وإشراقه من سعير[٥]، إنزاله الإنجيل على المسيح الذي هو من أرض ساعير، وكما أن إشراقه بالمسيح من ساعير فكذلك إنزاله القرآن على محمد ﷺ من جبال فاران[٦]، التي هي بمكة، ثم أنه جاء في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران[٧]. "وسكن في برية فاران"[٨]، وقد تطرق ابن القيم حول هذه البشارة راداً بذلك على تحريف أهل الكتاب وزعمهم أن أرض فاران هي بالشام وليست في جزيرة العرب،كل ذلك من أجل صرفها عن نبوة محمد ﷺ وسيقوم الباحث بتلخيص الرد بما يأتي:

---

(١) أنظر: ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص٥٨.
(٢) أنظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٣، ص٢٩٩.
(٣) سفرالتثنية ٣٣: ٢.
(٤) طور سيناء: موقع في شبه جزيرة سيناء: إما أن يكون المراد جبل موسى، أو جبل سربال. أنظر:قاموس الكتاب المقدس، ص٤٩٨.
(٥) سعير أو ساعير: جبال ممتدة في الجهة الشرقية من وادي عربة من البحر الميت إلى خليج العقبة منسوبة، إلى سعير الخوري.أنظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٤٦٦.
(٦) فاران: كلمة عبرانية معربة من أسماء مكة أو جبال الحجاز.أنظر:الحموي، أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ج٤،ص٢٢٥.
(٧) أنظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٣، ص٣٠٠.
(٨) سفرتكوين٢١:٢١.

أ- إن هذه البشارة شملت نبوة موسى عليه السلام من أرض سيناء، صَدَّعَ الله بها ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته التي شبهها بمجيء الصباح، ونبوة عيسى عليه السلام بإضاءاته وإشراقه، ونبوة محمد ﷺ، باستعلاء الشمس وظهور ضوئها في الآفاق، فكمل الضياء واستعلن وطبق الأرض. فالبشارة بهؤلاء الأنبياء لها نظير بشارة في القرآن هي قوله تعالى ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴾ {التين:١) فهي أرض المسيح عليه السلام المقدسة و﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ {التين:٢)الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام ﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾ {التين:٣). حرم الله مكة ومنها نبوة محمد ﷺ.

ب- ادعاء اليهود أن أرض فاران بالشام وليست بمكة يدحضه إجماع علمائهم في أن أرض فاران مسكن لآل إسماعيل عليه السلام وفيها نبوة تنزل على عظيم من ولد إسماعيل، وانتشار عظيم لذريته وهذا لا ينطبق إلا على نبوة محمد ﷺ[١].

وعلى فرض أن فاران مختلف في مكانها هل هو في برية الشام أو أرض سيناء أو مكة فإن التمييز هنا يغلب لا محالة على تحقق صفات ونعوت تلك النبوة التي لم تنطبق إلا على جبال مكة التي خرجت منها أعظم دعوة نبوية منذ فجر التاريخ،ومثل هذه البشارة بشارة أخرى من التوراة "الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران، سلاه جلاله غطى السماوات، والأرض امتلأت من تسبيحه"[٢]. فهذا تصريح بنبوة محمد ﷺ الذي جاء بالنبوة من جبال فاران" وامتلأت السماوات والأرض من تسبيحه[٣].

٢. البشارة الثانية:

أ. "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه.ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة"[٤].

ب. "وابن الجارية [٥]أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك"[٦].

ج. "قومي احملي الغلام وشدي يدك به،لأني سأجعله أمة عظيمة، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماءً، فذهبت وملأت القربة ماءً وسقت الغلام"[٧].

---

(١) أنظر: ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص٧٢–٧٣.
(٢) سفرحبقوق ٣: ٣.
(٣) أنظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٣، ص٣١٢.
(٤) سفر التكوين ١٧: ٢٠.
(٥) الجارية: هاجر أمة إبراهيم المصرية وأم إسماعيل. أنظر:المنجد في اللغة والأعلام، ص ٥٨٨.
(٦) سفرتكوين ٢١: ١٣.
(٧) سفرتكوين ٢١: ٢٠/١٩/١٨.

هنا بشارة صريحة بأن ولد إسماعيل سيكونون أمة عظيمة فيلزم من ذلك -الأمة العظيمة - أن تكون لها نبوة مماثلة لغيرها، سواء من جهة فضل الله تعالى أو من جهة حرص إبراهيم عليه السلام على صلاح ذريته والحرص على بقاء النبوة فيهم، ففي تفسير نص التوراة "أجعله لأمة عظيمة" إن كانت تلك الأمة كافرة لم تكن عظيمة، إذ كيف يكون أباً لأمة كافرة، فعلم أن هذه الأمة العظيمة مؤمنون،ويحجون البيت،وهو مما يرضاه الله ويحبه، وأن إسماعيل عظمه الله جداً جداً، مما جعل من الإيمان والنبوة في ذريته، كما عظم نوحاً وإبراهيم، فهذا التعظيم الذي صار به ولد إسماعيل فوق الناس لم يظهر إلا بنبوة محمد، فدل ذلك على أنها حق مبشر به(١).

٣. البشارة الثالثة:

سبق أن تطرقت إليها في المبحث الأول من هذا الفصل، وهي قول الله لموسى عليه السلام: "أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه،فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به بأسمى أنا أطالبه"(٢).

وكما أسلفت فأن الفيصل في هذه البشارة- بالرغم من محاولات اليهود والنصارى تحريفها وتأويلها وصرفها لغير محمد ﷺ- هو قوة التشابه بين حال النبيين في الرسالة الدعوة، مما لا يتوافر لغيرهما من الأنبياء والرسل كيوشع بن نون(٣) عند اليهود، أو عيسى بن مريم عند النصارى(٤).

فمن التحريف لمعناها قولهم: "إن العبارة ليست خبراً، بل هي نفي،وذلك من تقديره للاستفهام أنه إنكاري وليس تقريرياً "أأقيم لهم" ويبطل هذا القول: "لو كان الكلام نفياً لما صح أن يعطف عليه قوله: "ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه"،ولما بطل هذا عمد اليهود إلى صرف تلك النبوة إلى يوشع بن نون(٥). أو إلى "نبي يبعثه الله في آخر الزمان يقيم به ملك اليهود ويعلو به شأنهم وهم ينتظرونه إلى الان"(٦).

ويعد سرد هذه البشارات الأربع من التوراة ينبه الباحث إلى ما يلي:

١. إن ابن القيم وشيخه ابن تيمية يعتمدان في تلك النبوة على ترجمات ذكر فيها اسم النبي محمد ﷺ صراحة مع إقرارهما أن اسمه ﷺ لم ترد به نبوءة صريحة(٧).

---

(١) أنظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ص٣١١ – ٣١٢. ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص٧٤.
(٢) سفر التثنية ١٨: ١٨ /١٩.
(٣) يوشع بن نون: خليفة موسى الذي قاد بني إسرائيل لدخول الأرض المقدسة، منسوب إليه سفر في التوراة عدد أصحاحاته (٢٤).أنظر:قاموس الكتاب المقدس: ص١٠٦٧–١٠٧٠.
(٤) أنظر: ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص٧١.
(٥) أنظر: العمري، رياض، مناهج المستشرقين وموقفهم من النبي ﷺ عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية، رسالة دكتوره، ص٩٠٠.
(٦) ابن القيم، هداية الحيارى في، أجوبة اليهود والنصارى، ص٧١.
(٧) ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص٥٨–٥٩.

٢. إن نصوص التوراة المترجمة إلى العربية عند ابن تيمية وابن القيم تختلف بنسبة معتبرة عن التوراة المترجمة للعربية التي يعتمد الباحث عليها في الرجوع لتلك النبوءات.

٣. إنه ومع الاختلاف بين الترجمات التي اعتمدها ابن تيمية وابن القيم التي وإن كانت صحيحة فهي بلا شك قطعية الدلالة على ذكر نبوة محمد ﷺ في التوراة.

وما في يد الباحث من التوراة فهي تبقى دلائل وإشارات لا ترتقي في الدلالة لما اعتمد عليه ابن تيمية وابن القيم، فالله أعلم، ومثلاً على ذلك ما أورده من الترجمات ابن تيمية في الجواب الصحيح ما يلي "جاء الله بالبينات من جبال فاران، وامتلأت السماء والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته"(١)، وفي ترجمة أخرى لنفس البشارة جاء: "جاء الله من التيمن، وظهر القدس على جبال (فاران) وامتلأت الأرض من تحميد (أحمد)، وملك بيمينه رقاب الأمم، وأنارت الأرض لنوره، وحملت خيله في البحر"(٢). فهذه ترجمات للتوراة اعتمد عليها ابن تيمية فيما كتب وقرر واستنبط.

وأما الترجمة التي اعتمدت عليها فهي نفسها التي استنبط منها صاحب كتاب (حقيقة محمد في التوراة والإنجيل وهي ما يلي: "الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران سلاه جلاله غطى السموات، والأرض امتلأت من تسبيحه.... قدامه ذهب الوباء، وعند رجليه خرجت الحمى(٣)، ما يستنبط منها أنها هي البشارة؛لأن جبال فاران لم تخرج منها إلا نبوة محمد ﷺ(٤)، ولعلي أنبه أن ما ما في النبوءة من ذهاب الوباء بشكل عام والحمى بشكل خاص قد ورد عن المدينة كما روي:ذلك عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك في صاعها ومدها، وأنقل حمّاها فاجعلها بالجحفة(٥).

٤. إن البشارات برسول الله محمد ﷺ كثيرة جداً في الكتاب المقدس سواء بعهديه القديم أو الجديد، ولا يستبعد أن تكون تلك البشارات بالاسم صريحة وتم طمسها أو إخفاؤها كما جاء ذلك في إنجيل برنابا(٦). أو تكون بمعنى صريح من خلال ذكر صفته أو نعته أو البينات على صدق نبوته وتم حذفها لكي تنقلب من نصوص ذات دلالة قوية إلى غير ذلك حسب ما صورته لهم أنفسهم،ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره، ويظهر دينه، وذلك لبقاء تلك النصوص أو بعض منها قوية الدلالة ومن ذلك تعذر انطباقها على غير نبوة محمد ﷺ، وكما قررنا أن دلالة النعت أو الصفة التي يندر أن تتشابه أقوى من دلالة الاسم الذي قد يتطابق مع غيره.

---

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٣، ص٣١٢.
(٢) المرجع السابق، ج٣، ص٣١٣.
(٣) سفرحبقوق٣: ٣/ ٥.
(٤) أنظر: قيس الكلبي، حقيقة محمد في التوراة والإنجيل، ص٢٦٠.
(٥) صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، ح١٨٨٩، ج٣، ص٢٣،.
(٦) أنظر: قيس الكلبي، حقيقة محمد في التوراة والإنجيل، ص١٠٧–١٠٩.

ب. النصرانية:

يبقى كتاب النصرانية العهد الجديد حافلاً بالبشارات التي تثبت بدلالة قطعية أن الله سيبعث بعد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام نبياً تكون معه شريعة كاملة شاملة خالدة إلى يوم الدين، وتنسخ جميع الشرائع التي قبلها، ففي حال قام اليهود والنصارى بتحريف تلك البشارات وذلك بإزالة اسم المبشر به، أو اسم دينه،وتحويلها إلى نصوص ذات دلالة رمزية وغير قطعية،مما يفتح أبواب التأويل لكل من هب ودب، ويبلغ الجدل عنان السماء بلا جدوى ولا فائدة، ولكن كل هذا يزول بسؤالٍ واحدٍ لا مفر من الإجابة عنه بغير إجابة واحدة وهم مقرون بها، هي أن هذه النبوات ثابتة وتفيد بمبعث المخلص الذي تعم شريعته الأرض كلها إلى يوم الدين.... الخ، فهذا اتفاق بيننا وبينهم لا يحيدون عنه إلا بإنكار تلك النبوات التي إن أنكروها فقد أنكروا بعضاً من كتابهم المقدس وسقطت ديانتهم، وإن أثبتوها وهذا مما ليس لهم محيد عنه ولكن بعد تحريفها مما يسهل الجدل في تأويلها. ولكن أسألهم فأقول أولوا كيفما شئتم، وانسبوها لمن أردتم، ولكن في الأخير من يستحق من الأنبياء والمشرعين والمصلحين... الخ حسب كتابكم النبي والفار قليط والمخلص، والمشرع الخ... من يستحقها إذ لم يكن محمداً ﷺ، وأي شريعة هي تلك إن لم تكن شريعة الإسلام المحمدي؟!! فمن النبي الذي بعث بعد عيسى عليه السلام؟ ومن هو النبي الذي جاء بشريعة كاملة وشاملة؟ ومن هو النبي الذي بقيت شريعته خالدة إلى يوم القيامة؟ ومن هو النبي الذي جاء بشريعة تنسخ جميع الشرائع؟ غير نبوة وشريعة محمد ﷺ حتى تنطبق عليه كل تلك النبوءات والمبشرات.

البشارات:

١. **البشارة الأولى:** "إن كنتم تحبونني، فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد..... وأما المعزي، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم"(١).

أنبه إلى إشكالية في هذا النص هو أنه مترجم إلى العربية فلفظة "المعزي" لفظة مترجمة عن النص الأصلي مما يطرح سؤالاً بدهياً هل هي ترجمة أمينة أم أن القوم كما يحرفون النص الأصلي يقومون بتحريف المترجم، وحتى نعرف هل الترجمة صحيحة أم محرفة؟ يجب أن نصل إلى علم اليقين حول النص الأصلي الذي كتب به إنجيل يوحنا الذي نقلت منه هذه البشارة، فهذا مجال خصب لمن أراد البحث حول كتبة الإنجيل الأربعة وعن أعراقهم للوصول إلى لغاتهم الأصلية من أجل أن تكون الترجمة دقيقة والله المستعان. ولأنه ليس بمقدوري الإحاطة بتلك العلوم والبحوث لذلك اعتمدت في ذلك على من سبقني من الباحثين؛ فمثلاً صاحب كتاب حقيقة محمد في التوراة والإنجيل يقول: إن إنجيل يوحنا كتب أولاً بالقبطية ثم ترجم إلى الإغريقية وأن الكلمة التي ترجم

---

(١) إنجيل يوحنا ١٤: ٢٦/١٦.

عنها لفظ "المعزي" أو المريح" هي "بار قليط" وهي لفظة عبرية ويفضل أن تترجم إلى (الأكثر حمداً) وهي شبيهة بكلمة محمد التي تعني أكثر حمداً سابقاً ولاحقاً وللأبد. فكلمة محمد وسط بين كلمتي حَمد وأحمد، وكلمة أحمد كاسم لم يستعملها اليهود والإغريق والعرب عدا اسم النبي محمد[١]، قال ابن تيمية، والفار قليط في لغتهم له عدة أقوال: فقد قيل أنه الحماد والحامد والمعز والحمد. والقول الذي يؤيده البرهان أنه الحمد والدليل قول يوشع: من عمل حسنة تكون له فار قليط جيد – أي حمداً جيدا – ومن قالوا بالمعز، قالوا: هو بلسان اليونان ويفنده أن المسيح عليه السلام لم تكن لغته سريانية أو يونانية بل عبرية[٢].

مع التنبيه الى أن الترجمة التي يعتمدها ابن تيمية، وابن القيم في النصوص هي (الفار قليط) وليس (المعزى)[٣].

من أجل هذا كله أحب أن أنتقل من تطبيق تلك النبوات والبشارات من خلال الاسم نصاً إلى تطبيقها من جانب النعوت والصفات،فإنه لم يكن ثمة نبي تكون شريعته خالدة كما في النبوءة إن المعزي يمكث معهم إلى الأبد إلا شريعة ونبوءة محمد ﷺ، فهي الخالدة إلى قيام الساعة، وقوله يعلمكم كل شيء، فهذا دليل على الشمولية والكمال كما قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾ {المائده:٣). فإن الكمال والشمول لم يثبتا إلا لنبوة وشريعة محمد ﷺ، وتلك النعوت والصفات استطرد ابن تيمية في استقصائها وذلك باستنباطها من تلك البشارات، وأنها لا تنطبق إلا على نبوة محمد ﷺ، فهو المخبر عن صفات الكمال لله، وعن الملائكة والجنة والنار واليوم الآخر ونبوة موسى عليه السلام، وبشارته بعيسى عليه السلام وهو المرشد لأكمل دين والمبين لأشراط الساعة والقيامة والحساب والصراط ووزن الأعمال، مما ليس موجوداً لا في التوراة ولا في الإنجيل، وكذلك من أخبار ما هو كائن من دلائل صدق نبوته ﷺ... الخ[٤].

٢. **البشارة الثانية:** "قال لهم يسوع: "أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية؟ من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا! لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطي لأمة تعمل أثماره،ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه"[٥].

---

(١) أنظر: قيس الكلبي، حقيقة محمد في التوراة والإنجيل، ص٤٨٠.
(٢) أنظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٤، ص٨.
(٣) أنظر: المرجع السابق، ج٤، ص٦، ٨. ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص٧٤، ٧٥.
(٤) أنظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٤، ص١١ – ١٥.
(٥) انجيل متى ٢١: ٤٤/٤٣/٤٢.

إن المسيح عليه السلام يقرر وهو آخر أنبياء بني إسرائيل أن ملكوت الله سينزع منهم إلى شعبٍ آخر وذلك ببعثة ونبوة محمد ﷺ، وهو من أبناء ابراهيم عليه السلام من جهة إسماعيل عليه السلام، وذلك حسب البشارات السابقة بنبوة من ولد إسماعيل عليه السلام وأهم ما يميز تلك الأمة هو العمل وكثرته، وهو ما تميزت به أمة محمد ﷺ مما ليس لها مثيل في سواها من الأمم في كثرة العبادات وتطبيقها لشرائع دينها[١].

ثالثاً: الحس:

يصل الانسان إلى معارفه بأدواته التي يمتلكها من عقل وحواس، والمسلم يعلن تبعيته للقرآن والسنة اللذين يستمد منهما تعاليمه وأفكاره ومبادئه.

إن القرآن يضرب لنا أمثلة على ذلك من بعض سير أنبياء الله الذين سألوا ربهم جل وعلا في بعض القضايا المعرفة الحسية فها هو أبو الأنبياء وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام يطلب من ربه جل وعلا أن يريه كيف يحي الموتى زيادة يقين من خلال المعرفة الحسية، وهو القائل في بداية الأمر (ربي الذي يحي ويميت) {البقرة:٢٥٧}. فصاحب هذه المقولة لما استوثقت علاقته بربه رفع سقف المعرفة إلى أعلى مراتبها في قضية هو كان يقررها مع خصمه المدعي الربوبية وبأن له القدرة على هبة الحياة والموت لمن يريد، أراد إبراهيم عليه السلام من ربه أن يرفع سقف معرفته في قدرة الله على إحياء الموتى من المعرفة النقلية إلى المعرفة الحسية قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾ {البقرة:٢٦٠}.

فالقرآن الكريم كما يقول سعيد حوى: معجزة باقية محسوسة يستطيع كل إنسان أن يعرفها ويتيقنها بعلم اليقين ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ ﴾ {سورة العنكبوت:٤٩}. وهذا القرآن من أين أخذته دل على ذاته، على شرط أن تأخذه بعلم، وتطلب الحق فيه بصدق، فالعالم يستطيع أن يرى في القرآن الحق الذي لا يمكن أن يكون مصدره بشراً. ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦ ﴾ {سبأ:٩} [٢].

فالقرآن معجزة الإسلام العظمى وقد نقل برواية متواترة غير منقطعة، من خلال أنباء تتصف باليقين المطلق، إنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته، تعبيراته جامعة وشاملة وبحجم مناسب، اسلوبه منفرد أصيل، لا مثيل له عند العرب. يؤثر في النفس من غير عون، آياته بمستوى ثابت من

(١) أنظر: قيس الكلبي، حقيقة محمد في التوراة والإنجيل، ص٤٦٠- ٤٦١.
(٢) أنظر: سعيد حوى، الرسول ﷺ، ص٢٥١-٢٥٢.

البلاغة، تكراره مثير بدرجة لا تضعف من أثرها، ينتقل من موضوع إلى آخر من غير أن يفقد قوته، إننا هنا نقع على العذوبة والعمق سوياً[١].شهادتان منا ومن غيرنا بعلو القرآن الكريم عن المستوى البشري.

أ. **إعجاز الحفظ والخلود**

بهذه العناية المزدوجة التي وضعها الله في نفوس الأمة المحمدية بحفظ القرآن الكريم واتصال سنده الذي تكفل الله به كما قال (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) {الحجرات:٩)، وأن هذا القرآن أنزل كتاباً خالد مؤيداً ومهيمناً ومصدقاً لما سبقه من الكتب السماوية التي لم تكن محفوظة ولا خالدة[٢].

وينوه الباحث إلى أن مسألة حفظ القرآن الكريم إذا أردنا أن نتناولها فلا بد أن نحددها في زمانين الأول قبل الجمع العثماني، الثاني بعد الجمع العثماني الذي يمتد من خلافة الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى زماننا اليوم، فإنه لا مجال للجدل والنقاش حول حفظه إذ إن دليله المصحف العثماني، فمنذ جُمع المصحف وكتب على حرف قريش في زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه وإلى يومنا هذا لم يتغير بزيادة أو نقصان،وبهذا توفر له الحفظ الزماني، فهذه الفترة تمتد لأكثر من أربعة عشر قرناً. فالمصحف المكتوب في القرنين الأول الهجري لا يختلف عما كتب في القرن الرابع عشر الهجري وكذلك القرنين الثاني والثالث... إلخ حتى نصل إلى يومنا،هذا فما يطبع في المدينة النبوية اليوم لا يختلف عما كتب فيها زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه،وكما الحفظ الزماني فكذلك الحفظ المكاني فهو نسخة واحدة لا تتغير ولا تتعدد سواء كتب وطبع في بلاد الإسلام كالمغرب ومصر والعراق والسعودية أو بلاد غير أهل الإسلام كألمانيا وغيرها، فهو نسخة واحدة،ففي هذه الفترة الزمنية الطويلة قطع الجمع العثماني للمصحف الطريق على من يجادل أو يشكك في قضية حفظ القرآن الكريم،وإنك لتعجب أن كاتباً ومفكراً مستنيراً يجادل ويحاور ويستشهد بأقوال المستشرقين على حفظ القرآن في هذه الفترة وينجر إلى قضية محسومة بدلالة حسية ومشاهدة، فمن لم تقنعه تلك الدلالة فما يقنعه؟! لذلك نجد أن أولئك المستشرقين قد انزووا إلى فترة زمنية محدودة جداً هي من زمن النبي محمد ﷺ إلى بداية الجمع العثماني،التي لا تتجاوز بضعة عشرة سنة،فدندنتهم ولجلجتهم هو حول هذه السنوات المعدودات إذا إنهم يروجون لشبهات لا تستند للبحث العلمي، بل استندت لتأويلاتهم التي تستنطقها أهواؤهم ونسوا أو تناسوا "أن الكتاب الإلهي الوحيد الذي نقل بنصه الحرفي تواتراً عمن جاء به بطريقتي الحفظ والكتابة معاً هو القرآن، وأن النبي الوحيد الذي نقل تاريخه بالروايات المتصلة الأسانيد حفظاً

(١) أنظر: نورا فيشيا فاغليري، دفاع عن الإسلام، ترجمة، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤٧٩م، ص٥٦ ـ٥٧.

(٢) أنظر: دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، ص١٨.

وكتابة هو محمد ﷺ، فالدين الوحيد الذي يمكن أن يعقله العلماء المستقلون في الفهم والرأي ويبنوا عليه حكمهم هو الإسلام"(١).

فالقرآن الكريم المحفوظ في المصحف الشريف كمعجزة محسوسة ومشاهدة تثبت صدق نبوة محمد ﷺ تبقى معجزة خالدة باقية دائمة، تحمل سر إعجازها ومضمون دعوتها في آن واحد، ولكل جيل، فهي المعجزة المحسوسة الوحيدة التي تفردت بالاستمرار والبقاء والخلود وعكسها من المعجزات الحسية التي تفقد بقاءها بعد حدوثها لتصبح خبراً تتناقله الرواة، فهي لا تملك الاستمرارية والأقناع(٢). كمثل ناقة صالح، وعدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام وانفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام"(٣).

ويخلص الباحث من هذا أنه لا يلزمه لا هو ولا غيره من الباحثين الدفاع عن المصحف وخلوه من التحريف خلال هذه الفترة،لأنه وبكل بساطة إن المطبوع الآن لا يختلف عن المصحف الذي كتب في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه والموجود في اسطنبول (٤).، ويبقى، إذاً الفترة التي حددتها وهي من زمن النبي محمد ﷺ إلى الجمع العثماني التي لم تتجاوز بضع عشرة سنة والتي نستطيع أن نثبت أن القرآن لم يتعرض لأي زيادة أو نقصان من خلال ما يأتي:

١. **طول فترة حسية حفظ القرآن الكريم .**

إن كتاباً كالقرآن حفظ على مدى مئات السنين حفظاً حسياً في مصحف واحد من فترة جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى زمننا الحاضر ولم يتعرض للزيادة أو النقصان من قبِل الخلف وهم أضعف شأناً من سلفهم أنّى له أن يحرف أو يغير فيه في بضع عشرة سنة من زمن النبي ﷺ إلى زمن جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فاتفاق الأمة على مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه مع اختلافها سياسياً ومذهبياً... إلخ، دليل حسي على حفظ القرآن وذلك بتطابق نسخه كما سيأتي معنا فلو قدر أن المصحف قد حرف في أول أمره وزيد فيه وأنقص منه وذلك قبل الجمع العثماني في مصحف واحد لكان من باب أولى أن يحرف ويزور فيما بعد ذلك،لما ذكرنا من طول المدة واختلاف الأمة وتفرق مذاهبها وتكالب الأعداء عليها مع غاية قوتهم وكمال عنفوانهم، وهي في أشد حالات ضعفها وتفرقها وتشرذمها وكثرة منافقيها.

---

(١) محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١ ،٢٠٠٥ م ، ص٥٦.

(٢) أنظر: الغامدي، احمد بن سعد بن حمدان، عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص٧٦.

(٣) الهمذاني، قاضي القضاة عبد الجبار بن احمد، دلائل النبوة، مقدمة التحقيق، تحقيق أحمد السائح، توفيق وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،ط٢، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، ج١، ص٢٧.

(٤) اسطنبول: مدينة تاريخية في تركيا على ضفتي البسفور تفصل بين قارتي أوروبا وأسيا وهي بيزنطية قديماً اتخذها قسطنطين عاصمة الإمبراطورية الشرقية وسماها القسطنطينية دخلها محمد الفاتح وأصبحت عاصمة العثمانيين.أنظر: المنجد في اللغة والأعلام.ص٤٣.

٢. **أطوار جمع القرآن وحفظه**

إن الجمع العثماني لم يكن جمعاً سمعياً أي من صدور الرجال، فقط بل جمعاً حسياً، مما كان عند أم المؤمنين حفصه بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما من الصحف التي كتبها وجمعها الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه وحصل إجماع عليها من عموم اصحاب النبي ﷺ، فعن أنس أن حذيفة بن اليمان لما رأى اختلاف الناس في القراءة قال لعثمان: "أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى" فأرسل إلى حفصة[١]: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصةُ إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت[٢] وعبد الله ين الزبير[٣] وسعيد بن العاص[٤] وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[٥]، فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه أنما أنزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة "[٦].

فهذا الجمع إنما هو من صحف محسوسة إلى مصاحف محسوسة، وهو مما يضيق فترة حفظ المصحف من النقل فقط إلى الحس إذ أثبتت هذه الرواية أن نقله من صدور الرجال إلى صحف ملموسة إنما هو من وفاة رسول الله ﷺ إلى جمع الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

مع وجود ما يثبت أن القرآن قد كتب في عهد رسول الله ﷺ فقد ذكر صاحب الاتقان نقلاً عن الحارث المحاسبي أن" كتابة القرآن ليست بمحدثة، فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقاً في الرقاع، والأكتاف والعسب، فإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً، وكان ذلك

---

(١) حفصة:بنت عمر بن الخطاب، أم المؤمنين ولدت قبل البعثة بخمس سنين، تزوجها رسول الله بعد وفاة زوجها حصن بن حذافة توفيت عام ٤٠ هـ وقيل ٤٥ .أنظر:العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج٤، ص ٢٦٤.

(٢) زيد بن ثابت: بن الضحاك من بني النجار خزرجي أنصاري، من كتبة الوحي ومن علماء الصحابة، وممن جمع القران في زمن الصديق، توفي ٤٥ هـ على الارجح، أنظر:العسقلاني، الاصابة في تميز الصحابة، ج١، ص ٥٣٤-٥٤٤.

(٣) عبد الله بن الزبير: بن العوام بن خويلد من بني أسد قرشي وأمة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ولد عام الهجرة، تولي الخلافة بعد وفاة يزيد بن معاوية ولم يتخلف عن بيعتة الإ أهل الشام، وهو أول مولود للمهاجرين في المدينة، قتلة الحجاج على الارجح سنة ثلاث وسبعين للهجرة.أنظر: العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج٢، ص ٣٠١-٣٠٣.

(٤) سعيد بن العاص:بن سعيد بن العاص بن أمية ولد عام الهجرة وهو من كتبة المصحف لعثمان بن عفان رضي الله عنة ومن قادته وأمراءه، سخيا كريماً شجاعاً اعتزل الجمل وصفين، توفي ٥٩هـ.أنظر، ابن عبد البر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢، ص ٨-١٢.

(٥) عبدالرحمن بن الحارث بن هشام:المخزومي القرشي، نشأ في حجر عمر وتزوج بنت عثمان بن عفان رضي الله عنهما وهو أحد كتبة المصحف الأربعة زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، مات سنة ثلاث واربعين للهجرة. أنظر:ابن حجر، الإصابة في تميز الصحابة، ج٣، ص ٦٦.

(٦) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ح ٤٩٨٧، ج٦، ص١٨٣.

بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشر فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء"[١].

فملخص ذلك أن القرآن الكريم مر بثلاث مراحل أثناء جمعه هي المرحلة النبوية وكان يحفظ ويكتب، فعن أبي سعيد، قال رسول الله ﷺ: "لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ"[٢].

فالكتابة والحفظ للقرآن الكريم كانت من سمات المرحلة النبوية التي سار عليه الصحابة فيما بعد "لأن الرسول والمؤمنين كانوا يحفظونه مع تتابع الوحي، ثم يكتبه في نفس الوقت الكتبة الذين حوله، وهكذا فقد توفر للقرآن من البداية عنصرا الأصالة اللذان لم يكونا أبداً متوفرين للأناجيل، وقد ظل الأمر كذلك حتى وفاة الرسول "[٣].

ومرحلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه جمع من الرقاع وصدور الرجال،ومرحلة عثمان بن عفان رضي الله عنه جمع من الصحف إلى مصحف واحد وبلسان واحد،فهو في كل تلك المراحل كان يمر جمعه بالسمع وهو من صدور الرجال، والحس وهو من الرقاع والعسيب والصحف والمصحف[٤]، لقد اقتدى أصحاب رسول الله ﷺ به في حفظ القرآن الكريم كتابة وحفظاً،و لم يكن ذلك خوفهم من تحريفه أو تزييفه، وذلك لعظم ذائقتهم اللغوية، فكانوا يميزونه عن غيره،وإنما كان خوفهم من أن يضيع شيء منه " لأنهم كانوا يُبدون عن تأليف معجز ونظم معروف قد شاهدوا تلاوته من النبي ﷺ عشرين سنة، فكان تزوير ما ليس منه مأموناً، وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من صحيحه "[٥]."وهكذا ظهرت فيما بعد قيمة هذه الطريقة المزدوجة في حفظ النص بالكتابة بالكتابة من جهة وحفظه في الذاكرة من جهة ثانية"[٦].

إن أصحاب رسول الله ﷺ هم أعظم الناس اقتداءً به في كل صغيرة وكبيرة،فكيف بهم في مسألة مثل مسألة حفظ القرآن وجمعه أن لا يولوها اهتمامهم الأكبر، وهو خلفهم على الوحي المنقطع بموت رسول الله ﷺ الذي مع تكفل الله له بحفظه وتحفيظه إياه، ومع وجود أصحابه الذين كانوا يحفظونه عن ظهر قلب،ومع هذا كله كما ذكر الزرقاني نجد كتبة الوحي من أصحابه وكان ينهاهم عن كتابة أي شي آخر غير القرآن الكريم وكان من أبرز كتبه الوحي الخلفاء الأربعة [٧].

---

(١) السيوطي، الحافظ أبي بكر الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الاتقان في علوم القرآن، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، د ط، ١٤٢٦هـ، ج ١، ص٣٨٥.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، ح٣٠٠٤،ج٤، ص٢٢٩٨،.
(٣) موريس بوكاى، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص١٥٨.
(٤) أنظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج١، ص١٧٨-١٧٩.
(٥) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج٢، ص ٣٨٥.
(٦) بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص١٦٠.
(٧) أنظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم، بيان الفرقان في علوم القرآن، تحقيق فوزان حمد تركي ،دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ج١، ص٢٠٢.

٣. اتفاق المسلمين على لغته ورسمه.

بعد وفاة الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه حصل في أمة الإسلام انقسام مذهبي وسياسي عظيم نتج عنه سفك دماء غزيرة، وحروب طاحنة وانقسامات مذهبية حتى آل الأمر إلى التكفير واستحلال الدماء ومع ذلك بقي المصحف نسخة واحدة في لغته ورسمه فإنك لن تجد قرآناً تتلوه بغير لغة العرب ولن تجد كذلك قرآناً كتب بغير الرسم العثماني، كما أنه لا توجد نسخة أخرى للمصحف،كل تلك أدلة حسية على صدق وسلامة نسخة المصحف التي بين أيدينا. وقد ذكر السيوطي في الإتقان أقوال بعض الأئمة: فقد أورد عن الإمام مالك[(١)] أنه سئل: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال: لا إلا على الكتبة الأولى....وقال الإمام احمد[(٢)]: " يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو الف أو غير ذلك "[(٣)].

وهذه كلها دلائل تدل على عظمة حفظ هذا القرآن الكريم حفظاً إلهياً حيث لم توجد إلى الآن نسخة أخرى للقرآن الكريم،وهذا ما شهدت به دائرة المعارف الإسلامية وبأنه قطعي الثبوت ومنزه عن الخطأ والتحريف[(٤)]، وخلاصة ذلك ما ذكره ابن تيمية أن المسلمين عندهم نقلاً متواتراً عن نبيهم بألفاظ القرآن،ومعانيه المتفق عليها،.... فالمسلمون يحفظون القران في صدورهم حفظاً يستغنون به عن المصاحف[(٥)].

ب. إعجاز اللغة والبيان

إذا بعث الله أحداً برسالاته إلى قوم فإنه يمده بما يعجزون عن الإتيان بمثله، كما صنع مع موسى عليه السلام عندما أرسله إلى فرعون وقومه الذين برعوا في السحر والتخييل،ففلق له البحر وقلب عصاه إلى حية تلقف ما صنعوا من السحر، كما أيد،عيسى بن مريم عليه السلام بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص مما أعجزهم أن يأتوا بمثله.

وفي نبوة محمد ﷺ ايده الله بمعجزات كثيرة،لكن تبقى معجزة القرآن هي المتفردة بالخلود والتحدي على أن يأتوا بمثل لغته وبيانه وفصاحته في زمن علا بيانهم، وسمت فصاحتهم، وكملت لغتهم، فأصبح الشعر والبيان من قوته وسطوته يخفض ويرفع أكثر مما يصنع السيف والقلم والكرم والشجاعة... إلخ.

---

(١)الإمام مالك:بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبدالله.إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة تنسب إلية المالكية ولد وتوفي في المدينة (٩٣-١٧٩ هـ) أشهر كتبة "الموطأ".أنظر: الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٢٥٧

(٢) الإمام أحمد:بن حنبل من بني شيبان ولد ببغداد عام ١٦٤ هـ، تصدى للقول بخلق القران، وصبر للبلاء والسجن، توفي ببغداد عام ٢٤١هـ، ابرز كتبة "المسند" وهو أحد الأئمة الأربعة، أنظر:دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، ص ٥٠٩-٥٢٢.

(٣) أنظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج٦، ص١٩٩-٢٠٠.

(٤) أنظر: دائرة المعارف الإسلامية، مادة أصول، ج٣، ص٨٢٦-٨٢٩.

(٥) ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٢، ص٧.

إن تألق مالك بن نبي في توصيف تلك الحالة المتفردة عند العرب يوحي بأسلوب جمالي راقٍ أن العرب كانت تبني من لغتها ما بنته الفراعنة بفنون عمارتها، وتصور من الجمال ما ابدعه وصوره فنانو اليونان وفلاسفتهم، فكما كانوا يبدعون في هواياتهم فقد أبدعت العرب بلغتهم، فلم يقتصروا في استخدامها في ضرورات حياتهم اليومية شأن الشعوب الأخرى،وإنما تفنن العربي باستخدام لغته، فنحت منها صوراً بيانية لا تقل جمالاً عما كان ينحته النحاتون ويرسمه الرسامون(١)، ولعلي من هذا استدل سريعاً على عظمة إعجاز الخلود القرآني. ألم تكن تلك الإبداعات البشرية خالدة وذلك نتيجة بلوغ من قام في بنائها وتصويرها غاية التمام، وكما هذا فقد خُلدت اشعار العرب التي هي نتيجة إبداع بلغ مرحلة التمام فجاء القرآن الإلهي ليبلغ مرحلة الكمال متحدياً بإعجازه اللغوي كل ذلك.

ولتصوير تلك المرحلة في ذهن القارئ لإدراك عظمة البيان العربي الذي نازعه القرآن تلك المكانة ما صوره الأستاذ محمود شاكر في مقدمته لكتاب الظاهرة القرآنية بأن العرب قد بلغت في ذلك أنها قدست لغتها وبيانها أكثر مما قدست أصنامها وأوثانها، فقد كانوا عبدة البيان قبل أن يكونوا عبدة الأوثان، وقد سمعنا من استخف بوثنه، ولم نسمع قط من استخف ببيانه(٢).

بهذه الحالة اللغوية المتفردة من تعلقت نفسه ووجدانه بلغته، واعتزازه ببيانه وفصاحته، نزلت بالعرب الظاهرة القرآنية بتحدٍ لم يسبق له مثيل. تحدٍ لقريش أو لمن يسمع القرآن من العرب أو الإنس والجن أن يأتي بمثله، أو أن لا يتأثر به، تحديان صريحان، واضحان باقيان، لم تملك قريش ولا العرب وأعرابها غير الإذعان لبيانها، وتبيانها، ففي التحدي الأول وهو أن يأتوا بمثل هذا القرآن كان التهكم واضحاً وذلك إمعاناً في الإذلال والاستخفاف قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ {النحل:١٠٣).

فهذه الآية قد تبدو وللوهلة الأولى أنها ترد على شبهة واحدة هي أن النبي محمداً ﷺ يتعلم هذا القرآن من رجل أعجمي(٣)، وهي كذلك بلا شك، ولكن قمة الإعجاز في هذه الآية في ثلاث كلمات: لسان عربي مبين، ثلاث كلمات هي رد على كل الشبهات التي أثيرت حول القرآن الكريم،فمهما قلتم عنه من سحر وكهانة وشعر وأعجمي ويهودي ونصراني... إلخ كل ذلك نتنازل معكم فيه ولكن إن قدرتم أن تتكهنوا وتسحروا أو تقول الشعر وتتعلموا من اليهود والنصارى فكل ذلك ممكن لكم ولكن الذي لن تتمكنوا منه وهو الذي نتحداكم به أن تجعلوه في لسان عربي مبين كما هو اللسان

---

(١) أنظر: ابن نبي، مالك، الظاهرة القرآنية، ص٦١.
(٢) أنظر: مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص٦١.
(٣) أنظر: د. المطعني ،عبد العظيم ، افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض ونقد، مكتبة وهبه ،القاهرة ،ط١ ،١٤١٣هـ ١٩٩٢م ،ص٣١.

القرآني العربي المبين. وانتم تتكلمون بلسان عربي مبين، فنحن تكلمنا بما تكلمتم به لسان واحد ولغة واحدة، وبيان واحد، ولكن شتان بين ما جئنا به وجئتم به، فهو كلام منثور وليس بشعر مقفى موزون، فلو كان شعراً لاقتصر التحدي على الشعراء وهم قلة، ولما كان كلاماً عربياً مبينا كان التحدي على مصراعيه لكل من نطق بلسان العرب، إن تحدي الإعجاز لم يقتصر في القرآن على الشعراء والأدباء،بل على كل العرب، بل البشر بل ذهب إلى ابعد من ذلك عندما قال جل وعلا: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ {.الاسراء:٨٨)

فشمل التحدي هنا أمة الثقلين من الجن والإنس أن يأتوا بمثله فهو كلام "أخذ من النثر جلاله وروعته، ومن النظم جماله ومتعته،ووقف منهما في نقطة وسط خارقة لحدود العادة البشرية، بين إطلاق النثر وإرساله،وتقييد الشعر وأوزانه. ولو أنصف هؤلاء لعلموا أنه كلام منثور لكنه معجز ليس كمثله كلام، لأنه صادر من متكلم قادر ليس كمثله شيء(١). قادر أوصلهم إلى منتهى البلاغة والبيان، ثم جاءهم بقرآن تحداهم أن يأتوا بمثله ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ {الطور:٣٣-٣٤)، فلما أعياهم بعشر سورٍ مرة أخرى تحداهم: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ {هود؛١٣)' فلما اعجزهم اتبعه بتحدٍ ثان فأتبعه بتحد ثالث أمر وأدهى ولو بسورة واحدة ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ {البقرة:٢٣)، وبعد هذا التحدي المقرون بهدم دين وإقامة دين، هل كان محمد ﷺ يقدر على مثل هذا التحدي لو لم يكن مصدره الوحي الإلهي؟

ولو كان من عند محمد ﷺ ألا يخالجه الشك في إعجاز القرآن ولم يتطرق لموضوع التحدي به، ففي نبوته جوانب متعددة يستطيع بها محاجة أولئك القوم؛ ألم يكن التحدي خارج الإرادة المحمدية وهو مفروض عليه لزاماً ممن أوحى إليه بهذا القرآن، وبعد هذا فإن كلمة "تحدي" أو متحدى به يجب أن يضاف إليها المطلق الخالد فهو لم يكن تحدٍ لزمن دون زمن بل هو تحدٍ مطلق خالد، ولم يكن لقوم دون قوم، أو عرق دون عرق، أو أمة دون أمة، بل للجميع، بل تعدى إلى أن يكون التحدي خارج نطاق البشر فضمنه أخوتهم من الجن لعل وعسى "وهكذا لا يزال تحدي القرآن الكريم قائماً ومستمراً على مر القرون والأجيال، وهي خاصية عظيمة ورائعة في صالح القرآن،

---

(١) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢، ص٢٤٤.

تثبت دون مرية أنه كلام من فوق الطبيعة"[١].كلام جعل العرب تنتقل في تحديها له من الأسهل وهو البيان إلى الاعسر وهو السنان." إنا إذا سقنا دليل الاعجاز فقلنا: لولا أنهم حين سمعوا القرآن، وحين تُحُدُّوا إلى معارضته سمعوا كلاماً لم يسمعوا **قطُّ** مثله، وأنهم رَازُوا أنفسهم فأحسوا بالعجز عن أن يأتوا بما يوازيه أو يدانيه أو يقع قريباً منه لكان محالاً أن يَدَعُوا معارضته وقد تُحُدُّوا إليه، وقُرِّعُوا فيه، وطولبوا به،وأن يتعرَّضوا لِشَبَا الأسنة، ويقتحموا موارد الموت"[٢].فما الذي أعجزهم؟ سؤال استحالة إجابته بواحدة من القول، أو اطروحة من العلم، أو سفر من التأليف، حيث كتب في إعجازه الاسفار القصار والطوال،وتحدثت به الخطباء والبلغاء، فلم تقع له على ساحل أو تهتدي فيه إلى شاطئ، كلما نهلوا زادهم استعاراً فأضاء نوراً، نورُ على نور يهدي الله لنوره من يشاء، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ {الكهف:١٠٩)، ولكن بقولٍ مختصر مفيد نقول: " أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها،ومواقفها،وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة، وتنبيه وإعلام وتذكير، وترغيب وترهيب، ومع كل حجةٍ وبرهان، وصفةٍ وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعُشراً عُشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانُها، ولفظة ينكر شأنها، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقاً بهر العقول وأعجز الجمهور، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً، لم يدع في نفس بليغ منهم، ولو حك بيافوخه السماء، مَوضعَ طَمَع، حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول، وخلدت القروم فلم تملك أن تصول"[٣].

من أجل ذلك انقطع القوم عن إعجازه باللسان إلى المحادة بالسنان، وأما ما كان من التحدي الآخر وهو التأثر به فإن القرآن لم يكتف على أن يأتوا بمثله،بل تحداهم بعدم تأثيره فيهم إذ إن من معجزات هذا الكتاب الخالد قوة تأثيره على من يسمعه سواءً كان مؤمناً به أو جاحداً،بل ذهب إلى ابعد من ذلك فخرج يتحدى تأثيره من دائرة الكائنات الحية إلى الجمادات، وذلك في حال لو كانت هي المقصودة في الخطاب القرآني قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ {الحشر:٢١).

---

(١) وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، مدخل علمي إلى الإيمان، دار قتيبة، سوريا، ط١، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ص١٣٦.

(٢) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الاعجاز، ت محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ص٣٨.

(٣) الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص٣٩.

يقول ابن كثير:" هذا بيان من الله بعظمة القرآن وعلو قدره فالجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل"[١]، فالقرآن الكريم كلام الله المعجز في التأثير فهو كلامُ لم يؤثّر كلام مثله أويُؤثر إلى اليوم في حياة الناس.

فهو الكلام الذي بتأثيره تتبدل الأديان، وتخضع الملل والأمم، ويزهد بالأموال والأولاد والأوطان، بل من أجله تزهق الأنفس وتراق الدماء. فكما تأثيره على مؤمنيه كان كذلك على جاحديه ومعانديه فمن مظاهر تأثيره ما يأتي:-

"المظهر الأول: إن هؤلاء المشركين مع حربهم له، ونفورهم مما جاء به، كانوا يخرجون في جنح الليل البهيم يستمعون إليه"[٢]، فقد ذكر ابن هشام أن ابا سفيان وأبا جهل[٣] والأخنس بن شريق[٤]، كانوا يستمعون لرسول الله ﷺ وهو قائمُ يصلي من الليل إلى طلوع الفجر حتى إذا جمعهم الطريق تلاوموا وعزموا أن لا يعودوا لذلك ثم يعودون لما كانوا يستمعون حتى إذا كان من الغداة اقروا بصدق نبوته وما يمنعهم من الإيمان به إلا الكبر والحسد[٥].

"المظهر الثاني: إن ائمة الكفر منهم كانوا يجتهدون في صد رسول الله عن قراءته في المسجد الحرام وفي مجامع العرب وأسواقهم، وكذلك كانوا يمنعون المسلمين من إظهاره، حتى لقد هالهم من أبي بكر أن يصلي في فناء داره"[٦].فقد جاء في البخاري أن قريشاً استدعت ابن الدغنة [٧]، فلما فلما قدم عليهم قالوا "إنا كنا اجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه،وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وابناءنا فانهه، فإن احب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك... الحديث"[٨].

ويتضح مثل هذا المعنى عند دراز في كتابه النبأ العظيم حيث يبين أن مثل هذا المنع لم يكن موجهاً لرسول الله ﷺ أو أبي بكر رضي الله عنه،وإنما لإعلان القرآن الكريم ونشره بين العرب؛لأنهم قد وجدوا له شأناً لا يشبه شأن الناس، وأنهم أحسوا أن في قراءته قوة غلابة. وتياراً جارفاً يبسط سلطانه حيث يصل صدى صوته، وأنهم لم يجدوا سبيلاً لمقاومته بمعارضته بكلام

---

(١) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٣٤٢-٣٤٣.
(٢) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢، ص٣١٥.
(٣) أبو جهل:عمرو بن هشام (ت٢هـ/٦٢٣ م) زعيم بني مخزوم في قريش، من أعداء النبي.قتل في معركة بدر. أنظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص١٧.
(٤) الاخنس بن شريق:ابن عمرو ابن وهب الثقفي حليف بني زهرة ،واسمه أَبي أسلم فكان من المؤلفة قلوبهم شهد حنيناً ومات في أول خلافة عمررضي الله عنه.انظر :العسقلاني ،ابن حجر ،الاصابة في تميز الصحابة ،ج١ ،ص ٣٩.
(٥) أنظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٣٨٩ -٣٩٠.
(٦) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢، ص٣١٦.أنظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢،ص١٥.
(٧) ابن الدغنة: ويقال ابن الدغينية وهو ربيعة بن رفيع أهبان ابن ثعلبة السلمي، والدغنة:أمه غلبت على اسمه، شهد شهد حنين ثم قدم على النبي عليه الصلاة والسلام في بني تميم.أنظر: هامش البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ج٣،ص ١١٧.
(٨) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ح٣٩٠٥،ج٥، ص٥٨،

مثلـه،فحالوا بينـه وبين النـاس بمـا استطاعوا مـن الحيـل[١]. مـن المكـابرة، والصـفير، والتخليط فـي المنطوق،وعيبه وجحده وإنكاره، وعداوته[٢] وهو ما ذكره الله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ {فصلت:٢٦}. فمـا دفـع كفـار مكـة لصـنع مثـل ذلـك هـو إعجـاز التأثير في القرآن الكريم وعدم قدرتهم على دفع هذا الإعجاز، أو إيجاد رد يقنعهم أو يقنع غيرهم بسبب قوة تأثيره فيهم.

المظهر الثالث: وهو غلبة حجة القرآن الكريم عليهم،حتى وصل بهم العجز إلى الحيرة في تصـنيفه،لتبرير رده والصـد عنـه بعد أن استشـعرت قـريش خطـره علـى العـرب بقـرب موسـم الحج،حيث اجمعوا أمرهم على أن يقولوا في القرآن قولاً واحداً لا يختلفون فيه، فبعد نفيهم عنه الكهانة والجنون والشعر والسحر إلا أن يكون سحراً يفرق بين المرء وأبيه وأخيه وزوجته فتفرقوا على إجماع بهذا القول[٣].

المظهر الرابع: إن المعاندين لـه من زعمائهم وصناديدهم إذا سمعوا القرآن الكريم أثر فيهم فحولهم من الأعداء إلى الأتباع،وذلك بمجرد سماع آيات ينقلب قلبه فينخلع من دينه، ويلقي سلاحه، ويتنكر لموروثه، فقد ذكر ابن هشام في سيرته في سبب إسلام سعد بن معاذ [٤]وأسيد بن حضير [٥].أن سعد قال لأسيد انطلق إلى هذين الرجلين سعد بن زرارة[٦]. ومصعب بن عمير[٧]. فانههما، فانههما، فأخذ حربته واتجه إليهما متشمتاً ومهدداً إن كانا لهما بنفسيهما حاجة أن ينتهيا، فاشترطا عليه أن يسمع أولاً القرآن فإن لم يعجبه كفوا عنه، وإن اعجبه قبل، فلما سمع لم يملك من أمره شيئاً إلا أن يسلم،وكذلك كان الأمر مع صاحبه سعد بن معاذ رضي الله عنهما[٨]، إن قوة التأثير تتضح في الاسياد قبل الرعاع، وفي الخصوم كما الاتباع.

---

(١) أنظر، دراز، النبأ العظيم، ص٧٥-٧٦.
(٢) أنظر، ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٩٨.
(٣) أنظر، ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٣٣٤-٣٣٥.
(٤) سعد بن معاذ بن النعمان، من بني عبد الأشهل، خزرجي أنصاري، شهد العقبة الاولى والثانية والمشاهد كلها مع رسول الله حتى رمي يوم الخندق بسهم فعاش شهراً ثم انتقض جرحه فاستشهد.أنظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، ج٢، ص ٢٨-٢٩.
(٥) اسيد بن حضير بن سماك من بني عبد الأشهل أوسي أنصاري من النقباء ليلة العقبة، آخى رسول الله بينة وبين زيد بن حارثة توفي سنة ٢٠وقيل ٢١ هـ. أنظر: العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة،ج١، ص٦٤.
(٦) سعد بن زرارة بن عدس من بني النجار خزرجي أنصاري.أنظر: العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج٢، ج٢، ص٢٥.
(٧) مصعب بن عمير بن هاشم من بني عبد الدار هاجر الى الحبشة ثم المدينة، شهد بدر وأستشهد في أحد. أنظر: العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ج٣، ص ٤٠١-٤٠٢.
(٨) أنظر، ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٨٨-٨٩.

ج. إعجاز الإخبار بالغيب:

الإيمان بالغيب من أعظم العبادات التي تعبد الله جل وعلا بها عباده، وأثنى عليهم بها، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾{البقرة:٣-٥}. فالإيمان بدين الله والالتزام بشرائعه قائم في عمومه على الإيمان بالغيبيات كوجود الله والوحي، والملائكة... الخ، وجزاء المؤمن به الجنة لمن آمن والنار لمن جحد. ولجعل الغيب حقيقة مرتبطة بالدين تنجذب إليها أفئدة العباد جعل لها مقداراً من وحيه لرسله بشكل عام،ولرسول الله ﷺ بشكل خاص، فالوحي المنزل من قرآن كريم أو سنة نبوية نجد أنه قد اشتمل على كثير من الإخبار بالغيبيات التي تتحقق بين الفينة والأخرى، سواءً كانت تلك الأخبار من الحوادث السياسية أو الحربية أو الاقتصادية أو العلوم العلمية من طب وفلك... الخ، التي لم تكن معلومة من ذي قبل، فهي معجزة لهذا الوحي الذي استطاع أن يتنبأ ببعض الأمور الغيبية. والذي يعنينا هنا هو المعجزة المتحدى بها، وهي القرآن الكريم وما فيه من أمور لا تدركها البشرية مما يدل على أن القرآن الكريم بما اشتمل من أعظم الدلائل على نبوة محمد ﷺ التي دلت على نزول الوحي الإلهي، فقد قال رسول الله: "ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"(١). فالقرآن الكريم أعظم آية دالة على صدق نبوة محمد ﷺ لما فيه من جوانب كثيرة معجزة ليست بمقدور البشر أن يأتوا بمثلها، وما يعنينا هنا من إعجازه هو الإخبار بالغيب مما أسلفنا، سواءً من الحوادث المستقبلية أو من العلوم التي لا طاقة لبشر من الإحاطة بها. وقد امتلأت المكتبات من الكتب والبحوث والرسائل العلمية من الكتابة في مثل هذا الموضوع مما يجعلنا نكتفي بالتمثيل السريع لأن هدفنا هنا هو الاستشهاد لوجود مثل هذا الإعجاز في القرآن، وليس الهدف هو الموضوع نفسه.

١. الإخبار بوقوع الأحداث الغيبية.

أ. انتصار الروم على الفرس.

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾{الروم:١-٤}.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ قال:" كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على

(١) البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب، ح٤٩٨١، ج٦، ص١٨٢.

فارس لأنهم أهل كتاب فذكر ذلك لأبي بكر فذكره أبوبكر لرسول الله ﷺ. فقال رسول الله: "أما إنهم سيغلبون"[١].

فهذا غيب أخبر به القرآن الكريم في زمن مخالف له، لغلبة الفرس على الروم وإخراجهم من جميع الأرض ومحاصرتهم في القسطنطينية لمدة طويلة ثم عودة دولة الروم مرة أخرى[٢].

«فانظر كم في هذا من دلالة وآية بينة، وأنه أخبر أن الروم ستغلب فارس، وأن ذلك سيكون بعد سبع سنين، فكان كما أخبر، وعلى ما فصل وبين، والبضع فوق الثلاث ودون العشر»[٣].

ب. هلاك أبي لهب وزوجه على الكفر.

قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾{المسد:١-٥}.

فمن ابن عباس رضي الله عنه " أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الى الجبل فنادى يا صباحاه.فاجتمعت إليه قريش، فقال:أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني قالوا: نعم، قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٌ شديد، فقال أبولهب: ألهذا جمعتنا. تباً لك فأنزل الله الله عز وجل تبت يدا أبي لهب وتب"[٤].

ففي «هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة،فإنه منذ نزل قوله تعالى ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ {المسد:٣- ٥) فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يقيض لهما أن يؤمنا،ولا واحد منهما لا باطناً ولا ظاهراً، لا مسراً ولا معلناً، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة»[٥].

٢. الإخبار بوقوع الأحداث العلمية:

أ. **قال تعالى** ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ﴾{يس:٣٨}.

لو كان هذا القرآن من عند محمد ﷺ، وفي خضم غمار دعوته فما الذي يجعله يتناول قضية فلكية، لا يكتفي فيها بقضية سير الشمس،بل أردفها بقضية أخرى أكثر تعقيداً هي مسير الشمس إلى ميقات معلوم «تجد نفسك أمام أدق الحقائق عن الشمس التي تبين أخيراً أنها تشارك مجرتها في دورتها،وتدور حول نفسها،وهي مع هذا تسير في اتجاه عامودي نحو كوكبة الجاثي ويتوقع العلم حدوث حالة ما لها في يوم من الأيام»[٦].

---

(١) رواه أحمد في المسند، مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ،، ح٢٤٩٥، ج٤، ص٢٩٦.
(٢) أنظر: السامرائي، فاضل، نبوة محمد ﷺ من الشك إلى اليقين، ص١٢٣.
(٣) الهمذاني، تثبيت دلائل النبوءة، ج١، ص٨٩.
(٤) البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب)، ح٤٩٧٢،ج٦، ص١٨٠.
(٥) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٥٦٥.
(٦) سعيد حوى، الرسول ﷺ، ص٢٧٨.

ب. **قال تعالى:** ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ ﴾ {الزمر:٥}.

الآية لم تتوقف عند الإعجاز اللغوي والبياني بل تعدته إلى الإعجاز العلمي؛ فمن أبلغ الأمي محمداً ﷺ أن الليل وهو لباس الأرض يأخذ شكلاً كروياً نتيجة لما تلبس به هو الأرض التي هي كروية، هنا «تجد نفسك أمام مسألة كروية الأرض؛إذ التكوير إنما يكون للشيء الدائري، كما تجد نفس المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ {النازعات:٣٠} فالأدحية والأدحوة بيض النعام»[1].

(١) سعيد حوى، الرسول ﷺ، ص٢٧٨.

المبحث الثالث

شبهات بروكلمان حول جوانب تتصل بالعقيدة من سيرته ﷺ

عرض المقالات

١. عرض المقالة الأولى:

يقول بروكلمان: "وتذهب الروايات إلى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى. أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حدٍّ بعيد"(١).

نقد المقالة الأولى:

إننا نعرف على وجه التحديد هدف بروكلمان وغيره من المستشرقين من جعل هذا المقولة من سيرة النبي ﷺ زعماً منهم أنه ﷺ اقتبس النبوة من أهل الكتاب، ولا شك أن أصل هذه الشبهة تعود نسبتها إلى كفار مكة الذين رد عليهم القرآن شبهتهم تلك بقوله جل وعلا ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ {النحل:١٠٣}.

فقد قال المشركون: والله ما يعلم مُحَّمداً ما يأتي به إلا جبر النصراني وهو غلام الفاكه بن المغيرة(٢) كان نصرانيا فأسلم(٣) وفي هذا يتجلى الرد القرآني المعجز من خلال التنازل مع الخصوم إلى أبعد الحدود،ثم ينقض ما جاؤوا به نقضاً،ولسان حال القرآن يقول:لِمَ تغالطون وفيما تجادلون، ونحن قد قررنا أن محمداًﷺ لم يكن بدعاً من الرسل،فقد خلت الأنبياء من قبله،واندرست شرائعهم، فلم يبق منها ما يبني نبوة، ويقيم رسالة، بخلاف ما جاء به محمد ﷺ من الشرائع التي تهدم اديانا، وتقيم دينا،ثم إن نحن سلمنا لكم بهذا فأنى لليهود والنصارى وما تبقى منهم وهم في عامتهم الأعاجم أن يأتوا بمثل معجزة محمد ﷺ وهو القرآن باللسان العربي المبين، إني لا أرى من المنطق في شيء أن يكون مع اليهود والنصارى التوراة والإنجيل وهم أمم مجتمعة أن لا يكون لهم كبير أثر ثم يأتي محمد ﷺ بما يلتقط من اخبارهم أن يبني دينا، ويقيم أمة، ويمحو دولاً.

ومثل هذه الشبهة المستخرجة من مثل هذه المقالات تبطل من وجوه كثيرة أسرد منها ما يأتي:

١- اختلاف كثير من الشرائع والعقائد التي في القرآن الكريم مع ما عند اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل "كنفي القرآن الكريم ادعاء اليهود بأنهم صلبوا المسيح عليه السلام فقال ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٣٢–٣٣.
(٢)ا لفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم احد الفصحاء المقدمين من قريش في الجاهلية .
(٣) أنظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص١٧٧.

صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴾ {النساء:١٥٧)"[١].

٢- التفاصيل الدقيقة التي أحاط بها محمد ﷺ ولم تكن معلومة،عند أهل الكتاب،أو أنها كانت مذكورة ولكنها خاطئة؛ ففي التوراة أن الذي صنع العجل هارون عليه السلام وفي القرآن عُزي ذلك للسامري[٢] وأمثال تلك المغلوطات كثيرة.

٣- "إن ما في القرآن أكمل وأوسع من كل ما يعرفه بحيرا ونسطور، وكل نصارى الشام ونصارى الأرض ويهودها"[٣].

٤- التجربة الفريدة لمالك بن نبي في كتابه الظاهرة القرآنية حيث عمد إلى مقارنة بما في القرآن الكريم والعهد القديم من خلال قصة يوسف عليه السلام مع إقراره التشابه بين الروايتين إلا أنه استطاع وبكل مهارة بأسلوبه النقدي أن يرد على شبهة تأثر النبي ﷺ باليهود والنصارى من خلال ما يأتي:

أ- الأخطاء التي وقعت في الرواية التوراتية وصححتها الرواية القرآنية وخاصة بما دق وخفي من التفاصيل.

ب- الجانب الروحاني في الرواية القرآنية بتصوير يعقوب عليه السلام بكونه نبياً أكثر من كونه أباً.

ج- إن هذا التشابه بين الروايتين يفرض وجود تأثير يهودي ونصراني في البيئة العربية وهذا مما لم تثبته أي بحوث أو دراسات،وحتى الكتاب المقدس لم تكن له ترجمة عربية، ولم يكن هناك مركز ثقافي أو ديني يقوم بنشر الكتاب المقدس وتعاليمه.

د- إن القيمة القرآنية وقيمة الذات المحمدية تستبعدان أي أثر أو تأثير أو تعلم أو تعليم من يهودي أو مسيحي لاعتبارات، منها استقلاله بعلامات مميزة كثيرة[٤] فإن كثيراً من المعلومات الدقيقة قدمها محمد ﷺ لم تكن موجودة لدى اليهود والنصارى أو في كتبهم.

هـ - كون النبي محمداً ﷺ قبل نبوته مبغضاً لعبادة الأصنام، وفي بيئة كثرتها وثنية، وفيها نزر يسير من النصارى الذين هم أهل كتاب، فمن المنطقي مع زهده وتحنثه،أن يكون ميله للقعود مع من يوافقونه في نبذ تلك الأصنام والعبادات مع قلتهم وتركه للوثنيين مع كثرتهم وعزتهم،

---

(١) محمد شامة، الإسلام في الفكر الأوروبي، ص٦٧.
(٢) أنظر: محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ص٨٨.
(٣) المرجع السابق، ص٨٧.
(٤) أنظر: مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص٢٤٤- ٢٥٧.

٢. عرض المقالة الثانية:

يقول بروكلمان: "ومع الأيام أخذ الإيمان بالله يعمر قلبه ويملك عليه نفسه، فيتجلى له فراغ الآلهة الأخرى. ولكنه على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله. ولقد أشار إليهن في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله: "تلك الغرانيق العُلى، وإن شفاعتهن ترتضي، أما بعد ذلك حين قوي شعور النبي بالوحدانية فلم يعترف بغير الملائكة شفعاء عند الله، وجاءت السورة الثالثة والخمسون وفيها إنكار لأن تكون الآلهة الثلاث بنات الله. ولم يستطع التقليد المتأخر أن يعتبر ذلك التسليم إلا تحولاً أغراه به الشيطان، ولذلك أرجئت حوادثه إلى أشدّ أوقات النبي ﷺ ضيقا في مكة، ثم ما لبث أن أنكره وتبرأ منه في اليوم التالي"[١].

نقد المقالة الثانية:

سرد بروكلمان كغيره من المستشرقين الذين طاروا فرحاً بهذه الرواية التي جعلوا ثبوتها يقينياً لحاجة في أنفسهم،كما في نفس بروكلمان الذي اتخذها ذريعة ليبني عليها نتائج مقالته التي سيوردها الباحث ثم يقوم بالرد عليها وهي:

أ- عدم وضوح معتقد النبي محمد ﷺ في قلبه ونفسه إلا بعد فترة من الزمن،مما نتج عنه اعتراف الرسول ﷺ بآلهة قريش مستشهداً برواية الغرانيق، وذلك في السنوات الأولى من دعوته.

ب- اعتراف الرسول ﷺ بالملائكة شفعاء عند الله.

ج- إن الشيطان هو الذي أغرى رسول الله ﷺ بهذا التحول حسب ما ذكره علماء المسلمين،وقد عزا ذلك إلى شدة وطأة المشركين على دعوته.

الرد على تلك النتائج:

أ- الرد على النتيجة الأولى:

سأقوم بذكر رواية الغرانيق مع بيان درجة صحتها، والرد على كل نتيجة توصل اليها بروكلمان في مقالته من رواية الغرانيق، وهى كما في تفسير ابن كثير عن سعيد بن جبير" قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة النجم، فلما بلغ هذا الموضع ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ {النجم:١٩-٢٠}.قال: فألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتجي، قالوا ما ذكر ألهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا"[٢].

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٣٣.
(٢) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٢٢٩.

١- دراسة صحة رواية الغرانيق:

إذا أردنا أن نتطرق لصحة رواية الغرانيق فلابد من تصنيفها أولاً، وذلك حسب ما درج عليه دارسو التراث الإسلامي من المسلمين؛ فمنهجهم معلوم معروف من حيث النظر إلى الرواية؛فإن نظروا إلى أي رواية من ناحية حديثيه فإنهم يطبقون عليها قواعد علوم الحديث، فإذا ما مرت رواية الغرانيق على هذا العلم وذلك بعد تصنيفها حديثياً فإن مصيرها سيكون بلا شك الوضع والضعف، فهي كرواية حديثية لن تُقبل ولن تصنف كحديث صحيح من جهتي السند والمتن: فمن جهة السند لا تصح رغم تعدد طرقها،فهي طرق معلة بالإرسال والضعف والجهالة [١]، وأما من جهة المتن فهو الاضطراب الشديد في متنها فكل طريق من طرق السند يعطيك حالة مغايرة، فمرة يمدح الرسول ﷺ أصنام قريش، وأخرى ألقاها الشيطان على لسانه،وثالثة أنه ﷺ لم يعلم بمقولته،ورابعة أنه قد قالها سهواً... إلخ وهذا ما يؤكد ضعفها وبطلانها لما فيها من الاختلاف والنكارة بما لا يليق بمقام النبوة والرسالة[٢]. ولعلي أوضح بطلانها واضطرابها وتناقضها فيما سأورده من حاله ﷺ.

وأما إن صنفت كرواية من روايات السير والتاريخ، ففي هذه الحالة نعرضها على الجانب النقدي والتحليلي لنرى هل تصمد ثم تُقبل،أم تنهار وتهوي فلا يبقى من جدارها سوى غبارها؟

إن الرد على نتائج مقالة بروكلمان المستقاة من قصة الغرانيق أن تلك النتائج لم تستند على الحجج العقلية أو الحسية فيسلم بها،وإنما بنيت على النقل، والنقل هنا غير ثابت، فهي بلا ريب نتائج باطلة استقيت من أسانيد منقطعة وغير متصلة؛إذ إن الروايات التي تخالفها وتناقضها ذات أسانيد متصلة بل متواترة، فهل تصمد هذه الرواية البتراء أمام مئات الروايات المتواترات التي تأتي بنتائج مخالفة لما أتى به بروكلمان،وتثبت علو كعب التوحيد في نبوة النبي محمد ﷺ " إن هذه الرواية التي ذكرت تلك القصة مشكوك في صحتها، وإذا تطرق الشك إلى دليل فقد حجيته"[٣].

إن المنهج العلمي الذي بنيت عليه مقولة أن النبي ﷺ تدرج في الوصول إلى معرفة الله ووحدانيه من خلال التأمل الفكري مردود على أصحابه،إذ تثبت سيرة النبي محمد ﷺ قبل البعثة وبعدها تصوره القلبي والنفسي الواضح لإله واحد لا شريك له،ومقته الشديد للأوثان والأصنام، فعقيدته ﷺ لم تكن في يوم من الأيام نتاجاً عقلياً أو تأملياً في مسألة وحدانية الله جل وعلا.

---

(١) أنظر: الألباني، محمد ناصر الدين، نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، المكتب الإسلامي، عمان، ط٣، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ص٤٠.
(٢) أنظر: الألباني، نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، ص٣٥-٣٦.
(٣) محمد شامة، الإسلام في الفكر الأوربي، ص٤٨.

٢- أحوال النبي محمد ﷺ مع العبادة قبل النبوة وبعدها.

حال النبي محمد ﷺ قبل بعثته وبعد أن بعث نبياً رسولاً يدل دلالة واضحة على وضوح إفراد الله بالعبادات،وأنه لا يصرف شيء منها لغير الله تعالى، من ذبح ودعاء... إلخ وذلك قبل الرسالة فكيف بعدما بعث بدعوة التوحيد فمن ذلك:

أ- عصمة الله لنبيه محمد ﷺ من استلام الأصنام فعن زيد بن حارثه رضي الله عنه قال:"و كان صنما من نحاس يقال له أساف و نائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا، فطاف رسول الله ﷺ وطفت معه، فلما مررت مسحت به، فقال رسول الله ﷺ:" لا تمسه "... قال زيد: فو الذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلمت صنماً قط حتى أكرمه الله بالذي أكرمه، وأنزل عليه الكتاب.. الحديث(١).

ب- عصمة الله لنبيه محمد ﷺ من عبادة الأصنام في الجاهلية، فقد روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: حدثني جار لخديجة بنت خويلد رضى الله عنها أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لخديجة: "أي خديجة والله لا أعبد اللات أبدا والله لا أعبد العزى أبداً"(٢).

فهذان الحديثان غيض من فيض يدلان دلالة قطعية على وضوح عقيدة التوحيد في قلب رسول الله ﷺ ونفسه التي نفاها بروكلمان برواية متهافتة سنداً ومتناً.

وأما بعد مبعثه بالرسالة فلا يخفى حاله عن أحد في تشدده في مسألة عبادة الله وحده لا شريك له،ويكفي لذلك مثالاً نزول سورة "الكافرون" وفيها قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ {الكافرون: ١-٥}.

ب- الرد على النتيجة الثانية:

إن قصة الغرانيق التي سلم بروكلمان بصحتها تسليماً مطلقاً،مقرراً أن النبي محمداً ﷺ لم يكن يعترف لأي من الأوثان والأصنام بشيء من الشفاعة بعد أن قوي شعوره بوحدانية الله،مستنداً على قصة الغرانيق،لكن مما لم يفهم هو من أين أتى بروكلمان بأن الرسول ﷺ كان يعترف بأن الملائكة شفعاء عند الله،والله جل وعلا في نفس السورة يقول ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ {النجم:٢٦}. قال القرطبي "هذا توبيخ من الله تعالى لمن عبد

(١) النسائي في السنن الكبرى، كتاب المناقب، باب زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه، ح٨١٣٢، ج٧، ص٣٢٥.

(٢) رواه احمد في مسنده، مسند أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، ح٢٣٠٦٧.، ج٣٨، ص١٦٦.

الملائكة والأصنام،وزعم أن ذلك يقربه إلى الله تعالى، فأعلم أن الملائكة من كثرة عبادتها وكرامتهم على الله لا تشفع إلا لمن أذن أن يشفع له "[١].

ج- الرد على النتيجة الثالثة:

يخلص بروكلمان من تلقاء نفسه وبدون الرجوع إلى سيرة رسول الله ﷺ أن قصة الغرانيق سببها المرحلة الدعوية التي كان يمر بها رسول الله وأصحابه، فلو رجع بروكلمان إلى سيرة رسول الله لأدرك أن رسول الله قد مر بمراحل عانى فيها من الشدة ما عانى، ولم يقدم شيئاً من التنازلات التي يزعمون. فالنبوة منزلة يهيء لها الله من يشاء من عباده بالكمالات التي تهيء لهم من قوة الصبر وجلد الاحتمال ما لا يطيقه غيرهم من البشر، فتحمل الوحي وتلقيه ليس بالأمر اليسير على النبي ﷺ،فقد كان يعاني منه شدة تفوق بمرات لا نعلمها ما يعانيه النبي من شدة تكالب المعاندين عليه.

والعجب كل العجب أن بروكلمان وغيره من المستشرقين الذين درسوا سيرة رسول الله ﷺ حتى نخلوها نخلاً، ونفلوها نفلاً، وهم يرون أنه لم يقدم من التنازلات أبسط من ذلك بكثير فها هي بعض قبائل العرب تشترط عليه أن يكون لها الأمر من بعده مقابل الحماية والمنعة وهو يأبي ذلك ويرفضه ويقول "لله الأمر يجعله لمن يشاء"[٢].

فكيف يقدم لهم تنازلاً يقر لهم بما أرادوا، ويهدم به دعوته، بأن يجعل أصنامهم شفعاء عند الله كما قالوا، فالرجل العاقل إذا تكلم فهو لا ينقض قوله بقولٍ إلا أن تتشابه عليه الأقوال، فكيف بمن أوتي جوامع الكلم أن ينقض كلامه بكلام ظاهر بين. فهو الذي يقول " الله " و" لا إله إلا الله " ويعرف ما تعني كما يعرف ذلك كفار مكة بلسانهم العربي.

هل يعقل أن يقول إن شفاعة أصنامكم لترتجى فيهدم ما بني، وينكث ما دعى إليه فا "السياق في سورة النجم يرسخ عقيدة التوحيد في نفوس المسلمين، ومحو الشرك،وذم ما دون الله من مثل اللات والعزى ومناة. وأنها افتراء ما أنزل الله بها من سلطان، فهل يستقيم مع ذمها في آيات متواليات مدحها من خلال تلك الآيات بالعلو ورجاء شفاعتها؟!"[٣].

---

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لإحكام القرآن، ج١٧، ص١٠٤.
(٢) أنظر: سعيد حوى، الرسول ﷺ، ص١٠٤ -١٠٥.
(٣) موسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات، ج٣، ص٣٠.

٣. عرض المقالة الثالثة:

يقول بروكلمان: "أما الشعائر الدينية الأخرى كالدعاء إلى الله – وبخاصة في الصلوات الليلية – الذي كان محمد يمارسه في حرارة،على منوال الزهاد النصارى، فكانت تعتبر مسائل خاصة،ولكن الذي لا شك فيه أن هذه الصلوات كان يقدم لها منذ البدء بالوضوء الذي كان مألوفاً أيضاً عند بعض الفرق النصرانية...وليس من شك في أن معرفته بمادة الكتاب المقدس كانت سطحية إلى أبعد الحدود، وحافلة بالأخطاء، وقد يكون مديناً ببعض هذه الأخطاء للأساطير اليهودية التي يحفل بها القصص التلمودي، ولكنه مدين بذلك ديناً أكبر للمعلمين المسيحيين الذين عرّفوه بإنجيل الطفولة. وبحديث أهل الكهف السبعة[١]، وحديث الإسكندر[٢]، وغيرها من الموضوعات التي تتواتر في كتب العصر الوسيط. وكان إلى جانب ذلك قصص عربية كتلك التي تتحدث عن هلاك قبيلة ثمود[٣]، التي قد يكون وضع لها قصة النبي صالح الثانوية كملحق ضروري، وههنا في هذه القصص نجد أن أسلوبه ينزع إلى أن يكون أكثر إسهاباً وأقل توقداً، كما نجد أنه كان يوشح هذه القصص بمناقشات خطابية تدور على محور إثبات وجود الله بمختلف الدلائل التي تقدمها الطبيعة[٤].

نقد المقالة الثالثة:

هذه المقالة حوت ثلاث شبهات ساقها بروكلمان هي:

أ- تأثر الرسول ﷺ ببعض الشعائر بالنصرانية كالصلاة الليلية والوضوء

ب- استقاء الرسول ﷺ معارفه وقصصه من التوراة والإنجيل.

ج- اتخاذ القصص القرآني من أجل إثبات وجود الله.

أ- الرد على الشبهة الأولى:

مرة بعد مرة يحاول بروكلمان طمس الحقيقة،وذلك من خلال التدليس والمغالطة، وكل ذلك من أجل أن يثبت أن محمداً ﷺ يستقي تعاليمه وشرائعه من النصارى، فها هي صلاته مثل صلاتهم ووضوؤه مثل وضوئهم... إلخ

كل ذلك يضرب به بروكلمان عرض الحائط، فهل لنا إن أردنا أن نقارن بين أمرين ألا ننظر في كل ما ذكرنا، فهل الصلاة في الإسلام مثل الصلاة في النصرانية؟ أم أن الخلل قد أعطب منهج

---

(١) أهل الكهف السبعة: أصحاب الكهف هم قوم نبذو عبادة الأوثان واعتنقوا المسيحية ثم هربوا من جوري داقيوس الأمبراطور الروماني أختفوا في كهف وناموا ولم يستيقضوا الا في عهد ثيودوسيوس ذكروا في القران. أنظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص٥٢.

(٢) الإسكندر:(٣٥٦-٣٢٣ ق.م) أشهر الغزات الفاتحين، لقب بذي القرنين، ملك مقدونيا، أجتاح امبراطورية الفرس، أحتل مصر وأسس الأسكندرية، مات بالحمى في بابل.أنظر:المنجد في اللغة والأعلام، ص٤٥.

(٣) قبيلة ثمود: قبيلة عربية بائدة، القرن ٨ ق. م،أثارها في الحجر، قرب مدائن صالح أخضعها الأنباط، أنظر:المنجد في اللغة والأعلام، ص١٩١.

(٤)بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٣٧–٣٨.

بروكلمان العلمي فشبهها من خلال السمات العامة، وتغافل عما بينهما من التنافر والتضاد في التفاصيل. وهل يرضى أحد أن يأتيه آت ويقول له يا قرد لمجرد التشابه في السمات العامة.

اننا نردد ونقرر أن الرسالات السماوية اليهودية والنصرانية والإسلام بينها سمات مشتركة في أصل نزولها فهى من منبع واحد هو الوحي الالهي، وهذا مما لا تنكره الشريعة الإسلامية من خلال القرآن الكريم والسنة والنبوية،لكن تبقى كثير من العقائد [١]والشرائع.... الخ مختلفات بحيث تنفي عملية التأثر فمثلاً " لا نرى وجهاً للشبه بين يسوع القرآن ويسوع الإنجيل"[٢]. بمثل هذا الاستنتاج توصل بعض المستشرقين إلى حقيقة أن تكون شخصية المسيح في القرآن مستوحاة من المصادر المسيحية[٣].

إن بروكلمان هنا اقتنص السمات التي تتشابه بها الصلاة في النصرانية والصلاة في الإسلام من أجل أن يعزز شبهته من تأثر الرسول ﷺ الله عليه وسلم واقتباسه من الانجيل، فالنبي محمد ﷺ يدعو الله في الصلاة الليلية الخاصة به وبوضوء هذا كله يشبه ما عند النصارى، ولم يبين هل أدعية محمد ﷺ وصلاته ووضوءه في التفاصيل تتطابق أم تتضاد، تتوافق أم تختلف، وهنا نترك للقارئ الحكم في تقرير التأثر والاقتباس:هل هو نتيجة السمات العامة أم التفاصيل، ولذلك نجد أن بروكلمان يذكر الاولى ويتجنب الثانية. كما يتجنب التشابه الواضح بين سيرة بوذا[٤] وسيرة عيسى عليه السلام[٥]، فهل كان عيسى عليه السلام بوذياً استولى على تعاليم بوذا وادعى بها النبوة ثم ترقى إلى أن يصبح ابن الله ،تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

ب- الرد على الشبهة الثانية:

هذه الشبه يهدف منها بروكلمان إلى إلغاء أصل القرآن السماوي بدعوى أن النبي ﷺ يستمد تعاليمه وقصصه مما عند أهل الكتاب في التوراة والإنجيل،ولم يكتف بروكلمان بذلك بل جمع لهذه الفرية فرية أخرى هي أن تلك المعلومات كانت سطحية جداً وحافلة بالأخطاء.

إن مثل هذا الكلام يسهل قوله، فقد قال القوم ما هو أشد منه وأقذع، فهي دعوى جرت بها أقلامهم. واسودت بها صفحاتهم. وخطتها أناملهم، بعد أن لفقتها عقولهم،ولكن السؤال المهم:أين الدليل والإثبات على مثل ما ادعوا وبه تكلموا. فهذان مبحثان لمن أراد أن يصل إلى الحقيقة من خلال مقارنة العقائد التي في القرآن الكريم مع مافي التوراة والانجيل، وكذلك مقارنة القصص

---

(١) العقيدة لاتختلف في الرسالات السماوية الثلاث، لكن مع وجود التحريف في التوراة والانجيل أختلفت .
(٢) لامنس، كستر، مكة في الدراسات الاستشراقية، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ط١، ٢٠١٤، ص٩٤.
(٣) أنظر: المرجع السابق، ص٩٤.
(٤) بوذا: حكيم هندي أسس مذهب البوذية، (القرن الخامس ق.م)فلسفتة مثالية تقوم على الألم والزهد والتجرد من الأنانية والشهوات للوصول الى الفناء التام، أو "النيرفانا"، ينتشر اتباعه في الصين واليابان والهند. أنظر: المنجد في اللغة والأعلام، ص١١٤.
(٥) أنظر: الموحى، عبد الرزاق رحيم، العبادات في الاديان السماوية اليهودية- النصرانية – الاسلام، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠٠١م، ص٢١٢-٢١٥.

القرآني بقصص التوراة والإنجيل، وكذلك شرائعهما؛ حيث يذكر د. عبد العظيم المطعني التناقض والاختلاف بين القرآن والتوراة والإنجيل في أصول الإيمان، فالقرآن يظهر فيه التوحيد بالله الموصوف بكل كمال، منزه عن كل نقص، أما عند اليهود فالله هو "إلوهيم"[١] جمع إله، وعزير ابن الله، وفي الانجيل الله ثلاثة ونسبوا له الصاحبة والولد، وجعلوا سلطانه في يد عيسى عليه السلام، والقرآن يضع الرسل بمنزلة واحدة من الفضل، بينما في التوراة والإنجيل يوصفون بما لا يوصف به الشواذ من الفساق،وكذلك اليوم الآخر والجزاء والحساب... الخ[٢]هذا غيض من فيض مما تنافرت فيه عقائد الأديان وتجاهله المستشرقون في حال إلقائهم من الشبه ما يريدون، وأما في التشريع فإن الأناجيل قد خلت منه،فهي لا تصور إلا حياة المسيح: والتشريع التوراتي لا صلة له بالتشريع القرآني. فتحريم الربا وحله في التوراة حرام على اليهود وحلال على غيرهم خلاف القرآن فهو يحرمه على الجميع،كما أن القران يجعل الجميع سواسية لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى و في توراتهم يرون أنهم أسياد العالم وغيرهم خدم، لهم، فما أبعد ما بين التشريعين[٣].

وأما ما يخص القصص القرآني ومقارنة بروكلمان له بقصص الكتاب المقدس والتلمود... الخ فهذا يرد عليه من جوانب عدة:

١- إن القرآن الكريم اشتمل على العقائد والشرائع والقصص، وكما تميزت عقائده وشرائعه فكذلك قصصه.

٢- إن الجانب القصصي في القرآن إعجازي بحيث تكون نسبة الخطأ فيه معدومة بعكس الأساطير التي حوتها الكتب المحرفه.

٣- إن القصص القرآني ينطبق عليه ما ينطبق على القرآن من الحفظ وعدم التحريف أو التبديل بعكس الكتب المحرفه.

٤- عجز المناوئون للقصص القرآني إثبات دعواهم ومنها وجود الأخطاء والسطحية فهي تبقى دعوى بلا دليل.

٥- "التشابه بين القصص الوارد في كل من التوراة والقرآن، ولكنه تشابه ما يكاد يبدأ حتى يفترق فروقاً تفصح عن الخطأ في جانب والصواب في جانب آخر"[٤].

٦- إقامة الأدلة والبراهين على عدم تأثر القرآن بما في الكتاب المقدس، وذلك من خلال ما ذكرته من كتاب الظاهرة القرآنية.

---

(١) إلوهيم:كلمة من أصل كنعاني حسب التصور اليهودي أحد أسماء الإله ذكرت في العهد القديم مايزيد على ألفي مرة وصفات الإله الوهيم رحيم، يراعي في أعمالة القواعد الأخلاقية، وهو خالق السموات والأرض.أنظر:الميسيري موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٥، ص٧٠

(٢) أنظر: المطعني، افتراءات المستشرقين على الإسلام، ص١٣-١٤.

(٣) أنظر: المرجع السابق، ص١٥.

(٤) المرجع السابق، ص ١٥.

ج- الرد على الشبهة الثالثة:

لا أعرف بالتحديد من أين جاء بروكلمان بهذه المعلومة في أن بعض آيات القرآن الكريم يدور محورها حول إثبات وجود الله جل وعلا: فهذه المسألة لم تكن في دعوة الرسل من لدن نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ محوراً دعوياً أو أمراً خلافياً بين الرسل وأقوامهم فهي محل اتفاق بين الفريقين قال تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ {الزمر:٣٨}.

فإذا ما ذَكَرَ القرآن مسألة وجود الله فهي من باب الإخبار والتأكيد وليس من باب الدعوة والإثبات،لذا كان محور دعوة الرسل أجمعين إفراد الله بالعبادة كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ {النحل:٣٦}. فمبعث الرسل من أجل عبادة الله وبشرع الله.

٤. عرض المقالة الرابعة:

يقول بروكلمان في مقالته عن الهجرة إلى الحبشة التي ندب إليها الرسول ﷺ، والتي سنورد منها ما يخصنا في مجال بحثنا ما يأتي: "من اجل هذا عزم النبي ﷺ على أن يقي بعض أتباعه على الأقل من أذى مضطهديهم بواسطة الهجرة، وإذ كان لا يعتبر في ذلك الوقت أن دينه يختلف اختلافاً كبيراً عن النصرانية فقد وجه أتباعه إلى أراضي النجاشي أقرب ممثل سياسي للنصرانية يمكن أن يحتمي به.وكانت لمواطني محمد الوثنيين علاقات ببلاد العرب الجنوبية الخاضعة آنذاك لسلطان الإمبراطورية الفارسية. ولكن فارس كانت عدواً قديماً للدول المسيحية. وكان مواطنو محمد المكيون قد تلقوا نبأ انتصار الفرس على البيزنطيين في سورية سنة (٦١٤م)، بالبشر والابتهاج، في حين أنذر هو الفرس في السورة الثلاثين من القرآن بأنهم سيُغلبون في بضع سنين. ومن هنا لم يخطئ النبي الحساب عندما افترض أن النجاشي النصراني سينزل في حماه أتباعه الهاربين من اضطهاد الوثنيين"(١).

نقد المقالة الرابعة:

يسطر بروكلمان في مقالته هذه مغالطتين تاريخيتين:مفادهما:أن سبب توجيه الرسول ﷺ لأصحابه للهجرة إلى الحبشة لأنه لم يكن يرى أن هناك كبير فرق بين دينه وبين النصرانية دين الملك النجاشي، وأن سبب نبوءة رسول الله بانتصار الروم على الفرس هو حاجة اتباعه المضطهدين الهجرة إلى الحبشة.

---

(١)بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٣٩.

إن هذه المغالطات كما ترفضها جميع المصادر سواءً كانت إسلامية أو غير إسلامية؛إذ تثبت خلاف ذلك. فقد "اشار عليهم محمد بالخروج إلى أرض الحبشة النصرانية التي يملكها ملك عادل"[١].بهذا يحكم العقل والمنطق أن الإشارة تمت بسبب العدالة وليس قرب الديانة التي لم تفلح في حقن دماء النصارى أنفسهم من أنفسهم؛ فالتاريخ يشهد بقتل بعضهم بعضاً، كما ذكر ذلك درمنغم " من المنازعات المذهبية موجب للخزي، فقد صار النصارى يضطهد بعضُهم بعضاً في سبيل غريب الآراء ومعقدها بعد أن كان عَبَدَة الأوثان يضطهدونهم، وأخذوا يقتتلون ويسجن بعضهم بعضاً، وينفي بعضهم بعضاً في سبيل معنى إحدى الكلمات.... إلخ"[٢].

فالسبب عدالة الملك وليس دينه،إذ إن نصارى نجران أقرب مكاناً ونسباً مع قدرتهم على حماية المهاجرين لو كان المقصود هو قرب الإسلام من النصرانية، وهذا ما ذكره ابن هشام في السيرة النبوية " فلما رأى رسول الله ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء،قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده احد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً.." [٣] تلك هي توجيهات النبي الصادق ﷺ الذي تجلت له عداوة أعدائه بأنها لن تقف عند حد أو أرض، ولم تخطئ توقعات النبي ﷺ فما هي إلا برهة من الزمن حتى طالبت قريش بإعادتهم إليها، ولم يحل دون ذلك إلا عدل الملك بالمقام الأول[٤].مع أني هنا لا أتجاهل نصرانية الملك التي ينطبق عليها قوله جل وعلا: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ {المائده:٨٢-٨٣) كما تجاهل بروكلمان عدل الملك وحسن سياسة الرسول ﷺ.

---

(١) إميل درمنغم، حياة محمد في عيون مستشرق، ص١٠٢.
(٢) إميل درمنغم، حياة محمد في عيون مستشرق، ص١٤٢.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١،ص٣٩٧.
(٤) أنظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١،ص٤١٣- ٤١٦.

٥. عرض المقالة الخامسة:

يقول بروكلمان في معرض حديثه عن الإسراء والمعراج:" وأمثال هذه الرؤى في أثناء تهجد العراف معروفة ثابتة لدى بعض الشعوب البدائية"(١).

نقد المقالة الخامسة:

مسألة الإسراء والمعراج هي من معجزات رسول الله ﷺ، ودلائل نبوته، وعظيم منزلته عند الله،أخبر بها وبرهن عليها بأنواع الأدلة. ولبروكلمان إن شاء أن يؤمن بها أولا يؤمن، ولكن ليس من حقه أن يعرض بها ويقارنها بما عند العرافين بغير ما استدلال علمي منبثق عن دراسة ذات أدلة لها قيمة علمية.

إن حادثة الإسراء ثابتة بنصوص القرآن والسنة فقد قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ {الاسراء:١}، وفي السنة لما عاد رسول الله ﷺ "تحدث بذلك في أهله، فقالت له أم هاني بنت أبي طالب: لا تتحدث بهذا، فوالله لا صدقك الناس، وليكفرن بك من آمن بك، وليكذبنك من صدقك.فقال:ﷺ إن ربي أمرني أن أخبر الناس بذلك،وإن أبا بكر يصدقني ويشهد لي"(٢).

إن الإسراء برسول الله ﷺ في ليلة واحدةٍ من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى، ثم العروج به،ومن ثم العودة إلى مكة تبقى معجزة من أدلة نبوة محمد ﷺ بروحه وجسده معاً، وهو ما فهمه كفار مكة وكذبوه؛ إذ لو كان بالروح لمر كما تمر أي رؤيا منامية، ولقال كفار مكة أضغاث أحلامٍ وما نحن لها بمكترثين،فمنا من يرى نفسه في المنام أنه بالشام وهو في داره نائم في فراشه، وكما أن معجزة الإسراء بالروح والجسد معاً ما أثبتها فيما بعد من مجيء عير قريش وما شُرب من إنائهم فالروح لا تشرب؛إذ إن الشرب من حاجات الجسد. وأخيراً:إن الانتقال السريع بالروح والجسد لم يعد أمراً غيبياً بل حسياً مشاهداً من خلال الطائرات، ونحوها كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ {النحل:٨}.

إن نظر كثير من المستشرقين وخاصة بروكلمان إلى الإسراء والمعراج لهو أشد تكذيباً من كفار مكة، وأعظم استكباراً، فهو تكذيب بلا استماع لأقوال صاحب الدعوى وحججه،وأما تكذيب كفار مكة فكان مقروناً بالمطالبة بالبراهين والأدلة والحجج.

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية،ص ٤٢-٤٣.

(٢) أنظر: ابن هشام، السيرة النبوية،ج٢،ص٥٠. القاضي عبد الجبار الهمذاني، تثبت دلائل النبوة، ج١، ص٧٨-٧٩.

إن النبي محمداً ﷺ لو لم يكن الأمر كما كان وحياً، لم يكن ليفتح على نفسه باباً هو في غنى عنه، باباً أدركته امرأة من عامة أتباعه وغاب عنه وهو صاحب الدعوة، إذ إنه لا خيار له في كلا الأمرين وقوع حادثة الإسراء وإعلام الناس بها. ثم إن الوحي على رسول الله ﷺ يعلم أنهم مكذبوه لأنه خبر منقول ولذلك سيفاجئهم بالقرائن الحسية التي تدمغهم دمغاً.

إن بروكلمان وغيره من المستشرقين لو درسوا حديث الإسراء والمعراج بدراسة نقدية تحليلية لوجدوا أن فيه جوانب كثيرة من الأدلة العقلية والحسية التي تثبت وقوع الحادثة بما لا يدع مجالاً للشك أو الريب أو الظن، وسينقلها من كل تلك الدوائر إلى دائرة الحق واليقين.

إن طول حديث الإسراء والمعراج مخالف لعامة أحاديث الرسول ﷺ التي هي غاية في القصر، محاكاة لطول الرحلة وبعد المسافة من أجل أن تدل دلالة قطعية على حتمية وقوعها؛ فمن اليسير أن يدعى المرء أنه ذهب إلى مكان ما، ولكن من العسير أن يأتي بالتفاصيل الكثيرة التى ساقها النبي ﷺ لتدل فعلاً على الإسراء والمعراج،وإلا فمن أين جاء بكل تلك التفاصيل وفي فترة زمنيةٍ محدودة. ومن أين استطاع أن يصف الأنبياء، وأن يخبرنا عما في السماء، وعن وصف بيت المقدس وما فيه من البناء(١).

ثم إذا انتقلنا من حجج النقل إلى حجج العقل:فصديق الأمة أبو بكر رضي الله عنه يقول رداً على قول المشركين له: زعم- صاحبك- أنه اسرى به في ليلة إلى بيت المقدس. فقال أبو بكر: إن كان قال ذلك فقد صدق... إنه ليخبرني أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض في ساعةٍ واحدةٍ فأصدقه، وبُعد السماء عن الأرض أكثر من بُعد بيت المقدس من مكة، قوموا بنا إليه نسأله عن ذلك(٢). إن الصديق رضي الله عنه هنا أقام عليهم حجة العقل بنزول الملك من السماوات العلى بالوحي إلى الأرض فكيف بالإسراء والمعراج، ثم إنه رضي الله عنه لم يكتف بذلك، بل استدرجهم إلى الحجج الحسية بطلبه منهم أن يذهبوا إلى رسول الله ﷺ معه ليسأله عن ذلك كله وأمام الملأ كلهم، يسأل التابع المتبوع: " ما شيء بلغني عنك يا رسول الله أنك أتيت بيت المقدس في ليلتك؟.....يا رسول الله، هل تستطيع أن تصف لنا بيت المقدس؟"(٣). وبعد أن يجيب المتبوع عن جميع أسئلة التابع يتضح الهدف وهو قول أبي بكر: " اتسمعون؟ وكان فَعَلَ أبو بكر ذلك ليعرف الناس صدق رسول الله ﷺ فيما ادَّعَى "(٤). وذلك من خلال نقل الحدث من المنقولات إلى المحسوسات إذ فتح الباب على مصراعيه لقريش لتسأل عن كل دليل، فيجيب النبي ﷺ بأكثر مما يسألون، يقول الهمذاني: فأخبرهم عن موضع عير لهم

(١) أنظر: موسوعة بيان الإسلام، ج٣، ص١٤٥.
(٢) أنظر: ابن هشام، السيرة النبوية،ج٢،ص٤٥، الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة، ج١، ص٧٩، موسوعة بيان الإسلام، ج٣، ص١٤٥.
(٣)أنظر: ابن هشام، السيرة النبوية،ج٢،ص٤٥، الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة، ج١، ص٧٩-٨٠.
(٤) الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة، ج١ ص٨٠.

قادمة من الشام، وعن بعير ندّ لهم فدلهم عليه، وعن ماء لهم شرب منه، ومتى يصلون، وكل ذلك يتحقق ولا يخيب منه شيء. فتأمل هذه الآيات والمعجزات والعلامات الواضحات البينات التي لو لم تكن إلا هذه لكفت وأغنت في الدلالة(١).

٦. عرض المقالة السادسة:

يقول بروكلمان: "وتأثرت اتجاهات النبي الدينية في الأيام الأولى من مقامه في المدينة،بالصلة التي كانت بينه وبين اليهود،وأغلب الظن أنه كان يرجو عقب وصوله إلى المدينة أن يدخل اليهود في دينه، وهكذا حاول أن يكسبهم من طريق تكييف شعائر الإسلام بحيث تتفق وشعائرهم في بعض المناحي، فشرع صوم العاشوراء،وهو يوم العاشر من المحرم على غرار الصوم اليهودي في يوم الكفارة، الذي يقع عندهم في العاشر من شهر تشري. وبينما كان المؤمنون في مكة لا يصلون الّا مرتين في اليوم أدخل في المدينة على غرار اليهودية أيضاً صلاة ثالثة عند الظهر... كذلك جعل يوم الجمعة يوم صلاة عامة على غرار (السبت) اليهودي.... ولم يطل العهد بمحمد حتى شجر النزاع بينه وبين أحبار اليهود. فالواقع أنهم على الرغم مما تم لهم من علم هزيل في تلك البقعة النائية، كانوا يفوقون النبي الأمي في المعلومات الوضعية،وفي حدة الإدراك، فالفجوات المختلفة التي تكشف عنها علمه "بالعهد القديم" والتي كان قد تركها عارية في السور المكية،لم يعد من الممكن أن تظل خافية عليهم، ولكن إشاراتهم الساخرة إلى هذه الفجوات كانت أعجز من أن تزعزع إيمانه بصحة ما يوحى إليه. بل إن معارضة اليهود لتعاليمه حملته على أن يستنتج أنهم قد ضلوا عن طريق الإيمان الصحيح وأنهم قد حرفوا الكتاب المقدس الذي اعتقد هو نفسه بأنه منزل من عند الله. ولم يلبث هذا الصراع مع اليهود أن جر ذيولاً عملية أيضاً، فمنذ ذلك الحين شرع النبي يؤكد تأكيداً متزايداً على الطابع العربي القومي الذي يطبع دينه، صحيح أنه لم يلغ صوم العاشوراء الذي اقتبسه عن اليهود.... ولكنه أضاف إلى هذا الصوم صوماً آخر معمولاً به حتى اليوم، يستغرق شهر رمضان بكامله، وهو الشهر التاسع من أشهر السنة القمرية..... ولسنا نعرف حتى الآن ما إذا كان محمد قد اقتبس هذه الفريضة عن إحدى الفرق الغنوستية (٢)أم

---

(١) أنظر: الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة، ج١ ص٨٠، موسوعة بيان الإسلام، ج٣، ص١٤٥.

(٢) الغنوستية:كلمة يونانية " غنوصيص "ومعنها "علم" أو "معرفة" أو "حكمة" أو "عرفان " بأسرار الحقائق الدينية والخصائص الإلهية، من خلال باطنها لا ظاهرها فهي حركة فلسفية، وتعاليم دينة أنتشرت بالشرق الأدنى القديم في القرنين ٢و٣ بعد الميلاد وتسعى الى اتحاد الخالق بالمخلوقات.أنظر: الميسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٥، ص ٣٨-٤٠.

عن المانيين [١]الذين نفذ مبشروهم إلى بلاد العرب أيضاً. فقد كان لا يعرف شيئاً أو يكاد عن الحرانيين [٢]في العراق الذين كانوا يصومون كذلك في شهر آذار تمجيداً للقمر"[٣].

نقد المقالة السادسة:

يبدو أن في هذه المقالة قد ظهرت يهودية بروكلمان،وما تحمله تلك الديانة المحرفة من تطرف تجاه الآخرين،من خلال الكذب والتزوير؛ ففي عامة مقالات بروكلمان وجدنا صعوبة في الرد لضبابية المقالة،وعدم وضوح هدفها، أما في المقالة عن اليهود فقد كان واضحاً مراده من خلال كذبه الصريح،لذلك لن اسميها مقالات أو شبهات وإنما كذبات والتي سأبينها ثم أقوم بالرد عليها وهي:

أ- تكييف الرسول ﷺ لشعائر الإسلام لكي تتفق مع شعائر اليهود:مثل صوم عاشوراء، وعدد الصلوات،وإضافة الجمعة كصلاة عامة مثل السبت، وأن اليهود يفوقون النبي ﷺ في المعلومات وحدة الإدراك.

ب- إن صيام رمضان قد يكون مقتبساً من فرق مختلفة لا يعرف عن عقائدها شيئاً سوى أن بعضها يمجد القمر.

الرد على تلك الكذبات:

أ- الرد على الكذبة الأولى:

يهدف بروكلمان من هذه الكذبة إلى الطعن في صدق الوحي المنزل على رسول الله ﷺ، وأنه من تلقاء نفسه، بدلالة تكييف شرائعه مع شرائع الدين اليهودي، أو على أقل تقدير أن يطعن في أمانة النبي ﷺ في تبليغ الوحي من خلال ثلاث كذبات مفتريات، وهي صيام عاشوراء، وعدد الصلوات،وإضافة يوم الجمعة، كما أن العلم في التوراة يفوق العلم في القرآن الكريم،ويعزز هذا النقص بتقليد كثير من الفرق الدينية السابقة حتى لو مجدت بعض المخلوقات ومنها القمر. إن مثل هذه المغالطات بحمد الله تردها وتبين افتراءها السيرة الدعوية الواضحة للنبي محمد ﷺ مع خصوم دعوته،سواءً مع كفار مكة في المرحلة المكية،أو مع اليهود في المرحلة المدنية، فنحن هنا بين أمرين خلطهم بروكلمان، ولم يفرق بين تقديم التنازلات وتكييف الشعائر، وبين حال المدعوين من الوثنيين أو أهل الكتاب،وعدم مراعاة نزول الشريعة المتدرج.كل تلك الظروف التي كان محمد ﷺ

---

(١) المانيين:نسبة الى ماني بن فاتك مزج بين المجوسية والنصرانية، وبوجود قديمين النور والظلمة أزليان ولن يزالا، وقد فرض الصلوات الأربع وحرم الكذب والقتل والسرقة والزنا والسحر وعبادة الأوثان.أنظر:الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، حققه عادل أحمد، مكتبة فياض، المنصورة، ط١، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣ م، ص ٣٠٣-٣٠٨.

(٢) الحرانيين: جماعة من الصابئة قالو: إن الصانع المعبود واحد وكثير، واحد في الذات والأصل والأزل وأما كثير فلأنه يتكثر، وهو أبدع الكواكب وجعلها مدبرات لهذا الكون، أنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ص٣٦٦.

(٣)بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٤٤–٤٦.

يراعيها في رسالته وفي دعوته قلبها بروكلمان ليطعن في صدق دعوته وأنه لفق شعائر رسالته. إذن نحن بين أمرين لابد أن يُفرق بينهما في تعامل النبي محمد ﷺ مع وثنية أهل مكة وإشراكهم، ومع أهل الكتاب من اليهود وتعاليمهم؛ سواءً ما كان منه الصحيح أو المكتوم أو المحرف، وكل تلك الأحوال أقرت الشريعة الإسلامية بوجودها لدى اليهود،وتعاملت معها بالصواب الذي لا يبخس كل ذي حق حقه.. وبلمحة سريعة على كل ما ذكر نجد من خلال سيرة النبي محمد ﷺ في المرحلة المكية مع كفار مكة وهو في غاية الضعف وهم في كمال القوة والاستبداد لم يقدم لهم شيئاً من التنازلات مذكوراً، ولم يكتم من الوحي ما كان معلوماً، فهل كتم ﷺ قوله تعالى في عمه: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ ﴾ {المسد:١-٢}. وهل كيّف الرسول ﷺ قوله تعالى في عبادة الكفار: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ {الكافرون: ١-٥)

هذا فيما يخص كفار مكة وأما اليهود فقد كان هناك اعتبارات كثيرة أمام النبي ﷺ في التعامل معهم لابد من مراعاتها من كون الشريعة الإسلامية واليهودية من منبع واحد وهذا لم تنكره المصادر الإسلامية، بل تعاملت معه بمقتضى الوحي الإلهي، مع ما يزيد هذا الأمر تعقيداً انغلاق اليهود على انفسهم،وكتمهم العلم أو محوه أو تحريفه. لذا تجلت حكمة النبي ﷺ في الدعوة لمراعاة تلك الجوانب، فهل من الحكمة أن يبدأ اليهود بالعداوة أم بالموافقة وإقامة الحجة ثم بعد ذلك المنابذة بالعداوة حسب الوقائع والأحداث.

إذا كان عقل بروكلمان قد اغفل الجانب السياسي والحربي للمجتمع المدني في ذلك، فإن محمداً ﷺ لم يغفل ذلك من أجل إقامة تحالف سياسي وعسكري لحماية المدينة من الحملات العسكرية المقبلة التي لعبت دوراً مهماً في إقامة الحجة على غدر اليهود فيما بعد، وإخراجهم منها، لذلك كان اللين الذي أوله بروكلمان بالمداهنة وتكييف شعائر الدين ليوائم أهواء اليهود لا دينهم الحق لا يتسق مع الهدف الاساسي من أن النبي ﷺ جاء مكملاً لشريعة أخويه موسى وعيسى عليهما السلام بشكل خاص،،والأنبياء بشكل عام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية،

فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين[١].

وتمنيت لو أن بروكلمان استقام عوده فاشتد زرعه وقرأ ما كتبه ابن تيمية في تميز الشريعة الإسلامية عن الشريعتين اليهودية والنصرانية، ففي إرسال محمد ﷺ من الحكم والمصالح، أعظم مما كان في إرسال موسى والمسيح، وأكمل وأيسر وأفضل في التشريع وفي ذكر المعاد، ووصف الجنة والنار، وقصص الأنبياء كهود وصالح وشعيب، وذكر اسماء الله الحسنى وصفاته، وملائكته، والجن والإنس، والأديان والتوحيد، وحل الطيبات، وتحريم الخبائث، ما لم يذكر مثله في التوراة والإنجيل[٢].

"وأما القول إن الإسلام فرع لأن فيه كما في اليهودية والمسيحية صلاة وصوم وعبادات، فقول سخيف، لأن جميع أديان العالم فيها ما يقوم النفس بمثل هذه العبادات، فليس وجود عبادة في دين ووجود ما يشبهها في دين آخر دليلاً لاتهام أحد الدينين بأنه أخذ عن صاحبه. ولا شك أن منطق من يقول بهذا منطق سقيم واستنباطه غير مستقيم"[٣].

وبعد هذا كله يبين الباحث أن العبادات في الشريعة الإسلامية تختلف عنها في شرائع الديانة اليهودية:فهي لا تكاد تتشابه إلا في الاسماء دون الصفات والكيفيات، وبالعودة إلى بعض العبادات التي اتخذها بروكلمان مثالاً ليمرر شبهته من أن النبي ﷺ اقتبسها من اليهود بدعوى أنها فرضت في المرحلة المدنية نجد أن هذا القول مخالف للحق إذ إنها كلها قد فرضت في المرحلة المكية، وذلك حسب المصادر الإسلامية:فعن عائشة رضى الله عنها، قالت: كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله يصومه،فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض شهر رمضان قال: (من شاء صامه ومن شاء تركه) [٤].

هذا فيما يخص صيام عاشوراء،وأما فرض الصلوات فهو من المرحلة المكية خمس صلوات في اليوم والليلة كما جاء عن أنس بن مالك ﷺ من حديث الإسراء أن رسول الله قال:..... فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة)[٥]. وأول جمعة في الإسلام كانت بالمدينة قبل هجرة رسول الله ﷺ أقامها سعد بن زرارة ومصعب بن عمير ﷺ[٦].

---

(١) البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، ح٣٥٣٥ ،ج٤، ص١٨٦.
(٢) أنظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج٣، ص٢٣٥-٢٣٦.
(٣) شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، ص٣١٧.
(٤) مسلم، كتاب الصيام، باب صوم عاشوراء، ح١١٢٥، ج٢،ص٧٩٢.
(٥) مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، ح١٦٢، ج١، ص١٤٥.
(٦) أنظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٨٧.

وبالعودة إلى المصادر الإسلامية لا نقول تنجلي شبهة بروكلمان بل تنكشف كذبته،فكل تلك العبادات التي ذكر كانت في العهد المكي،وقبل أن تبدأ دعوة النبي محمد ﷺ لليهود في العهد المدني، فكيف كانت هذه العبادات تكييف وتقليد، إذ كيف يقلد من لم ير، ويكيف من لم يقابل؟!

وأما ما يزعم بروكلمان أن اليهود يفوقون النبي الأمي في المعلومات،فهذه دعوى ولدت ميتة،لسبب بسيط هو عدم إقامة الحجة لها، وإثبات الدليل عليها، لذا نرد هذه الدعوى بدعوى من مستشرق آخر، ولكن بضدها ومعها دليلها وحجتها كما جاءت، إذ يقول: إرفنغ" كانت التوراة في يوم ما هي مرشد الإنسان وأساس سلوكه، حتى إذا ظهر المسيح اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل، ثم حل القرآن مكانهما. فقد كان القران أكثر شمولاً وتفصيلاً من الكتابين، كما صحح القرآن ما قد أُدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل، حوى القرآن كل شيء، وحوى جميع القوانين إذ إنه خاتم الكتب السماوية.. إلخ"[١].

إن هيمنة الشريعة الإسلامية وشموليتها وتفاصيل شرائعها وتفوقها المطلق حدت بكثير من المستشرقين إلى البحث عن أي كلمة تسند شبههم المتهافتة،فلم يجد بروكلمان إلا أن يصف النبي محمد ﷺ بالأمي، واليهود بالأحبار، ظناً منه أنها حجة ودليل لمقالته لأنه لا يقرأ ولا يكتب، وهم الأحبار أهل الكتاب يقرأون ويكتبون، فهم أعلم منه،والعجب أن هذا الأمي تفوق على هؤلاء الأحبار دينياً من خلال الشرائع والعقائد، وعسكرياً بانتصاره عليهم، وأخلاقياً واقتصادياً.... إلخ وفيما يخص غزارة المعلومات في الشريعة الإسلامية وصحتها ودقتها فقد مرت معنا في هذه الرسالة في بعض المباحث فلا داعي لتكرارها.

٧. عرض المقالة السابعة:

يقول بروكلمان: "وبعد أن قطع النبي الرجاء من إدخال اليهود في الإسلام، أصبحت الأخبار المتداولة في مكة في مقدمة معتقداته الدينية، ولكي يزيد هذه الأخبار قيمة وشأناً رقي بها إلى إبراهيم الذي صار يعده الآن مؤسس الدين الإسلامي الحق نفسه،لا مجرد نبي من أنبياء الماضي المتعددين، لقد قرر أن إبراهيم هو الذي أسس الكعبة.....، لكي تشد شداً محكماً إلى ملة إبراهيم الإلهية، إلا إلى أن تُطهر من تلك الانحرافات الوثنية الطارئة عليها في عصر متأخر. وبهذه الطريقة عين النبي أيضا الهدف الأول والأبعد شأناً في سياسته الخارجية. أعني إخضاع أبناء قومه الوثنيين. ولكن الظروف حالت بينه وبين الشروع في شن حملة نظامية مباشرة عليهم، فقد كانت فكرة الشرف العربية القديمة تمسك المهاجرين عن محاربة إخوانهم من قريش،في حين كان المدنيون غير شديدي الميل إلى تعكير صفو السلم مع جيرانهم الأقوياء. بيد أن القوافل المكية التي كانت تمر بالمدينة لم تلبث أن أثارت الرغبة في الغنيمة عند فقراء المؤمنين الذين عرفوا طعم الفاقة

(١) واشنغتون إرفنغ، حياة محمد نبي الإسلام، ص٦٦.

الملحة بوصفهم مهاجرين إلى المدينة المزدحمة بالسكان، والذين ظل النبي يذكرهم بالمظالم التي نزلت بهم. والمفروض أن محمداً قد قام بعدة محاولات مخفقة لاعتراض هذه القوافل منذ السنة الأولى وأوائل السنة الثانية للهجرة، حتى إذا كان شهر رجب الحرام وجه جماعة من الغزاة بأوامر سرية فوفقت إلى مباغتة قافلة بالعروض، كانت حاميتها العسكرية تتقدمها مطمئنة إلى حرمة الشهر، فأصابت غنائم عظيمة عادت بها إلى المدينة، ولكن هذا النقض للقانون الخلقي القبلي لم يلبث أن أثار عاصفة من الاستنكار في المدينة نفسها، فما كان من محمد إلا أن أنكر صنيع أتباعه الذي تم وفقا لرغباته بلا خلاف، وعزاه إلى سوء فهم لأوامره، ولم يجرؤ على إعلان شرعية الحرب ضد المشركين، وتوزيع الغنائم حتى في الشهر الحرام إلا في آيات متأخرة، بعد أن كانت الغنائم قد أثارت مطامعه اثارة كافية"(١).

٨. عرض المقالة الثامنة:

يقول بروكلمان: "ومنذ أن اعترف محمد وهو في المدينة بقداسة الكعبة، أصبح الاستيلاء عليها هدفه السياسي الأسمى"(٢).

نقد المقالتين السابعة والثامنة:

تشتمل هاتان المقالات على أن النبي ﷺ اعترف بقداسة الكعبة وهو في المدينة كما ربط بين معتقداته وبين إبراهيم عليه السلام من أجل هدف سياسي وهو الاستيلاء على مكة،وإخضاع قريش لسلطانه، وبالرد على هذه الشبهات يجب أن ننبه على المغالطات التي احتوتها: ففي الشبهتين الأولى والثانية مخالفة صريحة لما في المصادر الإسلامية، وفي الشبهة الثالثة مغالطة لسلوك النبي محمد ﷺ،وذلك من مبدأ أنه نبي وليس ملكاً يسعى للملك، وبالعودة إلى الشبهة الأولى وقبل نقضها أتعجب من بروكلمان كيف يقرر أمراً تخالفه فيها المصادر الموثوقة سواءً الإسلامية أو الاستشراقية بأن النبي ﷺ اعترف بقداسة الكعبة وهو في المدينة، كما لم يقدم بينة على هذه الدعوى، فلقد عاش رسول الله ﷺ ما يزيد عن خمسين سنة من عمره الشريف في مكة مقدساً لكعبتها، وطائفاً بها، ومستلماً لحجرها الأسود، ومعظماً لمناسكها حجاً.لها فعن "جبير بن مطعم قال: لقد رأيت رسول الله قبل أن ينزل عليه الوحي، وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها"(٣). إن ما اثبتته المصادر الإسلامية من حج النبي ﷺ قبل بعثته ليثبت أمرين هما تعظيمه لمكة ومناسكها، وربط عبادتها بأبيه إبراهيم عليه السلام، فهو من بنى الكعبة ودعى الناس للحج إليها.

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٦-٤٧.
(٢) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٥٢.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٢٦١-٢٦٢.

إن ارتباط النبي محمد ﷺ بمكة وتعظيمه لها هو امتداد لنبوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام،وانتشار تعاليمهما فيها. لذا نجد أن صاحب كتاب حياة محمد في عيون مستشرق يقول:" وكان محمد يحب بني قومه، ويترنم بمجد مكة وبيتها الذي نجاه الله من إهانة أبرهة"(١).

وبالعودة إلى مصادر التراث الإسلامي التي تجاهلها بروكلمان عند بث مغالطاته فإنها تنفي مقالاته؛ فما ذكره ابن هشام أن رسول الله ﷺ كان يصلي في شعاب مكة مستخفياً من قريش ومعه علي بن أبي طالب "ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان، فقال لرسول الله ﷺ: ياابن أخي! ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال، أي عم: هذا دين الله، ودين ملائكته، ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم"(٢).

فمن خلال ما ذكرنا يتبين لنا بطلان شبهات بروكلمان التي ساقها في مقالته إذ تثبت النصوص التي أوردها الباحث أن تقديس النبي محمد ﷺ لمكة كان في الفترة المكية وقبل بعثته الشريفة ﷺ،كما كان ارتباط شرائع دينه بشرائع أبيه إبراهيم عليه السلام، بل إن حادثة الإسراء والمعراج تثبت بما لا يدع مجالاً للشك ربط النبي ﷺ نبوته بنبوة سائر الأنبياء، وشريعته بسائر الشعائر، ومن المعلوم أن حادثة الإسراء كانت من أحداث الدعوة المكية وليس المدنية قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ {الاسراء:١}.

(١) إميل درمنغم، حياة محمد في عيون مستشرق، ص١٠٩.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٣١٤.

الفصل الثالث

العقائد الإسلامية

تمهيد

المبحث الأول: مناقشة بروكلمان لجانب الألوهية، عرض ونقد:

المطلب الأول: عرض مقالات بروكلمان في الألوهية

المطلب الثاني: نقد مقالات بروكلمان في الألوهية

المبحث الثاني: مناقشة بروكلمان لجانب الغيب، عرض ونقد:

المطلب الأول: عرض مقالات بروكلمان في عالم الغيب

المطلب الثاني: نقد مقالات بروكلمان في عالم الغيب

الفصل الثالث

العقائد الإسلامية

تمهيد:

بادئ ذي بدء من هذا الفصل المخصص لرد على ما كتبه كارل بروكلمان حول العقائد الإسلامية من إلهيات ونبوات وغيبيات؛ نجد أن بروكلمان قد وضع قبل التطرق لتلك العقائد صفحة كاملة من كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية من أجل أن يمرر هدفاً عاماً هي فكرة خبيثة نسبة كل ما سيذكر من عقائد بأنها من تعاليم محمد نفسه وهذا يتضح من عنوان الصفحة حيث وسمه بقوله "محمد وتعاليمه"(١).

فليست تعاليماً دينية مصدرها الله كما هي اليهودية والنصرانية، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فزعم أن التعاليم التي جاء بها النبي محمد ﷺ جلها أو معظمها منبثق عن الديانات اليهودية والنصرانية، حيث يقول: "ولم يكن عالمه الفكري من إبداعه الخاص إلا إلى حد صغير، فقد انبثق في الدرجة الأولى عن اليهودية والنصرانية، فكيفه محمد تكييفاً بارعاً وفقاً لحاجات شعبه الدينية"(٢).

وبعرض الباحث لهاتين المقالتين يتبين هدف بروكلمان وغايته بياناً جلياً وهو المراد؛ إذ أنه قد سبق في محتويات هذه الرسالة الرد على تلك الشبهات المنبثقات من هذه المقالات وهي:

١- أن الإسلام وشرائعه هي من تعاليم محمد ﷺ وليست وحياً من الله جل وعلا.

٢- أن تعاليم محمد ﷺ في جلها مقتبسة من التوراة والإنجيل.

٣- ضعف الأسلوب القرآني.

٤- تحول النبي محمد ﷺ من كونه رسول الله ونبيه إلى سياسي يسعى إلى السيطرة على بلاد العرب حيث يقول بروكلمان " إذا كانت الحماسة الدينية قد غلبت في مكة على محمد الذي أحس في ذات نفسه أنه رسول و"نذير" إلى أبناء موطنه، فقد انتهى في المدينة إلى أن يصبح زعيم جماعة سياسية، ورجل دولة موهوباً، لا ينثني عن هدفه النهائي، وهو السيطرة على بلاد العرب، ولا يجعل للإخفاق المؤقت من مثل معاهدة الحديبية سبيلاً إلى إعاقته عما وقف نفسه له ولقد كان يعلن أحكامه السياسية في المدينة بوصفها جزءاً من القرآن أي جزءاً من الوحي الإلهي... "(٣).

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٦٤.
(٢) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٦٤.
(٣) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٦٤.

وقد تم بحمد الله وتوفيقه الرد على الشبهات الثلاث فيما مضى من هذه الرسالة وبقيت الشبهة الرابعة التي سيقوم الباحث بعرضها، ثم يرد عليها، ويفندها فقد بنيت على غير ما أساس حيث كان للمغالطات النصيب الأكبر منها، فالمسلمون لا ينكرون السياسة الفطرية للنبي محمد ﷺ فهو من بيت شريف كانت السيادة فيه على قريش لآبائه وأجداده، فكان لزاماً لهذا الموروث أن تظهر بوادره في المدينة النبوية، التي قدمها مهاجراً مع أصحابه من مكة، فكان عليه الصلاة والسلام حريصاً على أن يتولى قيادة أتباعه، وحمايتهم، وتعزيز مكانتهم بما يعرف بسياسة الجماعة، وإدارة الدعوة بجميع شؤونها الدينية والدنيوية التي أبدع فيها النبي محمد ﷺ بكل براعة وعبقرية واقتدار وكله بوحي من الله تعالى، فكان يقود أصحابه من نصر إلى نصر، ومن إخفاق فيه ابتلاء وتمحيص إلى نصر وعز لا ذل بعده.

إن إدراك الرسول ﷺ للمرحلة المكية بكل تفاصيلها وما يناسبها من الدعوة مع مراعاة حال أتباعه، وحال خصومه، وتدرج الوحي في تفاصيل الدعوة، كل ذلك أغفله بروكلمان ليمرر شبهاته التي يقذف بها من خلال مقالاته.

فالمرحلة المكية لم تكن تحمل إلا جانباً واحداً من جوانب الرسالة المحمدية هي إثبات النبوة له ﷺ التي من خلالها يدعو كفار مكة لترك عبادة الأصنام إلى إفراد الله بالعبودية ثم الدعوة إلى ما ينزل إليه من الشرائع الدينية المتدرجة.

وأما المرحلة المدنية فكانت متمثلة في كونه نبياً وقائداً، حيث أن نبوته ﷺ في المرحلة المدنية ثابتة لدى أتباعه ولم تكن تشغل باله بقدر العمل بشرائعه الموحاة إليه من الله تعالى، وقيادة الجماعة، وتسيير أمورها الدينية والدنيوية، ومما لا شك فيه أن الجانب التعبدي في المرحلة المدنية لم يكن ذا كبير عناء، وذلك نظراً لعظيم انقياد أتباعه من الصحابة رضوان الله عليهم له والعمل بكل ما يخبرهم به من قرآن وسنة، فهذا الجانب كان الإنقياد فيه عظيماً، وفيما لو أخذنا الجانب الآخر من سياسة الأمة، وقيادة الجماعة، بدءاً من حماية المدينة من الغزاة وذلك بقيام مجتمع مدني متماسك برغم الاختلاف الكبير بين ساكنيها سواءً في الأديان من الإسلام أو اليهودية أو الوثنية أو الأجناس والإعراق من عرب المدينة وعرب الحجاز، ومن اليهود أنفسهم، أو تشرذم قبائلها وتنازعهم من أوس وخزرج ومثلهم قبائل من الأعراف موغلة في البدوة والغزو والسلب والنهب... الخ.

أفبعد ذلك كله يأتي بروكلمان لينزع عن النبي ﷺ صفة النبوة إلى الصفة السياسية، وذلك بدعواته المتهافتة تلك التي لم تستند على معرفة تجريبية أو نقلية أو عقلية وإنما هى أمرٌ استنتجه بلا أي دليل أو برهان، بل إن الأدلة والبراهين تثبت خلاف ذلك: فهو النبي الداعية، والمجاهد القائد، والسياسي الحكيم، والمربي الرؤوم، والزوج الحنون.. إلخ، فهل يا ترى سيقعد النبي ﷺ عن سياسة الأمة حتى لا يقال إنه ترك النبوة؟! فأي منطق سليم يقول بذلك؟! إذ لو فعل ذلك لتغيرت بوصلة

الاتهام من ترك النبوة وممارسة السياسة إلى قصور الوحي في الجوانب الدنيوية وما يتبعه من سياسة الأمة. ألم يكن إبداعه ﷺ في جميع ما يذهب إليه ونجاحه المنقطع النظير وتفوقه بكل شيء رداً على بروكلمان وغيره من المستشرقين من اقتباس النبوة من اليهود والنصارى أو من الوحي النفسي كما يزعمون وبه ينطقون.

إن التصورات التي يسوقها بروكلمان وغيره من منتقدي نبوة محمد ﷺ في مثل هذا المجال إنما ترد لأمور منها:

١- عدم تصور العقل الاستشراقي الغربي في معظمه شمولية الإسلام لجميع نواحي الدنيا والدين، فهو كما يدعو للأخرى يدعو لإعمار الدنيا.

٢- الجهل بالسياسة الشرعية أو التغافل عنها التي تتطلب تقديم الأهم على المهم . وذلك تبعاً لمصالح الأمة، ومع ذلك كله فقد بقيت نبوته ﷺ راسخة في نفوس أتباعه حتى في ميادين الحرب والسياسة كما في صلح الحديبية حينما وجد في نفسه منه شي عمر بن الخطاب ؓ فرده أبو بكر الصديق ؓ قائلاً " يا عمر إلزم غرزه[١]فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله فقال: يا رسول الله، ألست برسول الله؟ قال: بلى: قال: أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى: قال أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعنى"[٢].

وأخيراً أسأل بروكلمان سؤالاً لو سأله هو لنفسه لما قال قولته، لما يرى فيها من السقوط قبل البناء، ومن الباطل الذي لاحق معه، الم يكن المؤذن يصدح بالآذان خمس مرات في اليوم والليلة في جنبات المدينة شاهداً بنبوة محمد ﷺ ورسالته؟ فما يطلب الطالبون بينةً أبين مما يسمعون، ثم بعد ذلك النداء يسير السائرون لأداء الصلوات الخمس خلف النبي محمد ﷺ يصلون عليه ويسلمون، وبالنبوة له يشهدون.

إن هذا التصور للمرحلة المدنية عند بروكلمان وبعض المستشرقين هو نتاج أفكار مترسخة في الذهنية الغربية، فالمنهج العلماني الذي يفصل الدين عن واقع الحياة والممارسة السياسية هو السائد لدى الفكر الاستشراقي، وقد رد عبد الله النعيم على أحد المستشرقين ممن حمل نفس الفكرة بقوله: " فالعمل السياسي لم يكن في حد ذاته – بالنسبة للنبي – غاية، وإنما كان وسيلة لغاية أعظم، وهي تبليغ الدعوة وتطبيق قيمها ومفاهيمها في أرض الواقع بحيث تغدو فعلاً ممارساً. فلم يحدث – إذن – انحراف عن الفكرة بل إن الذي حدث هو أن الدعوة في العهد المدني انتشرت في الجزيرة

(١) إلزم غرزه: الغرز للرجل بمنزلة الركاب للسرج وعنى به الزم أمره ولا تفارقه. انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٤٤٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، ح(٣٤٤١).

العربية بفضل وجود الدولة. بينما لم تستطع الدعوة في العهد المكي أن تبلغ ذلك، ولعل الخلل الذي اعترى رؤية فلهاوزن يرجع للمنهجية العلمانية." [١].التي تفصل الدين عن واقع الممارسة السياسية التي ينعدم فيها تصور شمولية الإسلام لجميع نواحي الحياة، ناهيك عن أن عدم إقرارهم بنبوة محمد ﷺ أدى بهم إلى الحكم الخاطئ، والتشخيص المعتل، بوصفه ﷺ تارة قائداً سياسياً وتارة مدعياً للنبوة.

يقول سيد قطب – رحمه الله تعالى – في وصف المنهج القرآني: ظل ثلاثة عشر عاماً يتحدث عن قضية واحدة لا تتغير...قضية العقيدة متمثلة في قاعدتها الرئيسية الألوهية والعبودية وهي علاقة المخلوق بالخالق من سر وجوده ومن أين جاء؟ولماذا جاء؟ وإلى أين يذهب... إلخ ثلاثة عشر عاماً هي قضية القرآن الكبرى التي لم يتجاوزها إلى غيرها من التفريعات المتعلقة بنظام الحياة إلا بعد أن استقرت استقراراً مكيناً ثابتاً في قلوب العصبة المختارة من بني الإنسان[٢].

وأخيراً هل المهارة في القيادة، وتملك زمام الأمور وفي أصعب الظروف يتنافي مع النبوة والرسالة!؟هذا ماتوصل اليه الباحث من طرح السؤال وترك الإجابة للقارئ .

---

(١) النعيم، عبد الله محمد الأمين ، الاستشراق في السيرة النبوية، ص١٥٤- ١٥٥.
(٢) أنظر، سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، القاهرة، ط٦، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، ص٢٠- ٢١.

المبحث الأول

مناقشة بروكلمان لجانب الألوهية

عرض ونقد

المطلب الأول: عرض مقالات بروكلمان في الألوهية

أ- عرض المقالة الأولى:

يقول كارل بروكلمان: " وإله محمد هو الرب الإله أولاً وآخراً؛ فمنذ العهد البابلي والساميّ يتمثل إلهه سيداً عنيداً، غريب الأطوار، قاسياً، لا يسبرغور إرادته لأنها متقلبة غير مستقرة كإرادة طاغية شرقي، إن الله لا يفرض أحكامه لأنها مقدسة وعادلة، بل يفرضها لأنه يسعده أن يفعل ذلك، ففي مقدوره أن يعدلها أو ينسخها كما يرى موافقاً، وفي أي ساعة يشاء، ولكن إله محمد هو إلى ذلك لطيف رحيم، لقد استشعر النبي نفسه هذا اللطف، فعرف أنه تعالى لا يرغب في إرهاق المؤمنين بالفروض الدينية، بل يريد أن يخفف عنهم، لما يعلم أن الإنسان خلق ضعيفاً (سورة ٤: ٢٨) ومهما يكن من شيء فليس ثمة من إطراد فيما يتعلق بهذه الناحية، فأحياناً يُعَيِّنُ الله من الأزل وإلى الأبد مَنْ مِنَ البشر سينال النعمة والخلاص بواسطة الإيمان، ومن سيتسكع في الكفر ويكون مصيره الهلاك الأبدي، وأحياناً يحاول القرآن أن ينفي إرادة الإنسان الحرة، فلا عجب إذا ما وجدنا بعدُ أنَّ أعنف الخلافات الكلامية إنما احتدمت حول هذه النقطة بالذات. وأخيراً سادت العقيدة القائلة بالقضاء والقدر المطلقين. وساد معها الجبر الذي أمسى منذ ذلك الحين أحد العناصر الأساسية في نظرة الإسلام الشاملة"[١].

ب -عرض المقالة الثانية:

يقول بروكلمان " وفيما كان المفهوم الإلهي يتبلور في وجدان محمد كانت بعض الصفات التشبيهية تجد سبيلها إلى هذا المفهوم، ولقد أدى هذا أيضاً إلى نشوء اختلافات عنيفة في العقيدة، خرج منها فريق السنة بما قال به من تفسير ظاهري لجميع الآيات القرآنية المتصلة بهذا الموضوع ظافراً آخر الأمر ظفراً يتوافق وروح واضع الشريعة نفسه ... لقد اقتبس النبي نفسه فكرة الخطيئة الأصلية ..."[٢].

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٦٥.
(٢) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٦٥.

ج – عرض المقالة الثالثة :

يقول بروكلمان :"فلم يكن عرضاً أن ظهرت عند المرجئة والقدرية في الشام آراء يحي الدمشقي في أن الله <سبحانه> كتب على نفسه الرحمة لجميع الناس ،وفي حرية إرادة الانسان ..."[١]

المطلب الثاني: نقد المقالة الأولى والثانية والثالثة :

عندما يقوم الباحث بالرد على هاتين المقالتين من خلال علم المنطق وضوابطه ليكون حكماً بيننا وبين بروكلمان يرى الخلل المنطقي الذي وقع فيه صاحب هاتين المقالتين، سواء كان الخطأ مقصوداً أم غير مقصود، ففيهما يحكم بروكلمان بكل بساطة- مستنتجاً- أن الله هو الذي يعين أهل النار وأهل الجنة، وهذا ما جعل عقيدة الجبر تسود في أوساط الأمة الإسلامية أي أننا نحن المسلمين أمة تقول بأن العبد مجبر على فعله وغير مخير، وأنه لا إرادة له في أعماله، فإن أردنا أن نحكم على هاتين المقالتين فلا شك أننا سنصنفهما بأنهما نتيجة علمية قد توصل لها بروكلمان بعد عملية بحثية استقرائية.

هذا فيما يخص استقراء بروكلمان الذي سيقرر الباحث أن فيه مغالطة منطقية تجعل من نتيجته التي توصل إليها نتيجة خاطئة وغير صادقة، فهل فعلاً أمة الإسلام كلهم جبرية[٢]، أم فيهم قدرية[٣] وعامتهم أهل سنة وجماعة لا يقولون بقول الجبرية ولا بقول القدرية كما أثبت ذلك بروكلمان بقوله " فلا عجب إذا ما وجدنا بعدُ أن أعنف الخلافات الكلامية إنما احتدمت حول هذه النقطة بالذات"[٤].إذا فهذه النقطة ليست محل اتفاق الأمة الإسلامية. **هذا أولاً**.

وثانياً: ليست الأمة الإسلامية جبرية بشكل عام فيما بعد، كما يزعم ذلك في مقالتيه بل إن عقيدة أهل السنة وهم عامة الأمة يقولون بالتوسط بين قول الجبرية والقدرية. حيث سيبين الباحث معنى ذلك التوسط حسب رؤيته.

إن هذه المقالة في مسألة القدر قد استنتج منها بروكلمان عدة نتائج سيقوم الباحث بسردها ثم بالرد عليها الواحدة تلو الآخرى ليكون القارئ حكماً فيما بيننا وبين بروكلمان بشكل خاص، وبين الاستشراق بشكل عام، إذ أن بروكلمان قد سبقه لمثل هذه المقولة مستشرقون كثر فهو مجرد ناقل لها لا مبتكر. وهذه النتائج هي كالتالي:-

١- إعتقاد عامة المسلمين بعقيدة الجبر المطلق وذلك بسبب إيمانهم بالقضاء والقدر. ومفهومه أن الله منذ الأزل وإلى الأبد هو الذي يعين أهل النار وأهل الجنة، وأن القرآن الكريم ينفي إرادة الإنسان الحرة، وأن الجبر ينفي الصفات التي قررّها الرسول ﷺ لربه أنه إله لطيف رحيم.

---

(١) بروكلمان، تاريخ الادب العربي ،ج ١-٢،ص ٣١٦.

(٢) الجبرية: نسبة إلى الجبر إذ يقولون إن العبد مجبر على الفعل كالريشة في مهب الريح وكحركات المرتعش ليس لها إرادة ولا قدرة على الفعل أصلاً. الملل والنحل، للشهرستاني، ص٩٩.

(٣) القدرية: نسبة إلى قولهم في القدر هو أن العبد يخلق أفعاله استقلالاً. الملل والنحل، للشهرساتني، ص٥٧.

(٤) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٦٥.

٢- أن عقيدة الإيمان بالجبر هي سبب رئيس لتكاسل المسلمين، وتخلف الأمة الإسلامية عن ركب الحضارة الغربية المادية.

٣- أن عقيدة القضاء والقدر نتج عنها تفرق الأمة الإسلامية تفرقاً عنيفاً أدى إلى تمزقها.

٤- أن إله محمد ﷺ هو غير إله موسى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام كما أن صفات الذات الإلهية تشبه صفات المخلوقين....إلخ.

٥- اقتباس النبي محمد ﷺ فكرة الخطيئة الأصلية عن التوراة.

نقد النتائج:

بعد قراءة الباحث في عقيدة القضاء والقدر سواءً عند علماء السنة السابقين أو اللاحقين أو المفكرين المسلمين، وكذلك فلاسفة الحضارة الإسلامية كابن رشد الذي قال " إنها من أعوص المسائل الشرعية"[١] فيخلص الباحث إلى أن كل أولئك القوم لم يستطيعوا أن يُخرجوا أنفسهم من عباءة الجبر برغم تقريرهم أن الجبرية قد انقرضت[٢]. وأن الإنسان مسير ولكن تحت مشيئة الله ولم يكتفوا بذلك بل شنعوا على الجبرية أكثر مما شنعوا على القدرية كما يسمونهم مع أن مذهب من قال بنفي القدر أشنع ممن قال بالجبر المطلق، كما سيبين الباحث ذلك، إذ كل شيء بمشيئته وتحت قدرته وهو خالقه، فهو الجبار المتكبر المتعال.

أولاً: بين القدرية والجبرية:

المعتزلة[٣] في هذا الباب وعلى وجه الخصوص قد فروا من الجبر إلى نفي القدر ثم عادوا مرة أخرى للوقوع في الجبر[٤] وكما جاء في العقد الجوهري قوله حول جبر المعتزلة: "هو لازم حتى على مذهبكم، لأن القدرة ودواعي الفعل من إرادة وشهوة وغير ذلك مما يجب معه الفعل، ولابد أوجدها الله تعالى فيه، فيكون مجبوراً، نعم له كسب[٥] واختيار ظاهري"[٦].

---

(١) العقلي، د. فؤاد خدرجي، الانسان هل مسير أم مخير ،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٠م، ص٥، أنظر: محمد ، ابن رشد وفلسفته الإلهية، ص٣٣٣.

(٢) أنظر: مصطفى صبري، موقف البشر تحت سلطان القدر،دار البصائر، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ص٢٤٥.

(٣)المعتزلة: يسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدريه، يقولون أن الله قديم وأن كلامه محدث مخلوق في محل.واتفقوا على نفي رؤية الله بالأبصار في دار القرار،وأن العبد خالق أفعال نفسه،وخلود مرتكب الكبيرة إذا لم يتب، أنظر، الشهرستاني، الملل والنحل، ص ٥٦-٥٨.

(٤) أنظر: مصطفي صبري، موقف البشر تحت سلطان القدر، ص١٥-١٥٢.

(٥) الكسب لغة :الفعل المفضي الى اجتلاب نفع او دفع ضر .انظر:الجرجاني ،التعريفات ،ص ١٨٩.
واصطلاحاً:عند الأشاعرة تعلق قدرة العبد وإرادته بالفعل المقدور، وأفعال العباد واقعة بقدرة الله وحدها وليس لقدرتهم تأثير فيها ،والله أوجد في العبد قدرة واختيار فإذا لم يكن مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارنا لهما ففعل العبد مخلوقا لله إبداعا وإحداثا ومكسوبا للعبد لكسبه إياه مقارنة بقدرته وإرادته فصرف العبد قدرتة وإرداته نحو الفعل كسب وإيجاد الله الفعل خلق.انظر :التهناوي،محمد بن علي ،كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم الإسلامية ،ج٣ ،ص١٢٣٣.

(٦) النقشبندي، خالد، العقد الجوهري في الفرق بين قدرة العبد وكسبه بين الماتريدي والاشعري، ت سعيد فوده، منشورات الأصلين، ط١، ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م، ص١٣٠.

جبر من حيث لم يحتسبوا ولكن بطامة عظيمة وهي نفي علم الله بأفعال عباده وأن العباد هم خالقوا أفعال أنفسهم مما نتج عنه وجود خالق مع الله غيره، ونسبة الجهل لله جل وعلا تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

فهذان الأمران يجعلان مذهب نفاة القدر أشنع بكثير ممن يقول بالجبر المطلق، إذ أنكر غلاة المعتزلة علم الله في الأزل، قال الإمام الشافعي[١]: "ناظروا القدرية في العلم فإذا أقروا به خصموا وإن أنكروا كفروا"[٢].

فمثلاً على كونهم وافقو الجبرية بعد أن رفعوا شعار نفي القدر قول القاضي عبد الجبار: "أفعال العباد من تصرفهم.. وأن الله عز وجل أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا محدث سواهم، وأن من قال إن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه"[٣].

فهنا لم ينتبه المعتزلي إلى فعل الإنسان، وقدرة الإنسان على الفعل التي أقدره الله عليها، فالقدرة على الفعل هي الأصل وخالقها هو الله جل وعلا، فإذاً الله جل وعلا هو الذي خلق الإنسان وفعله من خلال خلق القدرة على الفعل في الفاعل وهو الإنسان، ففي نهاية الأمر يقع الإنسان الفاعل الفرعي تحت قدرة وتأثير الفاعل الاصلي وهو الله جل وعلا ومن مزالق أقوالهم: "أفعال العباد غير مخلوقة فيهم وأنهم المحدثون لها"[٤]. فهذه المقولة تتهاوى مع قوله جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ (الرعد: ١٦). أفليست أفعال العباد شيء والله خالق هذا الشيء إذ لو كان هذا الشيء لم يخلقه الله فمن خالقه؟ لابد وأن له خالقاً غير الله فهنا وقع القوم في الجبر والشرك وإنكار علم الله بأفعال عباده[٥]. كل ذلك حسب ما يزعمون بالعدل الالهي والخروج من عباءة الجبر التي اخفقوا من الخروج منها. مع ارتكابهم لطامات منها ما جاء في شرح الأصول الخمسة من حدهم لقدرة الله جل وعلا إذ أن قدرته لا تتعلق بأفعالنا بل إنه لا يقدر عليها، قال القاضي عبد الجبار الهمداني: "ليس إذا قدر القادر على مقدور أن يكون قادراً على غيره من المقدرات، وليس في قدرته تعالى على إقدارنا على هذه التصرفات سوى كونه قادراً على خلق القدرة فينا، فمن أين يجب إذا قدر على القدرة أن يكون قادراً على تصرفاتنا؟ هذا مما لا يجب"[٦].

---

(١) الشافعي:محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله أحد الأئمة الاربعة، وإليه ينسب المذهب الشافعي، ولد في غزة ورحل إلى مكة، وتوفي في مصر (١٥٠-٢٠٤هـ) أشهر كتبه "الأم "، أنظر: الزركلي، الأعلام، ج٦،ص٢٦.
(٢) أنظر: ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، ج٢، ص١٤.
(٣) الهمذاني، عبد الجبار بن احمد، المغني في أبواب العدل والتوحيد، دار الكاتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٨٠هـ ١٩٦٠، جـ٨، ص٣.
(٤) الهمذاني، عبد الجبار بن احمد، شرح الأصول الخمسة، ت، احمد السايح، توفيق وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ط١، ٢٠١٤م، جـ٢، ص٣٢٧.
(٥) أنظر: ابن ابي العز الحنفي، شرح الطحاوية، جـ٢، ص٢٦٦- ٢٦٧.
(٦) القاضي عبد الجبار الهمداني، شرح الأصول الخمسة، ج٢، ص٣٧٠.

وخلاصة القول أن المعتزلة ومن قال بقولهم إن الإنسان مخير لم يصل إلى حل عقلي ومنطقي مقنع ومتوافق مع ثوابت العقيدة الإسلامية إذ شبهوا الإنسان في خلقه لأفعاله بالخالق سبحانه وتعالى المتفرد بالخلق والإيجاد.

فهذه لمحة مؤجزة لمن قال بالإرادة الحرة للإنسان وأن الإنسان مختار لأفعاله في عقيدة القضاء والقدر من أجل أن يكون لدى القارئ صورة ذهنية يستطيع من خلالها موافقتنا حول صدور بعض الإحكام التي تخص البحث العلمي من أجل الوصول للحقيقة العلمية.

وقد نبه لمثل هذا صاحب كتاب موقف البشر تحت سلطان القدر الذي قرر صعوبة التوفيق بين كون الإنسان مختاراً في أفعاله مسئولاً عنها مع كون اختياره وإراداته كلية أو جزئية تحت سلطة وإرادة الله على موجب قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾(الإنسان: ٣٠).

وأنه لا يجوز الاخلال بأي واحدة من الحقيقتيين الثابتتين بحجة أن العقل لا يقدر أن يؤلف بينهما"(١). وحتى الأشعري عزا الكسب أنه فعل الله وخلق الله(٢).

وقبل الخوض في مثل هذا ينبغي لي وبشكل سريع في عقيدة القضاء والقدر سرد أركانه الأربعة التي أجمعت عليها هذه الفرق وهي:

١- علم الله المطلق بكل ما يكون جملة وتفصيلاً.

٢- كتابة الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق.

٣- مشيئة الله بكل شيء في السموات والأرض وإرداته.

٤- خلق الله لكل شيء فلا خالق غيره(٣)، وهذه الأركان من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر(٤)، على الوجه الشرعي المستنبط من الأدلة الشرعية.

فمن خلال ذكر هذه الأركان يستخلص منها تعريف عقيدة القضاء والقدر بغض النظر عن الاختلاف في بعض الجزئيات، إذ أن هذا ليس مكان عرضها ونقدها، وإنما الهدف هو أن أبين للقارئ من خلال ما سبق أين يكمن الإشكال الذي استعصى حله، ولماذا؟

إن قضية الإيمان بالقضاء والقدر ومراتبه مما سَلَّمت به الأمة الإسلامية واستوعبته عقولها حتى طرحت قضية هل الإنسان مسير أم مخير؟ أي أن موطن الخلاف هو في مشيئة الله وقدرته

---

(١) أنظر: مصطفى صبري، موقف البشر تحت سلطان، القدر، ص٢٦٠.

(٢) أنظر: الاشعري، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، مكتب الخانجي، القاهرة ١٩٥٥م، ص٧٢.أنظر العقد الجوهري، ص١١-١٣٥.

(٣) أنظر: القرني، القضاء والقدر عند المسلمين، ص٦٠، الشربيني،عماد السيد ، السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام، دار اليقين ،مصر ،ط٢ ،١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م ،ج٢، ص٢٣٣.

(٤) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ت سيد عمران، د. السيد محمد، دار دار الحديث، القاهرة، د ط، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، ص٧٧.

وأنه خالق كل شيء، وعكسه مشيئة المخلوق وقدرته وإرادته، وكيفية المواءمة بينهما. فجاء الجبر المطلق الذي لم يكن حلاً لأنه يعارض العدل الإلهي، كيف يعاقبنا على فعل أجبرنا عليه، ونقيضه التخيير المطلق بنفي القدر وأن الإنسان خالق أفعال نفسه، فهذا يؤكده العدل الإلهي بضرورة جزاء المحسن وعقاب المسئ(١). لكن يرده وينقضه وجود خالق مع الله غيره.

لذا كان لزماً على الأمة أن تترك القولين وأن تتوسط بقول يكون مقبولاً وخالياً من الموانع الشرعية والعقلية التي في نظر الباحث أنها لم توفق فيه ولم تصل إليه إلا إن سلّمت بالأمر على أنه من أسرار الغيب كما سلّم به رسول الله ﷺ فعن جابر بن عبد الله قال جاء سراقة بن مالك بن جشعم(٢) فقال: يا رسول الله ﷺ بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن؟ فيما العمل اليوم؟! أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل؟ قال: " لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير"، قال: ففيم العمل؟ فقال: " إعملوا فكل ميسر لما خلق له "(٣).

وعن عمران بن حصين قال: قيل يا رسول الله أعُلم أهل الجنة من أهل النار؟ فقال " نعم " قيل: ففيم يعمل العاملون؟ قال: " كل ميسر لما خلق له"(٤).

إن تعامل النبي محمد ﷺ مع القضاء والقدر كان واضحاً لصحابته ﷺ بالإيمان والتسليم المطلق لإرادة الله ومشيئته وقدرته، وبما أنكم لا تعلمون مستقر هذه الإرادة والمشيئة والقدرة، ولا الكيفية التي تعمل بها فعليكم بالعمل، وهو أخذ الأسباب الموصلة لما يسر كل واحد منكم له، فأنتم لا تعلمون غيب مستقركم،كما لا تعلمون غيب القضاء والقدر.

وبعد أن وضع الباحث صورة ذهنية لدى القارئ فإنه يرى لزاماً عليه أن يوضح سبب الإشكالية في المسألة وهي:

ثانياً: الإشكالية في عقيدة القضاء والقدر:

إن الإشكالية الأولى في عقيدة القضاء والقدر تكمن في الجمع بين القدرة (٥) والإرادة (٦)الإلهية وبين القدرة والإرادة البشرية، وبمعنى أوضح كيف نوفق بين القدرة والإرادة للخالق، وبين القدرة والإرادة للمخلوق؟ مع عملهما في هذا الكون لإيصال الإنسان لمستقره الأخير، إذ تكمن صعوبة

---

(١) أنظر: القرني، القضاء والقدر عند المسلمين، ص٩٧.

(٢)سراقة بن مالك بن جشعم من بني مدلج من كنانة، وكان ممن طلب رسول الله وهو مهاجراً الى المدينة فأدركه فدعاء عليه حتى ساخت قوائم فرسه فأمنه رسول الله ودعاء له.ألبسه عمر بن الخطاب سواري كسرى تحقيقاً لنبوءة رسول الله توفي سنة (٢٤هـ). أنظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٢٥٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي، ٢٦٤٨/٢٠٤٠/٤) دون قوله عليه الصلاة والسلام: "لما خلق له"، واحمد في المسند (٢٩٢/٣) رقم ١٤١٤٨.

(٤) مسلم كتاب القدر، باب " كيفية خلق الآدمي" (٤م٢٠٤١/٩/٢٦٤٩). والبخاري كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" (٣٥٠/١٣) رقم ٧٥٥١.

(٥) القدرة : الصفة التي تمكن الحي من الفعل وتركه بالإرادة، وهي صفة تؤثر تأثيراً وفق الإراده وهي نوعان قدرة ممكنة أي أدنى قوة يتمكن بها المأمور من أداء مالزمه ،وقدرة ميسرة وهي زائدة على القدرة الممكنه . ،انظر:الجرجاني ،التعريفات،ص١٥٨،التهانوي،محمدبن علي ،كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم الاسلامية ،ج٣،ص١١٨٠.

(٦) الإرادة : نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه، وكون الشيء في وقته ،وما هو عليه، فهي توجب للحي حالا يقع منه الفعل على وجه دون وجه . انظر: التهانوي،محمدبن علي ،كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم الإسلاميه ،ج ٢، ص ٥٥٢،ابو منصور الماتريدي ،كتاب التوحيد ،ص١٢٣،الجرجاني ،التعريفات ص ١٥٩.

الأمر في حال الجمع بينهما سواء على جهة الاستقلال؛ بمعنى أن للمخلوق قدرة وإردة مستقلة عن قدرة وإرادة الخالق فهذا الإثبات بلا شك يجعل الإنسان مخيراً لا مجبراً ولكن يمنع من ذلك وجود إرادتين وقدرتين في هذا الكون، وهذا بلا شك ممتنع عقلاً وشرعاً. وأما من جهة التبعية بمعنى أن تكون إرادة وقدرة المخلوق تابعة لإرادة وقدرة الخالق فهذا يجعلنا نعود من حيث بدأنا إلى الجبر لا محالة؛ فعملي أو كسبي للعمل لا شك أنه بإرادتي وقدرتي المخلوقة التي تتحكم بها إرادة وقدرة الخالق الله. لذا نجد من حاول الجمع بين القدرة وعظمة الخالق والمخلوق من خلال المشابهة بينهما حسب فهمه.

وهذا يدخلنا في الإشكالية الثانية في عقيدة القضاء والقدر في مسألة الجبر والاختيار هي التشبيه بين جبر الخالق وجبر المخلوق. إذ إن مما اتفق عليه أهل الملة أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، يقول ابن تيمية: "وكذلك لفظ "الجبر" فيه إجمال يراد به إكراه الفاعل على الفعل بدون رضاه... والله تعالى أجل وأعظم من أن يكون مجبراً بهذا التفسير، فإنه يخلق للعبد الرضا والاختيار بما يفعله، وليس هذا جبراً بهذا الاعتبار"(١). ولا شك أن خلق الله لأفعال العبد واختياره... ألخ إنما هو بسابق علمه بكسب العبد واختياره." فلما كان لفظ الجبر مجملاً نهى الأئمة الأعلام عن إطلاق إثباته أو نفيه"(٢).

فالجبر من الخالق عدلٌ لا ظلم فيه، والجبر من المخلوق قد يكون ظلماً وقد يكون عدلاً، وهو ظلم محض إن أجبر ثم عاقب على ما أجبر عليه، فإن قيل ما الفرق بين جبر الخالق وجبر المخلوق قلت (الباحث): إن الفرق بين واضح: فجبر الخالق نتيجة الإرادة، وهي تابعة لعلمه المطلق بما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون، وأما جبر المخلوق بعلم يأتي بعد جهل، أو جهل يأتي بعد علم، أو جهل يأتي بعد جهل، فالجهل قاسم مشترك فيه " فمعرفة العبد المسبقة تنطلق من اسباب معلومة تفضي إلى نتائج معلومة، والأسباب تنبثق عن الإنسان أحياناً، وأحياناً لا تنبثق عنه، ولا سببية في معرفة الله المسبقة فالله يعلم لأنه قادر على العلم بمعزل عن توافر الأسباب"(٣).

فإن كان الله جل وعلا قد علم أزلاً مآل الإنسان من خلال أفعاله التي سيختارها ويقدر عليها فلِمَ يجعل له القدرة المستقلة على الاختيار والإرادة مما يشارك بها الله جل وعلا لو كانت له، لذا قد يكون الله جعل للإنسان كل ذلك تصوراً يتصوره في نفسه وعقله أن له الإرادة والقدرة الحرة، ويعمل بمقتضى ذلك، وتقوم عليه الحجة، وهو في حقيقة الأمر تخضع قدرته وإرادته وعمله وكسبه... إلخ لخالقه جل وعلا لا ينفك عن ذلك قيد أنملة، وقد تطابق مثالاً في ذهن الباحث مع مثال ساقه د. عبد العزيز سيف النصر حول شخصية أبي لهب بأنه شخص ملعون في القرآن والقرآن

(١) ابن تيمية، الفتاوى، ج٨، ص١٣١- ١٣٢.
(٢) المرجع السابق، ج٨، ص١٣٢.
(٣) أبو خاطر، نظرات في الحتمية والجبرية والحرية، ص١٢٤.

موجود في اللوح المحفوظ قبل أن يولد بزمن طويل[١]هو وزوجته، فهو دليل على الجبر الإلهي الناشئ عن علم الله الأزلي مع تصورهما أنهما مخيران بوجودهما على قيد الحياة في زمن الدعوة، وقد كانا ضمناً من المدعوين.

ولعل الباحث يستشهد بهذا في حديث عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ " إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً"[٢]. فإن هذا الغلام إنما قامت عليه الحجة بسابق علم الله بما هو عامل وليس بعمل الغلام نفسه.

كما يستشهد به على ما في مقدمة العقد الجوهري رد على شبهة المعتزلة بأن الجبر يبطل التكليف بكون الله هو الخالق لأفعال العباد، فإن خلق الله لأفعال عباده لعلمه بأنهم يفعلونها ويريدونها لذلك خلقها لهم فما كانوا مجبورين، ولا يبطل تكليفهم[٣].

وخلاصة هذا القول أن القدر في أفعال العباد له جهتان لا يحيد عنهما: فالأولى: من جهة الله جل وعلا هي إقامة الحجة على الناس في الأمر والنهي امتثالاً وتركاً، ومن جهة الخلق وهي العمل من أجل دخول الجنة والنجاة من النار.

وبعد كل ما ذكر لعله يتبين لبروكلمان أن عقيدة القضاء والقدر بمفهوم عامة المسلمين هي أن المسلم مختار لأفعال نفسه، وهو الذي يسوقها بكسبه للعمل إما للجنة أو للنار، مع إقرارهم أن كل ذلك تحت إرادة الخالق جل وعلا، وأن الجبرية التي تُقعد المسلمين عن العمل وتدعوهم للتكاسل لا مفهوم لها في معتقدات عامة الأمة الإسلامية " فمن أعرض عن الأمر والنهي والوعد والوعيد ناظراً إلى القدر فقد ضل، ومن طلب القيام بالأمر والنهي معرضاً عن القدر فقد ضل، بل المؤمن كما قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ (الفاتحة: ٤). فنعبده اتباعاً للأمر، ونستعينه إيماناً بالقدر"[٤]. وقد ردت موسوعة بيان الإسلام هذا الفهم المنكوس لبروكلمان عن عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر باستقراء لحال علماء الأمة فهذا الإمام سفيان الثوري[٥] يقول: العالم إذا لم تكن لديه معيشة صار وكيلاً للظلمة، والعابد إذا لم تكن له معيشة أكل بدينه، والجاهل إذ لم تكن له معيشة صار وكيلاً للفساق[٦].

---

(١) أنظر: سيف النصر، د. عبد العزيز، القدر وحرية الإرادة الإنسانية في الفكر الكلامي الإسلامي، مصر للخدمات العلمية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص٧٩.

(٢) مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، (٢٠٥٠/٤/ح٢٦٦١).

(٣) أنظر: النقشبندي، خالد، العقد الجوهري في الفرق بين قدرة العبد وكسبه عند الماتريدي والأشعري، ص١١.

(٤) ابن تيمية، الفتاوي، ج ٨، ص٧٣.

(٥) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، ولد ونشأ في الكوفة توارى عن الخلفاء حتى لا يلي القضاء، توفي في البصرة مستخفياً له من الكتب "الجامع الكبير " "الجامع الصغير".أنظر، الزركلي، الأعلام، ج٣، ص ١٠٤.

(٦) أنظر: موسوعة بيان الإسلام، قسم ١، ج ٧، ص١٦٨.

وفي حال رسول الله ﷺ فلقد ظهر ﷺ في الحرب بين درعين ولبس على رأسه المغفر[١] وأقعد الرماة على فم الشعب، وخندق حول المدينة، وأذن في الهجرة إلى المدينة وهاجر وقال: اعقلها وتوكل[٢].

وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام توكلوا على الله وأخذوا بالأسباب فمنهم المزارع والنجار والخياط والحداد، فهذا كله يرد على من زعم أن عقيدة الإسلام في القضاء والقدر هي سبب تخلف المسلمين وتكاسلهم، فهذا ترده الفتوحات الإسلامية والجهاد في سبيل الله... إلخ[٣]. وإقامة الدولة الإسلامية على جل مساحة العالم مع التقدم الحضاري في شتى المجالات والتي لا مجال لحصرها، كما أن حال العرب بشكل خاص بعد الاسلام يختلف عن حالهم قبله، بل لا مجال للمقارنة بين الحالتين من نور الإسلام، وظلام جاهلية العرب.

خلاصة المبحث

توصل الباحث إلى أن الإيمان بعقيدة القضاء والقدر عند أهل السنة والجماعة بشكل خاص، وعند مخاليفهم من الفرق الاسلامية بشكل عام كان من نتائجه في نظر الباحث ما يأتي:

١- أن المعتزلة التي لجأت إلى العقل في حل هذه المسألة لم توفق بالحل العقلي المقنع لما يترتب على قولهم بالحرية والإرادة الإنسانية من مخالفة ثوابت العقيدة الإسلامية.

٢- ضرورة عدم مشابهة القضاء والقدر بالجبر البشري بكون الأول علم غيب ومن أفعال الذات الإلهية ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ (البروج:١٦) وأن الله لا يشبهه شيء من خلقه، وأنه لا ظلم فيه لأن الله حرم الظلم على نفسه.

٣- أن الأمة الإسلامية بشكل عام وأهل السنة بشكل خاص وإن لم يستطيعوا أن يوفقوا بشكل علمي دقيق بين الجبر والاختيار من الناحية العلمية الغيبية إلا أنهم وبكل اقتدار استطاعوا أن توفق بينهما من الناحية العملية الحسية من خلال الأخذ بالأسباب قبل وقوع الحدث والتسليم المطلق بالقدر والقضاء بعد وقوع الحدث.

٤- أن تسيير الله جل وعلا للقضاء والقدر هو من علم الغيب الذي يجب التسليم به.

---

(١) المغفر: ما يلبسه المقاتل على رأسه من الحديد في الحرب للحماية وقاية للرأس وكذلك الغفارة، انظر: الطالقاني، ابن عباد،ابو القاسم اسماعيل ،المحيط في اللغة، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٠، ج٢، ص ١٢٢.

(٢) الترمذي، كتاب صفة الرقائق والورع، باب الورع والتوكل، ٧٣١.

(٣) أنظر: موسوعة بيان الإسلام، قسم ١، ج٧، ص١٦٨.

٥- أن العقل والمنطق والواقع التجريبي يرفض فكرة وجود حرية وإرادة مطلقة لدى الإنسان صاحب القدرات المحدودة؛ لأن خياراته ليست إلا في أمور محدودة مفروضة عليه يقوم باختيار واحد منها[١]. إذ لو أثبتنا حرية مطلقة للزم إثبات قدرات واستطاعة مطلقة لا متناهية لدى الإنسان.

٦- إن بروكلمان قرر القضاء والقدر تقريراً مجملاً، فنسفه نسفاً، فلو نظر فيه نظراً مفصلاً وما فيه من التداخل بين الجبر والاختيار، والجمع بين عالم الغيب وعالم الشهادة مما قد يلزم بالموافقة بينهما.

فمنهج الأمة يجمع بين الأمرين فهي قبل وقوع الحدث قدرية أي العمل بالأسباب وكأنه لا جبر، وبعد وقوع الحدث جبرية ونفي الأسباب وكأنه لا اختيار، فهذا هو المنهج الذي تلزمه الأمة الإسلامية وتطبقه بشكل عملي، "فالعبد له في المقدور" حالان "حال قبل القدر و"حال بعده"، فعليه قبل المقدور أن يستعين بالله ويتوكل عليه ويدعوه، فإذا قدر المقدور بغير فعله فعليه أن يصبر عليه أو يرضى به"[٢].

إن اشكالية القدر هي مشكلة الإنسان أينما حل، ومتى حل، وليست مشكلة فرد بعينه، أو أمة بعينها، لذلك وجدناها في كل الأمم والثقافات والديانات؛ وجدنا الجبرية الخالصة في معظم الديانات والثقافات، حتى في بعض الفلسفات باسم "الحتمية"[٣] أكثر مما في الإسلام، ولم تجد مشكلة القدر حلاً أمثل وأعدل مما وجدته في الإسلام"[٤].

فالحتمية لها ضربان الأول: يقول: بضرورة خضوع الإنسان لقوانين الطبيعة. والآخر يقول: بخضوع الإنسان لنفسه[٥]. وبينهما الحتمية اللاهوتية التي تقول بخضوع الإنسان للإرادة الإلهية "إن قضية الجبر والاختيار هي من ألصق آثار القضاء والقدر الإلهيين بالإنسان، وأوثقها به صلة، وهي من أجل ذلك من أكثر المسائل جذباً لاهتمام المفكرين من علماء الكلام وغيرهم من الفلاسفة والأدباء، بل هي من أعتى المشاكل التي كانت – ولا زالت – تشغل أفكار الناس كلما حامت خواطرهم حول التفكير بالقضاء والقدر"[٦].

إن بركلمان في مقالاته حاول أن يضرب على هذا الوتر الفكري الإنساني الحساس ظناً منه أنه سيدخل المعتقد الإسلامي في قوقعة ثم يلقيها في البحر فلا تجد من ينتشلها ثم يخرجها، وما علم أو

---

(١) أنظر: د. زكريا إبراهيم، مشكلة الحرية،مكتبة مصر،القاهرة ،ط٢ ،دت ، ص٣٢-٥٤.
(٢) ابن تيمية، الفتاوى، ج٨، ص٧٦.
(٣) الحتمية: لغة حتم أي قضا وأوجب ،وبالمعنى المشخص أن كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة مقيدة بشروط توجب حدوثها أضطرار،وبالمعنى المجرد أن يكون للحوادث مجموعة قوانين تحكم ظاهرة ما،وبالمعنى الفلسفي أن جميع حوادث العالم وخاصة أفعال الإنسان مرتبطة ببعضها أرتباطاً محكماً.انظر:مراد وهبة ،المعجم الفلسفي ،ص٢٩٩،جميل صليبيا ،المعجم الفلسفي ،ج ١،ص٤٤٣.
(٤) موسوعة بيان الإسلام، قسم١، ج٧، ص١٦٩.
(٥) أنظر: د. زكريا إبراهيم، مشكلة الحرية، ص١٥٢.
(٦)العقلي، د. فؤاد خدرجي، الإنسان هل هو مسير أم مخير، ص٣.

أنه تجاهل أنها مسألة إنسانية شغلت الفكر الإنساني إلى أن جاء الوحي الإسلامي بحل لهذا المعتقد الإشكالي في الفكر الإنساني بربط قدرة الإنسان ومشيئته وإرادته المحدودة بقدرة ومشيئة وإرادة خالقه الله جل وعلا المطلقة، فلم يكن لهذه الإشكالية الإنسانية لدى عموم المسلمين أي أثر سلبي من الناحية الحياتية العملية، وبقي الجانب العلمي لهذه الإشكالية التي لم تشغل بال أو فكر أو معتقد عموم الإمة الإسلامية إلا القلة من النخبة العلمية التي وجدت فيها مجالاً خصباً للإبداع الفكري والعلمي والفلسفي، مؤكدة عظمة الوحي الإسلامي بالاستجابة لجميع العقول واستدلالاتها حسب رؤيتها، مع بقاء التداخل فيما بينها وتأكيدها على أنها قضية في واحدة من زوياها علم غيب لم تدركه العقول البشرية، ولن تدركه. فواحدة من مزايا هذه الأمة إيمانها بالغيب الذي ملأ جوانب وحيها الرباني، الذي آمنت به فكان من تراثها ما قض مضجع المستشرق الغربي الذي جاء لدراسة معتقداتها و... إلخ، فهل كان الغرب سيدرس المشرق العربي على وجه الخصوص وبتلك الشراهة لولا تلك العقيدة التي اتهمها بما جادت به قريحته، ومن آخرها في عقيدة القضاء والقدر، وأنها سبب تقاعس الأمة، وهل سيعرف الغرب العرب لولا الرسالة المحمدية التي كانت سبباً رئيساً في تحول تلك الأمة من لا شيء في هذا العالم إلى أمة سادت العالم في يوم من الأيام وأنارت ظلماته.

إن الإشكالية التي تعقد عمل بروكلمان مع تصور الله هي تلك الصورة النمطية عن الذات الإلهية التي تنطلق من تصوراتهم المستمدة من الوحي الذي خطته يد التحريف. أي إن تصورالذات الإلهية عند الغربيين سواءً كانوا علماء لاهوت أو دارسي أديان أو فلاسفة أو مفكرين تتقاسمها مصادر متعددة، فصفات الله في التوراة غير تلك الصفات التي في الإنجيل، أو تلك الصفات التي استدعاها بروكلمان من العهدين البابلي أو الساميّ، مروراً بإله محمد ﷺ كما زعم بروكلمان حيث ألقى شبهته حول تناقض النبي محمد ﷺ في رسم صفة عن الله حيث يصفه أنه إله رحيم لطيف، وهذا مما لا شك فيه وهو مقرر بمصدري الوحي الذى لم تصبه يد التحريف القرآن الكريم والسنة النبوية، ولكن أن ينكص بروكلمان على عقبية باتهام أن عقيدة إله محمد ﷺ هي الجبر المحض وهذا يتنافي مع العدل الإلهي التي زعمها محمد ﷺ عن إلهه صاحب الصفات التشبيهية.

إن "طبيعة الإله وصورته من أبرز الإشكاليات التي شغلت العقل الجمعي البشري عبر العصور[١] واحتلت مساحة كبيرة من ذاكرة الإنسانية لما يمثله الكائن الأسمى- الإله- من قيمة عليا مرجعية نهائية لتقييم الفعل الإنساني بواسطة ثنائية الثواب/ العقاب، وصورة الإله في المتخيل

---

(١) إن صورة الذات الالهية المتشكلة من المصادر البشرية سواءً كانت دينية أو تراثية أو فلسفية بحاجة إلى دراسة من خلال ثوابت العقيدة الإسلامية ،مع تحفظ الباحث على مصطلح صورة والصحيح أن يقال صفة الذات الألهية .

البشري نتاج طبيعي للمؤثرات الزمانية والمكانية، والملابسات التاريخية والفكرية المحيطة بالإنسان"(١).

إن المفهوم السائد عن القضاء والقدر الإلهي أو عن صفات الذات الإلهية من خلال مشابهتهما بالجبر البشري أو بالصفات البشرية وعدم الفصل بين الذات الإلهية وقدرتها وبين الذات البشرية وقدراتها أدى إلى مثل هذا التناقض في ذهنية المستشرق الغربي على وجه الخصوص.

فالصورة التي رسمها الكتاب المقدس عن الذات الإلهية بأنها ذات طبيعة بشرية قد يكون من الأسباب التي أدت لمثل هذا الخلط بين الله وصفاته كخالق لهذا الكون وبين الإنسان ومؤهلاته كمخلوق مسخر له هذا الكون. مما أدخل العقل الغربي في إشكاليات كثيرة مع الله يصعب على العقل البشري حلها لدخولها في دائرة علم الغيب والتي لا تدرك بتصور العقل البشري، فصورة القضاء والقدر وحرية الإرادة الإنسانية وصفات الذات الإلهية خضعت لعدم قدرة العقل الغربي الفصل بينهما من خلال استقلال الإرادة البشرية عن الذات الإلهية، كما أننا "نراها تؤرق بال عدد غير قليل من المتكلمين والفلاسفة المسلمين والواقع أن القول بالحتمية اللاهوتية يفترض أن النشاط الإنساني متوقف تماماً على الله، بحيث أنه لابد أن يكون ثمة تعارض بين القول بالقدرة الإلهية والقول بالحرية الإنسانية.وهنا نلاحظ أن "الحتمية" كثيراً ما تستحيل إلى "جبرية" تقول بالقضاء والقدر.. إذ إن مجرد وجود الله يستتبعه بالضرورة أن يكون مصير الإنسان محدداً تحديداً سابقاً، بغض النظر عما سوف تتجه إليه إرادة الإنسان"(٢).

بمثل هذا كان تفسير عقيدة القضاء والقدر الإسلامية بالجبر المحض المنافي للعدالة الإلهية مما حدا بهم إلى القول بحرية الإرادة الإنسانية المستندة إلى المساواة بين إرادة الله وإرادة الإنسان(٣).

فيرد مثل هذا امتناع وجود قدرتين متساويتين لأنه وبلا شك ستكون هناك قدرة خالقه وقدرة مخلوقه، وكذلك شهداً محاولات كثيرة باءت بالفشل من أجل القول بحرية الإرادة الإنسانية هروباً من الجبر المحض كما فشلت كذلك من التوفيق بينهما كما "نرى أن ابا حيان قد اعترف بصعوبة حل هذه المشكلة، فأثر التسليم بكل من الجبر والاختيار، مع اعترافه بالعجز عن الوصول إلى نقطة التلاقي التي تجمع بينهما"(٤).

---

(١) د. سامح محمد إسماعيل، الله والإنسان دراسة في الجبر والاختيار، ص٦٢.
(٢) د. زكريا إبراهيم، مشكلة الحرية، ص١٥٢.
(٣) أنظر: د. سامح إسماعيل، الله والإنسان دراسة في الجبر والاختيار، ص٧٢، د. زكريا إبراهيم مشكلة الحرية، ص١٥٩.
(٤) د. زكريا إبراهيم، مشكلة الحرية، ص١٥٦.

كما أورد د. زكريا إبراهيم أن ابن رشد في محاولته التوفيق بين الجبر والاختيار بكون إرادتنا الباطنة معلولة للأسباب الخارجية ليس إلا توكيداً لعقيدة القائلين بالقضاء والقدر بقوله: إن افعالنا جارية على نظام محدود، لأنها مسببة من أسباب خارجية نظمها الله[١].

فهنا لا يسع الباحث إلا أن يقرر كما قرر د. زكريا إبراهيم انتهاء ابن رشد في الحقيقة إلى الجبر بدل الحرية كما لم ينجح في التوفيق بينهما[٢]. وكما بدأ الباحث في بداية هذا المبحث بالقول بعدم قدرة القائلين بالحرية والإرادة الإنسانية بإثباتها، يعود في آخره ليؤكد ذلك من خلال صعوبة الخروج من الحتمية كما يقولون أو عقيدة القضاءوالقدر كما نعتقد .

وبعد كل ما قدمناه لعله يتبين الخلط المتعمد من بروكلمان بين الذات الإلهية وبين صفات الذات الإلهية وهذه مغالطة حيث "يدعى بعض المغالطين أن الإله الذي يؤمن به المسلمون هو إله خاص بهم وحدهم، مختلف عن الإله الذي دعت إليه كل الرسالات وديانات كل الرسل من قبل؛ فليس هو إله إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وموسى، وعيسى عليهم السلام، وحتى تقرر أن وحي الله في جانب العقائد لا يتبدل كان ذلك بمجرده طعناً في الإسلام وعقيدته، بما أن تصوره عن الإله لا يكاد يعرف عن أحد من الأنبياء السابقين"[٣].

إن الذات الإلهية لم تكن يوماً محل إشكال بقدر ما كان التصور لهذه الذات، لذا نجد أن الحديث هو عن الصورة وليس عن الذات، يقول محمد الغزالي في حديثه عن الله الذي يتضح التفريق فيه بين الذات الإلهية وبين صورتها: "فعرفنا أن الله واحد. وأن ما عداه خلق يعنوله، ويهلك إن فقد إيجاده وإمداده، وأننا عائدون إليه البتة، بعد انقضاء آجالنا هنا، وأننا محاسبون على الطريقة التي قضينا بها أيامنا على ظهر الأرض"[٤].

فهنا حديث عن الذات الإلهية بكل وضوح، فهي ذات خالقة وموجدة، تحي وتميت، وترزق وتبعث، وتحاسب، ذات واحدة ومنفردة لا شريك معها، فهل من سبب من ارتباط البشرية بها والخضوع المطلق لها غير ذلك، بغض النظر عن الصورة المتصورة عن تلك الذات التي جاء الإنبياء من أجل تجليتها بعد أن أفسدها البشر بضلالات عقولهم، وبعدهم عن هدايات أنبيائهم عليهم السلام " فالإله كما صوره أرسطو يحيا في غيبوبة خاصة لا يدري ما يفعله غيره، ولا يعنيه.. أما الاله الثالوث فشأنه لا يقل عجباً... إلخ"[٥]. فمقصود الباحث في هذه المسألة أن يبين بوضوح الفرق بين الحديث عن الذات الإلهية وبين صفات الذات الالهية، وعدم الخلط بينهما كما نزغ بروكلمان

(١) أنظر: د. زكريا إبراهيم، مشكلة الحرية، ص١٥٧.
(٢) أنظر: د. زكريا إبراهيم، مشكلة الحرية، ص١٥٧.
(٣) موسوعة بيان الإسلام، ج قسم١، ج ٦، ص٢١٣.
(٤) الغزالي، محمد، ترثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، دار الشروق، القاهره ،ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩١م، ص٤٦.
(٥) الغزالي، محمد، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، ص٤٦.

ووزغ، من أجل أن يجعل المسلمين في معتقداتهم من شرائعها وعقائدها إلى أعظم مقدساتها وهي الذات الإلهية المعبودة، منفردة عن سائر الأديان والرسل والملل والنحل ليجعل منا أمة منبوذة عن سائر الأمم، فما نحن الإ كسائر الناس فضلنا بآخر الأنبياء وخاتمهم " إن القرآن الكريم لا يجعل قضية الإيمان بوجود الله قضية تحتاج إلى إثبات وعرض أدلة... إنها بديهية. وإنما ينبه القرآن الكريم على وحدانية الله، وقرر وفصل في تصحيح تصور الألوهية وبيان صفات الله الحسنى وعبودية المخلوقات له"(١)؛ لذا كان إبطال هذه الشبهة من وجوه:

١- "العقيدة في الله التي بعث بها الأنبياء جميعهم لم يختلف مضمونها منذ بعثة سيدنا آدم عليه السلام إلى بعثة خاتم النبيين محمد ﷺ وهي الإيمان بوجود الله ووحدانيته وإفراده بالعبادة.

٢- الصورة التي تقدمها الكتب المقدسة لغير المسلمين من اليهود والنصارى للألوهية فيها من التشويه وإثبات صفات النقص ما يتنزه جناب الألوهية عنه، وهو ما لا نجده في المعتقد الإسلامي عن الإله"(٢).

٣- ذكر إبراهيم عليه السلام في الكتب المقدسة الثلاثة مع الإشارة إلى مكانته العالية لهو دليل على وحدة الرسالات الثلاث المنزلة من الله تعالى، وأنها دين سماوي واحد وهو الأسلام

٤- إن صفات الذات الإلهية في التوراة عند اليهود متناقضة؛ فمرة في غاية التنزيه، وأخرى في غاية التجسيم والتشبيه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً(٣)وكذلك النصرانية من خلال عقيدة التثليث وألوهية المسيح... إلخ (٤).

٥- إن صفات الذات الإلهية في القرآن الكريم في غاية الكمال من خلال إثبات صفات الكمال، وغاية التنزيه من خلال نفي صفات النقص، والإثبات والنفي ميزانهما الضابط لهما هو تنزيه الله جل وعلا عن الند والنظير والكيف والشبيه، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ (الإخلاص: ١-٤)

لذا يقذف بروكلمان بشبهة أخرى هي أوهى من أختها لما فيها من الباطل الذي بنيت عليه مستنداً في ذلك على الخطاب القرآني وما فيه من نزعة تجسيمية هي من إعجازه البلاغي، وذلك من أجل تقريب الفكرة وجعلها صورة ذهنية واضحة في عقل المتلقي إعجازاً ينفرد به القرآن الكريم عن ماسواه.

---

(١) الكيلاني، د. إبراهيم زيد، تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام، مكتبة الأقصى، عمان، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ص١١.
(٢) موسوعة بيان الإسلام، قسم١، ج٦، ص٥.
(٣) أنظر: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٥ ، ص٦٥ – ٦٩. ديورانت، قصة الحضارة، ج٢، ص٣٣٨-٣٤٧، د. الخطيب، مقارنة الاديان، ص١٥٣-١٥٦.
(٤) أنظر: الخطيب، د محمد أحمد، مقارنة الأديان، ص٣١٢.

يقول سيد قطب: "وظاهرة أخري تتضح في تصوير القرآن وهي "التجسيم" تجسيم المعنويات المجردة، وإبرازها أجساماً أو محسوسات على العموم. وإنه ليصل في هذا إلى مدى بعيد، حتى ليعبر به في مواضع حساسة جد الحساسية، يحرص الدين الإسلامي على تجريدها كل التجريد، كالذات الإلهية وصفاتها. ولهذا دلالته الحاسمة أكثر من كل دلالة أخرى، على أن طريقة "التجسيم" هي الأسلوب المفضل في تصوير القرآن، مع الاحتراس والتنبيه إلى خطورة التجسيم في الأوهام"[(١)].

ومن أجل أن أقرب ذلك إلى ذهن القارئ أعرض مثالاً واحداً مما ذكره سيد قطب توضيحاً وتجلية إذ يقول: فمن التجسيم التشبيه الذي يحيل المعاني والحالات إلى صور وهيئات وليس المعنى هنا بالتجسيم هو التشبيه بمحسوس وإنما المعني هو تجسيم المعنويات فمثلاً تجسيم الذنوب كأنها احمال تحمل على الظهور زيادة في التجسيم ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ ﴾ (الأنعام: ٣١)[(٢)].

ومع هذا الاعجاز البلاغي يحرص الخطاب القرآني على تجريد صفات الذات الالهية عن التشبيه أشد الحرص قال الماتريدي: "والله واحد لا شبيه له، دائم قائم لا ضد له ولا ند، وهذا تأويل قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾(الشورى:١١)[(٣)].

وتجريد صفات الذات الالهية عن التشبيه لا يتنافى مع مخاطبة الناس بما يعقلون ويتصورون " فإن من السهل عليك أن تفهم صفة الرحمة في ذات الله لأنك تحتفظ في ذهنك بتصورات لمعانيها وآثارها، ومن السهل عليك أن تتصور له صفة العدل والجلال والإكرام، وأنه شديد العقاب، لأنها كلها تعود إلى معان توجد في ذهنك صور لها، وإن كانت هذه الصفات مختلفة في ذاته تعالى عنها في ذوات المخلوقين"[(٤)].

" بهذه الطريقة المفضلة في التعبير عن المعاني المجردة، سار الأسلوب القرآني في أخص شأن يوجب فيه التجريد المطلق، والتنزيه الكامل: فقال: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾(الفتح: ١٠). ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ (فصلت: ١١)، ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾ (البقرة: ٢٤٥).

وثار ما ثار من الجدل حول هذه الكلمات، حينما اصبح الجدل صناعة، والكلام زينة، وإن هي إلا جارية على نسق متبع في التعبير، يرمي إلى توضيح المعاني المجردة وتثبيتها، ويجري على سنن مطرد، لا تخلف فيه ولا عوج. سنن التخييل الحسي والتجسيم في كل عمل من أعمال التصوير. ولكن اتباع هذا السنن في هذا الموضع بالذات، قاطع في الدلالة- كما قلنا – على أن هذه

---

(١) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط٧، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص٧٢.
(٢) أنظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص٧٩- ٨٠.
(٣) الماتريدي، كتاب التوحيد، ص٨٩.
(٤) البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص١١٤.

الطريقة في القرآن أساسية في التصوير، كما أن "التصوير هو القاعدة الأولي في التعبير"[١].

ومع كل ما سبق من أقوال أئمة الإسلام حول تجريد الذات الإلهية وصفاتها من التجسيم أو التشبيه أؤكد في نهاية هذا المبحث على أهمية فقه اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم حيث يزول به مثل هذا الإشكال.

* الرد على الشبهة الخامسة من المقالة الثانية حول عقيدة الخطيئة الأصلية

إن قول بروكلمان "لقد اقتبس النبي عن التوراة فكرة الخطيئة الأصلية"[٢] هو قول مبهم وعائم ويفتقد إلى التأصيل العلمي وبيان المراد بهذا القول فإن كان مراده هو معصية آدم عليه السلام لله جل وعلا والأكل من الشجرة فهذا موجودة في التوراة[٣] كما هو موجود في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾(طه: ١٢٠)

ويقال فيه كما قيل في سابقيه بأن الرسالات مصدرها واحد وهو الوحي الإلهي، إلا أن الذي لا نوافق بروكلمان عليه هو استخدام مصطلح نصراني وهو الخطيئة الأصلية وإسقاطه على العقائد الإسلامية واليهودية.

إن مفهوم الذنب والخطأ يتفاوت بين الرسالات السماوية الثلاث فهو مثلاً في التلمود اليهودي لا يعتبر ذنباً أو خطيئة إلا إن كان مع يهودي مماثل له في الديانة أما مع غيره من البشر فمهما عظمت الخطيئة فلا تعتبر خطيئة فقد جاء في كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود أن الفرق بين اليهودي وبقية الشعوب هو الفرق بين الأنسان والحيوان وأنه يسمح لليهودي بقتل غير اليهودي دون معاقبة[٤]. وخلاصة الدين اليهودي أن أرواحهم تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله وباقي الأرواح هي أرواح شيطانية[٥] فمن هذا يتضح عدم وجود عقيدة الخطيئة الأصلية في الديانة اليهودية وذلك من باب قداسة الروح اليهودية وشيطنة بقية الأرواح التي ليست من نسل يهودي، وأما العقيدة الإسلامية فهي تنظر إلى الإنسان كصفحة بيضاء لم يدنسها شيء البتة ويعبر عن تلك النقاوة بالفطرة السلمية الصحيحة كما قال رسول ﷺ كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه[٦] فكل إنسان يولد نقياً طاهراً من كل ذنب أو خطيئة حتى يجنى هو على نفسه

(١) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص٨٥-٨٦.
(٢) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٦٥.
(٣) سفرالتكوين ٢: ٧.
(٤) انظر: د. روهلنج، شارل لوران، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة د. يوسف حنا نصر الله، العالمية للكتب والنشر، مصر، ط٢، ٢٠١١، ص ٣٨.
(٥) انظر: المرجع السابق، ص ٣٥.
(٦) البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ح ١٣١٩.

نفسه بما كسبت يداه كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾(الزمر: ٧) من هنا يتبين الإتفاق بين الديانتان الإسلامية واليهودية في إنكار عقيدة الخطية الأصلية مع اختلافهما في الإثم والخطيئة التي يرتكبها كل إنسان حسب ما ذكر.

إن خطيئة آدم عليه السلام وأكله من الشجرة متفق عليها بشكل عام إلا أن تفاصيل الرواية تختلف في القرآن الكريم عنها في التوراة والإنجيل ولعلّ أهم مفصل في ذلك هو عدم تناقض تلك الخطيئة في القرآن الكريم والمفهوم العقدي الإسلامي، حيث يتبين ذلك التناقض بشكل بين في الرواية التوراتيه والمفهوم المسيحي لتلك الرواية من خلال أن آدم عليه السلام لم يعرف الخير والشر إلا بعد أن أكل من تلك الشجرة "كل ما تشاء من جميع أشجار الجنة، ولكن إياك أن تأكل من شجرة معرفة الخير والشر لأنك حين تأكل منها حتماً تموت"(١) ففي التفسير المسيحي لهذا النص أنهما رمزيتان للحياة الأبدية مع الله أو بكونهما شجرتان حقيقيتان يهبان لآدم وحواء عليهما السلام الحياة الأبدية مع الله كأولاد لله لكن الخطيئة فصلت بينهما وبين الحياة الأبدية(٢) فلعل التناقض يتضح من خلال لوم آدم وحواء عليهما السلام من أكلهما من الشجرة وهما بعد لما يعرفا الخير من الشر، وكيف يحمل الله جل شأنه الخطيئة لمخلوق لم يمكنه بعد من معرفة الخير والشر وذلك من خلال النص التوراة حيث يقول:" فقالت الحية للمرأة: لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكون كالله عارفين الخير والشر... فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل.. فنادى الرب الإله آدم وقال أين أنت؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت، فقال من أعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة... فقال آدم المرأة ... أعطتني من الشجرة فأكلت..." (٣) فهذا النص كما يشرحه جون ماك أن الحية هي التي أغوت حواء بالأكل من الشجرة من أجل الحياة الأبدية فوقعت الخطيئة والتي عرفها آدم من خلال معرفته بسر العري(٤) فمن هنا كانت الخطيئة الأصلية حيث يعتقد النصارى من خلالها بعدة معتقدات منها:

١. أن آدم وحواء عليهما السلام بمعرفتها الخير والشر بعد الأكل من الشجرة صارا يملكان حرية الإرادة والاختيار وهما يشاركان الله في ذلك(٥).
٢. أن آدم وحواء عليهما السلام وبسبب الخطيئة الأصلية قد أورثاها لذريتهما، وإدخالها إلى العالم(١)

---

(١)سفر التكوين ٢: ١٧/١٦.
(٢) انظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستو ميديا، القاهرة، دط، دت، ص ١٠.
(٣) سفر التكوين ٣: ١٣/١.
(٤) انظر: جون ماك آرثر، تفسير الكتاب المقدس، دار منهل الحياة، مصر، ط٢، ٢٠١٢م، ص ٦٢.
(٥) انظر: التفسير المنطقي للكتاب المقدس، ص ١٢.

٣. أن الخطيئة والموت بآدم عليه السلام، وأما المسيح فموته من أجل خطايانا وبه سيحيا الجميع[٢].

٤. أن يسوع المسيح هو مخلص البشر من الخطيئة الأصلية ليس برفعها بل بفتح باب الخلاص لمن يرغب وذلك بالإيمان بيسوع مخلصاً وإعادة علاقة الأنساب بالله من خلال قدرة الله الكاملة إذا يرى المعتقد المسيحي أن آدم عليه السلام أكلا من الشجرة ليحصل لهما إرادة وقدرة مماثلة لإرادة وقدرة الله[٣].

٥. تناقض المعتقد المسيحي في مسألة تحميل الأبناء خطيئة أبيهم آدم عليه السلام وذلك من خلال مناقشة أحد اللاهوتين الموجودين في كنائس عمان الذي لم يستطع أن يوفق بين العدل الإلهي وتحميل الابن وزر الأب وذلك بإرسال ابنه المسيح ليصلب خلاصاً للإنسانية.

٦. ارتباط الخطيئة الأصلية عند النصارى بالإرادة الحرة للإنسان في معرفة الخير والشر والتي يقابلها في المعتقد الإسلامي عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

٧. أن كل ما يحصل للإنسان من شرور ونكبات إنما مرده للخطيئة الأصلية ولا سبيل للخلاص إلا بالإيمان بالمخلص يسوع[٤].

---

(١) انظر: الأب كزافييه ليون دوفور اليسوعي، معجم اللاهوت الكتابي، دار المشرق، بيروت، ط٧، ٢٠١٤، ص٢١٢.
(٢) انظر: الكتاب المقدس، رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنتوس، ١٥: ٢٢/٣.
(٣) انظر: الأب كزافييه اليسوعي، معجم اللاهوت الكتابي، ص ٣٢٣-٣٢٤.
(٤) انظر: المرجع السابق، ص ٣٢٥.

المبحث الثاني

مناقشة بروكلمان لجانب عالم الغيب. عرض ونقد

المطلب الأول: عرض مقالات بروكلمان في عالم الغيب

١- عرض المقالة الأولى عن اليوم الآخر والقيامة يقول بروكلمان " وفي مكة دارت فكرات محمد الدينية أول ما دارت على محور الآخرة، وإنما ترجع معتقداته في ما يتعلق بالعالم الآخر إلى مصادر يهودية، وهكذا تتصل بصورة غير مباشرة بمصادر فارسية وبابلية قديمة. ولقد اعتقد بادئ الرأي أن القيامة على وشك الحلول، ليجد نفسه مضطراً بعد إلى أن يغفل تحديد ميقات لها"(١).

٢- عرض المقالة الثانية عن الجنة: يقول بروكلمان عن تصور النبي محمد ﷺ عن الجنة: "ويساق الذين اتقوا ربهم إلى جنة عدن التي تمثلها محمد وهو الذي نشأ وسط حاضرة عربية تقع في وادٍ يلفح الوجوه بحرارته المحرقة، قائمة على رأس جبل بارد"(٢).

١) نقد المقالتين الأولى والثانية:

يستنتج الباحث من هاتين المقالتين لبروكلمان ثلاث شبهات هن:

١- أن معتقدات النبي محمد ﷺ حول اليوم الآخر مستمدة من مصادر يهودية بصورة مباشرة، ومن مصادر فارسية وبابلية بصورة غير مباشرة.

٢- أن السبب في إخفاء الرسول محمد ﷺ لموعد يوم القيامة هو عدم علمه به، مع ظنه أن القيامة على وشك الحلول.

٣- أن تصور النبي محمد ﷺ لجنة عدن أنها في مكان بارد لكونه يعيش في بيئة حارة تلفح الوجوه.

المطلب الثاني: نقد مقالات بروكلمان في عالم الغيب

الرد على الشبهة الأولى:

بداية وقبل الرد على هذه الشبهة يجب أن أثمن لبروكلمان إثباته لعقيدة اليوم الآخر على أنها من عقائد الديانة اليهودية. وهذا خلاف لما هو سائد اليوم عند كثير من الباحثين بنفي وجود هذه العقيدة في الديانة اليهودية،وممن قال بذلك النفي د.النعيم مستشهدا على ذلك بكلام بعض الكتاب والمؤلفين ممن جزموا أنه ليس في التوراة ذكر اليوم القيامة ولا البعث ولا الجنة والنار(٣).

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٦٧.
(٢) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلام، ص٦٧.
(٣) أنظر: النعيم، عبد الله محمد الامين ، الاستشراق في السيرة النبوية، ص٢٣٦.

ولعل مرد ذلك هو عدم التفريق بين وجود عقيدة اليوم الآخر والثواب والعقاب بغض النظر عن التصور في المصادر اليهودية، ومن أبرزها التوراة، وبين إيمان الفرق اليهودية بتلك العقيدة. لذا وجب التنويه ليحصل التفريق إذ إن عامة الفرق اليهودية تأول اليوم الآخر أو لا تؤمن بوجوده (١) مع ان وجوده ثابت في التوراة حيث يقول النص التوراتي: "وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك، ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت. وفي ذلك الوقت ينجي شعبك كل من يوجد مكتوباً في السفر. وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي"(٢).

لكن الذي لا يقر بروكلمان عليه هو عزو الإيمان باليوم الآخر في الديانة اليهودية إلى مصادر فارسية أو بابلية، وربطه بعقيدة اليوم الآخر عند المسلمين، أي أن مرد ذلك إلى الوثنية وهذا إطلاقاً غير صحيح وهو مما لم يقم عليه بروكلمان دليلاً يستند إليه في دعواه، أو لم يبينه ليلبس على ما سواه، وهو أن اليوم الآخر في العقيدة الإسلامية مقتبس من الديانة اليهودية التي بدورها أخذت هذا التصور عن اليوم الآخر عن طريق التأثر بالإفكار الفارسية، وبالفكرة الثنوية التي ترى أن الوجود يتكون من عالمين: عالم حاضر يحكمه الشيطان، وعالم قادم يحكمه إله الخير والنور(٣). والرد على هذه المقالة يأتي من وجوه:-

١- إن عقيدة اليوم الآخر والثواب والعقاب هي عقيده إنسانية قديمة قبل كل ما ذكر بروكلمان من اليهود أو الفرس أو البابليين. فقد ذكر أحد الباحثين أن المصريين القدماء في حفرياتهم وأهراماتهم ورسوماتهم كانوا يؤمنون بعقيدة البعث والحساب، وبحياة أخرى بعد الموت، وذلك قبل مولد إسرائيل بزهاء خمسة عشر قرناً من الزمان(٤) بمعني أن عقيدة اليوم الآخر ليست حكراً على بعض الرسالات أو الملل، بل هي عقيدة متأصلة في الرسالات البشر السماوية.

٢- أكد القرآن الكريم على أن اليهود يؤمنون باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار، ولم تنكر يهود يثرب ذلك على القرآن الكريم، قال تعالى حكاية عن اليهود: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ﴾ (البقرة: ٨٠).وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ ﴾(البقرة:١١١).

---

(١) أنظر: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٥، ص٢٧٩، الخطيب، مقارنة الأديان، ص٣٣٤.
(٢) دانيال١٢ :٣/١.
(٣) أنظر: المسيرى، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٥، ص٢٨١.
(٤) أنظر: احمد عبد الوهاب، الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ص٤٤- ٤٥.

٣- قرر عبد الوهاب المسيري في موسوعة اليهود واليهودية أن تصورات اليهود لليوم الآخر غير واضحة المعالم، كما أنهم مفترقون فرقاً شتى في تلك التصورات، حتى يصل الأمر ببعضهم إلى إنكار اليوم الآخر(١). فالعجب كيف اطلع الرسول محمد ﷺ وهو الأمي الذي لايقرأ ولايكتب على جميع تلك الفرق والتصورات واختار منها المنبثق عن التصور الفارسي، فلعله غاب عن بروكلمان أن الذي أوعز إليه بذلك هو سلمان الفارسي ﷺ (٢).

٤- إن تطابق كثير من عقائد الأديان مع بعضها لهو أكبر دليل على أن المصدر واحد وهو النبوة المنبثقة عن الوحي الإلهي، وأنها وإن اختلفت عن بعضها فقد يكون لأسباب كالتحريف أو التبديل أو النسخ في الشرائع بما يتناسب مع الزمان والمكان، فقد "جاء الإسلام يقرر أن الدين الحق واحد، هو وحي الله إلى أنبيائه، وهو عبارة عن الأصول التي لا تتبدل بالنسخ ولا يختلف فيها الرسل.. أما الشرائع العملية فهي متفاوتة بين الأنبياء، وهي هدي ما لم تنسخ"(٣).

ولعلي اقتبس من كلام يوسف العالم قوله: أصل الدين واحد فكل ما جاءت به الرسل من عند الله فهو متحد بالأصل، وهو إما ثابت لا ينسخ، ولا يتغيير ولا يتبدل بظروف الزمان والمكان، من العقائد، وعكسه ما يخضع لظروف الزمان والمكان فيعتريه التبديل والتغيير من الشرائع والمناهج(٤).

فعقيدة البعث وما فيها من التفاصيل إنما هي من عقائد الدين التي لا تتغير ولا تتبدل من لدن آدم ونوح عليهما السلام مروراً بإبراهيم وإسماعيل ويعقوب عليهم السلام وختاماً بموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

٥- إن ما يوجد من عقائد وشرائع عند أقوام كالهندوس والبابليين قد يكون مرده لأمرين: إما أنه قد يكون بعث فيهم أنبياء ورسل جاءتهم بتلك الشرائع والعقائد،حيث اختلفت آراء علماء الاديان والمؤرخين والمفسرين حول ديانتهم: هل مصدرها الوحي ام لا(٥) وإن لم نكن نعلمهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ

---

(١) أنظر: المسيري، الموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٥، ص٢٧٧-٢٨٤.

(٢)سلمان الفارسي:أبو عبد الله أصلة من رامهرمز وقيل من أصبهان أسر وبيع في المدينة، آخى رسول الله بينه وبين أبي الدرداء، توفي في خلافة عثمان على الارجح.أنظر، العسقلاني، الاصابة في تميز الصحابة، ج٢،ص٦٠-٦١.

(٣) مصطفى عبد الرازق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، ص٢٧٥.

(٤) أنظر: العالم، د. يوسف حامد، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط٢، ١٤١٥هـ ١٩٩٣م، ص٢٣.

(٥) أنظر:الموحي،عبدالرزاق رحيم، صلال،العبادات في الاديان السماوية –اليهوديه –المسيحيه – الاسلام ،ص٤٣.

ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (غافر: ٧٨) فقد جاء عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ من أمر الجزية أن رسول الله أخذها من مجوس هجر[١].فالمقصود من إيراد هذا الحديث أن النبي ﷺ لم يلحق المجوس باليهود والنصارى في الجزية إلا أن لهم شبهة أنهم أهل كتاب سابق كما ذكر ذلك عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ [٢].او أنهم قد تأثروا بدعوات الرسل مثل نوح وإبراهيم عليهما السلام، فكان منها ما بقي كما هو، ومنها ما حرف وبدل وغير.

٦- إن تفاصيل اليوم الآخر في الديانات الفارسية أكثر شمولية ووضوح من الديانة اليهودية[٣].كما أن الرسول ﷺ قد قرر كثيراً من تفاصيل اليوم الآخر وهو في مكة، أي قبل التقائه باليهود أو التعرف على سلمان الفارسي ﷺ، كما أثبت ذلك بروكلمان في مقالته:"وفي مكه دارت فكرات محمد الدينية اول مادارات على محور الآخرة" [٤].

٧- إن عامة التفاصيل التي استقاها اليهود من الفرس أو البابليين حول اليوم الآخر من وجود عالمين وإلهين ونور وظلام..إلخ هي من التعاليم التي تخالف ما جاء به رسول الله ﷺ وقرره [٥].

٨- إن الدين الإسلامي ليس بدعاً في تقرير عقيدة البعث والجزاء في الآخرة، فقد سبقت الإشارة إليها في الرسالات السابقة له كاليهودية والمسيحية، فضلاً عن القرآن الكريم الذي جاء فيه إنذار جميع الأنبياء لأتباعهم بالبعث والحساب"[٦]. مع أن ما تفرد به محمد ﷺ حول اليوم الآخر هو هو كثرة التفاصيل التى لم ترد في الديانات اليهودية أو النصرانية "وعلى وجه الخصوص الديانة الفارسية ولمعرفة تلك التفاصيل والجزئيات مراجعة المصادر الإسلامية"[٧].

ومن الأخطاء المنهجيه في الرؤية الاستشراقية عندما تلتقي الأفكار الإسلامية مع غيرها من اليهودية أو النصرانية أنه لا ينظر إليها من ناحية دينية تؤكد وحدة المنبع دائماً، وإنما يدرجونها في صراع الأديان، حتى إنهم يذهبون إلى أبعد من ذلك بتفتيشهم في الديانات الوثنية والمذاهب الفلسفية[٨]." فهم يدرسونها باعتبارها ديانات منفصل بعضها عن بعض لا يربط بينها رابط"[٩].مع رابط"[٩].مع أن الباحث المسلم يؤكد أن الأديان مصدرها واحد هو الوحي الإلهي، مستنداً في ذلك على مصادره الشرعية.

---

(١) البخاري، كتاب الجزية والموادعة، ٥٨ باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، ج٧،ص٣١٥.
(٢) أنظر: العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٦، ص٣٠٢.
(٣) أنظر: د يورانت، قصة الحضارة، ج٢، ص٤٣٤- ٤٣٥.
(٤) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٦٧.
(٥) أنظر: المسيرى، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ص٢٨١.الشهرستاني،الملل والنحل،ص ٢٩٢.
(٦) موسوعة بيان الإسلام، قسم القرآن الكريم، ج٥، ص٦٤.
(٧) أنظر: حافظ حكمى، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، ج٢، ص٦٨١.
(٨) أنظر: النعيم عبد الله محمد الامين، الاستشراق في السيرة النبوية، ص٥٣٩.
(٩) النعيم، عبد الله محمد الامين، الاستشراق في السيرة النبوية، ص٢٢٤.

٢- الرد على الشبهة الثانية:

يزعم بروكلمان أن النبي ﷺ في بداية أمر الدعوة كان يظن أن الساعة على وشك الحلول... إلخ وهنا أُصحح هذه المقالة من وجوه، هي:

الأول: أنها معلومة ناقصة فإن النبي ﷺ لا يظن بل يعتقد اعتقاداً جازماً أن الساعة على وشك الحلول في بداية دعوته ووسطها وآخرها كما سأثبت ذلك بالأدلة.

الوجه الثاني: أن نتيجة بروكلمان التي توصل إليها في هذه المقدمة نتيجة خاطئة جداً فإن سبب إخفاء الرسول ﷺ لزمن وقوع الساعة إنما يعود لعدم علمه بموعد قيامها، وليس لأنه كان يعتقد أنها على وشك الحلول ثم تبين له بعد خلاف ذلك، لذا تجاهل ميقاتها.

الوجه الثالث: الطعن في نبوة الرسول ﷺ لأنه أخبر بأمور ستحصل ولم تقع كما تنبأ بقيام الساعة في حياته ﷺ وذلك من خلال إخباره بعلامات قيامها[١].

أ- الرد على الوجه الأول:

قال تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ ﴾(القمر: ١٠) "يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها"[٢]، " إقتربت " أي قربت... فهي بالإضافة إلى ما مضى قريبة، لأنه قد مضى أكثر الدنيا"[٣].

هذا فيما يخص النص القرآني، الذي لا يحدد موعد الساعة، وإنما فيه تحذير للمؤمنين من أجل الاستعداد لقرب وقوعها.

وكما هو النص القرآني النص النبوي، الذي يثبت فيه رسول الله ﷺ أن الساعة قريبة فعن أبي هريرة ﷺ عنه أن رسول الله ﷺ قال " بعثت أنا والساعة كهاتين" يعني: أصبعين[٤].

وفي رواية بلفظ: سمعت رسول الله ﷺ يشير بإصبعيه التي تلي الإبهام والوسطى وهو يقول: " بعثت أنا والساعة هكذا "[٥].

فمن خلال الوحيين القرآن والسنة يعلن رسول الله أن الساعة أصبحت قريبة وعلى وشك الحلول، وأن قضية اقتراب وقوع الساعة أمر، ووقوع الساعة أمر آخر، حيث قام بروكلمان بخلطهما معا ليضل بهما كأداة من أدوات الاستشراق في خلط القضايا لإرباك ذهن المتلقي، وذلك من خلال وضوح دعوى الشبهة وضبابية المعلومة التي قامت عليها.

---

(١) أنظر: موسوعة بيان الإسلام، قسم ١ القرآن الكريم، ج ٥، ص١٧٤.
(٢) ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص٢٦٠.
(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص١٢٥.
(٤) البخاري، كتاب الرقائق، باب بعثت أنا والساعة كهاتين، ح٦٥٠٣،ج٨ ،ص١٠٥،.
(٥) مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب قيام الساعة، (٧٥٩٢).

ب- الرد على الوجه الثاني:

كما أسلفنا أن بروكلمان قد خلط بين أمرين ليلبس على القارئ، وهما أمر اقتراب قيام الساعة، وموعد قيام الساعة، ويفصل الباحث بينهما ليكون المعنى واضحاً في ذهن القارئ حتى لا يلتبس عليه الأمر، فالرسول ﷺ وبكل وضوح يبين أن الساعة قريبة وقد اقتربت كما مر معنا ذلك في الاستدلال من القرآن الكريم والسنة النبوية، وكما أن موعد قيام الساعة غيب لا يعلمه إلا الله جل وعلا.

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (الاعراف:١٨٧)

فهنا الجواب الرباني " مبيناً لنا أن وقتها من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله"(١). فعلم الساعة علم اختص الله به لنفسه، فلم يطلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، ولم يدّعِ النبي ﷺ بمعرفته وإنما أخبر ببعض علامات قيام الساعة، ولم يحدد وقت قيامها لأنه علم غيب اختص الله به لنفسه جلا وعلا"(٢).

ج- الرد على الوجه الثالث:

إن شبهات المستشرقين في العموم يكتنفها الغموض وعدم الوضوح؛ فبروكلمان لم يبين لنا على وجه التحديد مغزاه من هذه المقولة، مما يلزمني أن افترض افتراضات بينت بعضها فيما سبق، وأبين ما بقي منها لعل وعسى أن تكتمل الصورة، ويفهم المعنى، ويرد على المغزى، فلعل بروكلمان استهدف أمرين هما: أن الرسول ﷺ قد ادعى علم الساعة لأن عدم معرفته بذلك هو قدح في صدق نبوته، والسؤال من أين جاء بروكلمان بهذا الادعاء؟ والقرآن الكريم والسنة النبوية يؤكدان بالأدلة القطعية أن علم الساعة غيب لا يعلمه إلا الله جلا وعلا. فنقول القوم يفترون ويكذبون بشكل صريح واضح، أو أنهم يأتون إلى نصوص شرعية تحتاج إلى تفسير فيخلطون المعنى السليم بالمعنى السقيم، وبطرقهم المعهودة المعلومة فهم قد جاؤوا إلى أحاديث نبوية في الساعة الصغرى فجعلوها في الساعة الكبرى بغير ما دليل أو برهان فمن ذلك من الأحاديث كمثال ما يأتي:

---

(١) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكه، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط١٧، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٦م، ص٥٤٢.

(٢) أنظر: موسوعة بيان الإسلام، قسم ١، ج٥، ص١٧٤- ١٧٥.

١- عن أنس ﷺ أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى تقوم الساعة ؟ وعنده غلام من الأنصار، يقال له محمد، فقال رسول الله ﷺ " إن يعش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة "[١].

٢- عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رجال من الأعراب جفاة يأتون النبي ﷺ فيسألونه: متى الساعة ؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم"[٢].

ففي حديث أنس ﷺ " تقوم الساعة " وفي حديث عائشة رضى الله عنها: " حتى تقوم عليكم ساعتكم" يعني موتكم فحديث عائشة رضى الله عنها يفسر حديث أنس ﷺ وأن المراد هو ساعة المخاطبين[٣]. أي موتهم.

ثم أنه لا بينة لمن ترك المعنى القريب لهذه الأحاديث وهي الساعة الصغرى ويقصد بها إما موت الأشخاص أنفسهم أو هلاك القرن نفسه[٤]، وذهب إلى المعنى البعيد وهو قيام الساعة الكبري إذ يدل على بطلان ذلك ما يأتي:-

١- أن إخبار النبي ﷺ بالأدلة القطعية سواءً من القرآن أو السنة أن علم قيام الساعة الكبرى هو مما استأثر الله به لنفسه قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ (لقمان: ٣٤) فكيف ينقض هذا القول بقول آخر

٢- إخبار النبي ﷺ عن أمور هي أطول من أعمار الرجال ستكون قبل قيام الساعة، فكيف سينقضها بقول آخر يربط به قيام الساعة الكبرى بعمر غلام صغير.

٣- رد الرسول ﷺ على الأعراب بحسب نفسيتهم وتركيبتهم الاجتماعية فهم مجبولون على حب العجلة لذا نقلهم النبي ﷺ من المعنى البعيد وهو الساعة الكبرى، التي قد تكون بمنظور الأعراب بعيدة جداً إلى المعنى القريب وهو الساعة الصغرى، هي من القرب بحيث تقاس بعمر الرجال.

٤- أن الهدي النبوي في إجابة السائل عندما يُسئل عن أمر عام لا يخصه، فإنه يجيبه بأمر خاص يخصه وينفعه، فالأعراب عندما يسألون عن القيامة الكبرى، فإن هذا لا شأن لهم به إنما شأنهم في قيامتهم الصغرى.

---

(١) مسلم، باب قرب قيام الساعة، ح٥٣٨٣.
(٢) البخاري، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، ح٦٥١١.
(٣) أنظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج٨، ص٣٧١، النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٨، ص٩٠.
(٤) أنظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١١، ص٣٧١.

٥- الرسول ﷺ يجيب على قدر حاجة السائل وعلمه كما في رده على جبريل عليه السلام عندما سأله عن الساعة فأجابه، بقوله ﷺ: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل"(١).

التشابه الكبير بين الساعة الصغرى والكبرى من وجوه كثيرة من أبرزها انكشاف عالم الغيب لعالم الشهادة، وانتهاء أجل الإنسان وحياته، وانتهاء حياة الناس بالساعة الكبرى.

٣- الرد على الشبهة الثالثة:

إن مقالة بروكلمان حول الجنة(٢)، بأن النبي ﷺ قد تمثلها على رأس جبل بارد(٣)،تصلح لبيان المنهج الاستشراقي حول رؤيته لرسالة النبي محمد ﷺ أكثر من الرد عليها وتفنيدها، والذي لن يأخذ كبير عناء من الباحث سوى النفي، وأن هذه المقولة هي كذبة استشراقية أخرى تضاف إلى قواميس الكذب والافتراءات إذ أن المتتبع لصفة الجنة في القرآن الكريم والسنة النبوية لن يجد فيها نصاً واحداً يقول بأنها على رأس جبل بارد، كما أن دائرة المعارف الإسلامية عرفت الجنة بالاسم الذي يطلقه القرآن على مقام المقربين، ولم تورد أنها على رأس جبل بارد برغم أنها استوفت في الغالب أوصاف الجنة(٤).

فحبذا لو أن بروكلمان لما قال مقولته المذكورة أسندها إلى آية قرآنية أو حديث نبوي حتى يتم إثبات أنه قالها، وهو بلا شك غير مستطيع إلى ذلك سبيلاً، لأن القرآن محفوظ وغير محرف بالدليل القطعي، بحيث أنه لا مجال لمقارنة القرآن الكريم من ناحية صحة الثبوت بكتاب العهد القديم والجديد – التوراة والانجيل- إطلاقاً.- وأما إن كان الحديث عن السنة النبوية فهي محفوظة بعلم الحديث الذي تتفرع منه تسعة علوم كل علم مستقل بذاته ويحفظ به جزء من أجزاء الحديث النبوي بمعنى أن حديث رسول الله ﷺ محفوظ خلف تسعة أسوار من أسوار العلوم الإسلامية المحكمة المتقنة المتفق على قواعدها فهي تخضع لضوابط دقيقة من التمحيص والتدقيق، ولو اخذنا مثالاً على علم واحد من تلك العلوم وهو علم الرجال حيث ينقل النملة عن أحد المستشرقين قوله: إنه لم يكن من الأمم السالفة أو المعاصرة أمة جاءت بمثل ما جاء به المسلمون من علم الرجال وهو علم خطير يتناول أحوال زهاء خمسمئة ألف من الرجال وشئونهم(٥).

كما أنه لا يصلح مقارنة صحة السنة بصحة الكتاب المقدس الذي لا يصلح أن يعادل بالسنة النبوية، وإنما يعادل كل حديث نبوي واحد بمتنه وسنده مع كامل الكتاب المقدس من أجل مقارنة

---

(١) البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام، ح٥٠،ج١، ص١٩،.

(٢) الجنة:يوم الدين دار النعيم، ومأوى المؤمنين، وهي مراتب ودرجات.أنظر، حبنكة، العقيدة الاسلامية وأسسها، ص ٥٦٧.

(٣) أنظر: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٦٧.

(٤) أنظر: دائرة المعارف الإسلامية، ج١١، ص٣٢٤٠ – ٣٢٤٣.

(٥) أنظر: النملة، على بن إبراهيم، مراجعات في نقد الفكر الاستشراقي حول الإسلام والقرآن والرسالة، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ٢٠١٤، ص١٥٩.

الصحة والثبوت، إنه عبء ثقيل حمله جهابذة علماء الإسلام لمثل هذا القول، قدراً من الله جل وعلا وسبباً لحفظ المصدرين للرسالة الخالدة، كل ذلك لنثبت لبروكلمان ولغيره أن الحديث عن الجنة وهي من عالم الغيب إنما جاءنا من هذين الطريقين المحفوظين عن النبي محمد ﷺ رداً على المنهج الاستشراقي حول رؤيته لنبوة محمد ﷺ ولعقائد وشرائع الإسلام، إذ أن هدفه ليس الوصول للحقائق العلمية بقدر ما هو ترويج أكبر قدر من الكذب والتزوير والتحريف بهدف التشكيك، ثم رد الديانة الإسلامية بشكل كامل. إذ أن مسألة الاستشراق في الغالب ليست في قضايا محددة في الدين الإسلامي، أو أحداث معينة في نبوة محمد ﷺ، بل ذلك كله يراد منه نسف الشريعة الإسلامية نسفاً، وإلغاء نبوة محمد ﷺ إلغاء، آلاف المستشرقين، والمؤلفات، والموسوعات، والشبهات، والافتراءات، تساندها –زعما- جيوش الرب التي تحمل الصليب كما بالامس هو اليوم من أجل هذا الهدف، وتبقى نبوة محمد ﷺ وعقيدته وشرائعه حية محفوظة يعمل بها، يقول الندوي: إن المستشرق في منهجه يقوم بتعيين غاية يقررها في نفسه ثم يبدأ يجمع لها من المعلومات من كل رطب ويابس مما لا علاقة له أو له علاقة من كتب التاريخ والأدب والشعر والمجون والفكاهة مهما كانت تافهة ثم يبنون عليها ما يبنون من المغالطات التي لا وجود لها إلا في أذهانهم(١).

إن بروكلمان بطرحه لمسألة الجنة قد يهدف لإنكار الجنة بدعوى أنها غيب وأن جميع ما فيها هو نعيم حسى إلى آخر ما يخطر بخلده، ويدور في عقله، وتوسوس له نفسه، ففيما يخص مسألة وجود الجنة وكيف نثبتها وهي من عوالم الغيب فإن هذا مما لا شك فيه سؤال مطروح ومشروع.

ويمكن أن نرد على ذلك بأن الإيمان بالغيب يبنى بعضه على بعض بمعنى أننا لا نحتاج إلى إثبات اليوم الآخر والبعث والحساب والجزاء والجنة ما دامنا نؤمن بنبوة محمد ﷺ أو غيره من الأنبياء، فهم من أخبرني وأثبت لي كل ما يخص يوم البعث، وما بعده، فما دمت أني أصدقهم بالنبوة، والتي أقاموا الحجة على صدقها، فإن جميع الحجج التي تثبت النبوة تصلح لأن تثبت صدق ما جاء به النبي كالبعث والجزاء والحساب والجنة... إلخ وهكذا إلى أعلى المغيبات كالوحي ووجود الله جل وعلا، فما دام أن النبي قد ثبت صدقه بالادلة القاطعة ومنها المعجزة فإن كل ما جاء به فهو حق.

وإن أردت أن أدير بوصلة الحوار إلى جهة أخرى حول وجود الجنة فإني سأتوجه إلى المصدر الذي أخبرني بوجود جنة عدن وهو القرآن الكريم مثالاً فهذا المصدر أخبرني بأخبار كثيرة، والخبر(٢) هو ما يحتمل الصدق أو الكذب فالسؤال هنا – هل صدق القرآن الكريم بكل ما أخبر؟ فإن كان الجواب نعم فإني سأصدقه بخبر الجنة لأنه صادق ولم يكذب، وإن كان العكس فالعكس،

(١) أنظر: الندوى، أبو الحسن على الحسني، الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص١٦.

(٢) الخبر: النبأ، وأخبره: أنبأه ما عنده، القاموس المحيط، باب الراء، فصل الخاء، ص٤٨٨.

والنتيجة أني سأقول لمن كذَّب ولم يصدق بخبر أو أخبار القرآن الكريم أو شك أو شكك جئني بخبر واحد لم يصدق فيه القرآن الكريم مما وقع ليكون لك حجة في التكذيب أو الشكيك، أما أني سآتي إلى مصدر هو صادق في كل ما يقول فأكذبه بمقولة واحدة بدعوى أنها غيب لا تدركه قدراتي المعرفية فهذا ظلم في المعرفة وللمعرفة.

إن كثيراً مما في الكون لا ندركه وهو ثابت وجوده وكنا في السابق ننكره وننكر على من يصدق به ككروية الأرض ودورانها، وجريان الشمس ومسيرها... إلخ. كل ذلك أخبر به القرآن الكريم وصدق، وكذبته أدواتنا في المعرفة ولم تصب، فهل يقبل تصديق المخطئ؟ وتكذيب المصيب؟

وأخيراً أيها المنكر للجنة وهي غيب لا أسالك هل الجنة موجودة أم لا؟ وإنما أسئلك لماذا قدراتك المعرفية لم تستطع أن تتوصل إلى معرفة كثيرٍ من مغيبات هذا الكون ومنها الجنة؟

إن ما جاء في القرآن الكريم " لم يتعارض – على وفرة نصوصه التي تناولت العلم الطبيعي- مع آية حقيقة علمية ثابتة، ولقد أوغل العلم الطبيعي بعيداً في ميدان الأنفس والآفاق، وحدد أشياء كثيرة، وكشف مزيداً من الحقائق، ومع كل ذلك لم يقدم حقيقة واحدة تتنافى ما ورد في الوحي الذي جاء به النبي ﷺ خلافاً للتراث البشري والديني غير الإسلامي، على حدٍ سواء، فقد تزعزعا أمام العلم الطبيعي الحديث، وانكشف عوارهما بتناقضهما مع العلم في كثير من القضايا"[١].

" وبالنظر إلى حال المعارف في عصر محمد ﷺ لا نستطيع أن نفهم بأن كثيراً من الأخبار القرآنية التي لها سمة علمية يمكن أن تكون عمل إنسان ولذلك فإن المشروع ليس بأن يعتبر القرآن تعبيراً لوحي فقط، بل بأن يعطي مركزاً ممتازاً لما يتمتع به من الأصالة الفريدة، ولوجود أخبار علمية لديه ظهرت كتحد للتفسير الإنساني"[٢].

وأخيراً فمن خلال الغيب المرتبط بعضه ببعض في قضية إثباته، ومن خلال صدق المصدر بكل ما يقول وهو القرآن الكريم والسنة النبوية، ولم يعهد عليها الإخبار بخلاف الواقع في كل ما أخبرا به، ومن خلال صدق المصدر في الصحة ودقة النقل، وقطعية الثبوت، فإنه لا يسع الباحث المنصف إلا أن يسلم بوجود جنة عدن ولو على رأس جبل بارد، أو معلقة في كوكب دائر، لأن العقل البشري ليس حكماً على قدرة الله جل وعلا المنشئ لهذا الكون لأنه يحار بكثيرٍمن ظواهره وبصره لا يرى كثيراً مما يحدث فيه، وسمعه لا يسمع شيئاً من حركته. فهل يستطيع بروكلمان أن يثبت أن الأرض تدور وتتحرك بغير صوت؟ والشمس تسير وتستعر بغير هدير؟ أم سينكره لأنه لا يسمعه، كما يسمع قرع نعليه، أو نباح كلبه، مما يدخل ضمن قدراته الإدراكية المحدودة.

---

(١) موسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات،القرآن الكريم، ج ٧، ص٨٤.
(٢) موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص٢٩٣-٢٩٤.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبي خاتم الرسالات وعلى إخوانه النبيين وعلى آله وصحبه الطاهرين، وبعد:

أولاً: النتائج:

هذه أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث:

١. تفوق الدراسات الاستشراقية الألمانية على غيرها من مدارس الاستشراق كماً و كيفاً، وقد كان لبروكلمان النصيب الأكبر منها.
٢. يؤخذ على بروكلمان عدة أمور، أبرزها:

- تجاهله للمصادر العربية والإسلامية المعتمدة.
- استخدامه للمنهج الإسقاطي في إثبات شبهاته.
- استدلاله بالروايات الضعيفة.
- استخدامه للمغالطات المنطقية في استدلاله.
- مجاملته للكنيسة وللغرب في تحاملهم على الدين الإسلامي.

ثانياً: التوصيات:

١. أن تقوم الجامعة الأردنية بإنشاء مركز متخصص لدراسة الاستشراق والرد على شبهاته، فهي خير من يقوم بمثل هذا المشروع خدمة لدين الله ولما تمتلكه من كوادر علمية.
٢. توجيه طلاب كلية الشريعة لكتابة رسائل جامعية حول دراسة الاستشراق والرد عليه.
٣. استقطاب طلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي لدراسة الاستشراق في الجامعة الأردنية، والبحث عن ممولين لمثل هذا المشروع.

وهكذا فقد تمت هذه الرسالة بحمد لله ومنته،فما كان فيها من صواب فبفضل الله وتوفيقه وماكان فيها من خطأ أو زلل فمن نفسي والشيطان ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى إخوانه النبيين وعلى آله وصحبه وسلم.

الملاحق

ملحق قائمة الآيات القرآنية

الآية	الصفحة
﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ ﴾ (البقرة: ٢٥٨)	٤
﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ ﴾ (الأنعام: ٧٨)	٤
﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾ (الروم:٣٠)	٣٥
﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ ﴾ (البقرة: ٣١: ٣٣).	٣٦
﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١ ﴾ (العنكبوت ٦١:٦٣).	٣٨
﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ٦٧ ﴾ (الإسراء: ٦٧).	٣٨
﴿ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (النساء:٤٣)	٤٠
﴿ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ (النساء:٤٣).	٤٠
﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ (الزمر:٣).	٤١
﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥ ﴾ (العنكبوت:٦٥)	٤٣
﴿ وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤ ١١ ﴾ (الضحى : ١-١١)	٧٠، ٧٢
﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي	٧١

الآية	الصفحة
سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (يوسف:٤)	
﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ (مريم:١٢)	٧١
﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ (مريم:٢٩-٣٠).	٧١
﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴿١٩﴾ ﴾ (العلق١-١٩)	٧٤
﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ (النساء:١٦٣)	٧٨
﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (النحل:٦٨)	٧٨
﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ (يونس:١٥-١٦)	٨١
﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾ (غافر: ٣٠ -٣١)	٨٣
﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الاحقاف:٣٠)	٨٤
﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ (الاحقاف:٩)	٨٤
﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (النمل:١٤).	٨٥

الصفحة	الآية
٨٦	﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (يونس:٩٠).
٨٧	﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة:٢).
٨٩	﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الاسراء:٨٥).
٨٩	﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾. (البقرة:٢١٦)
٩١	﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الانعام:١١٥)
٩٢	﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾، (الروم:٣٠)
٩٥	﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (ال عمران:٨١)
٩٧	﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ (التين:١-٣)
١٠١	﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾ (المائده:٣).
١٠٢	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾ (البقرة:٢٦٠).
١٠٢	﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ ﴾ (العنكبوت:٤٩).
١٠٢	﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ (سبأ:٩)
١٠٨	﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (النحل:١٠٣)

الآية	الصفحة
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ (.الاسراء:٨٨)	١٠٩
﴿ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الطور:٣٣-٣٤)،	١٠٩
﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (هود؛١٣)،	١٠٩
﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (البقرة:٢٣)،	١٠٩
﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ ﴾ (الكهف:١٠٩)	١١٠
﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحشر:٢١).	١١٠
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (فصلت:٢٦)	١١٢
﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (البقرة:٣-٥).	١١٣
﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (الروم:١-٤).	١١٣
﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۢ ﴾ (المسد:١-٥).	١١٤

الآية	الصفحة
﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾ (يس:٣٨).	١١٤
﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ ﴾ (الزمر:٥).	١١٥
﴿ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ (النازعات:٣٠)	١١٥
﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾ (النحل:١٠٣).	١١٦
﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴾ (النساء:١٥٧)	١١٧
﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾ (النجم:١٩-٢٠)	١٨
﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون: ١-٥).	١٢٠
﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ (النجم:٢٦).	١٢٠
﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾ (الزمر:٣٨).	١٢٥
﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ (النحل:٣٦).	١٢٥
﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢ ﴾ (المائده:٨٢-٨٣)	١٢٦
﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ (الاسراء:١)،	١٢٧

الصفحة	الآية
١٢٧	﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:٨).
١٣١	﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ ﴾ (المسد:١-٢).
١٣١	﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ (الكافرون: ١-٥)
١٣٥	﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الاسراء:١).
١٤٤	﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (الرعد: ١٦).
١٤٥	﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾(الإنسان: ٣٠).
١٥٥	﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ (الإخلاص: ١-٤)
١٥٥	﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ ﴾ (الأنعام: ٣١)
١٥٦	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾(الشورى:١١)
١٥٦	﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ ﴾(الفتح: ١٠)
١٥٦	﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ (فصلت: ١١)
١٥٦	﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾ (البقرة: ٢٤٥).
١٦٣	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝٧٨ ﴾ (غافر: ٧٨)

الصفحة	الآية
١٦٤	﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾(القمر: ١٠)
١٦٥	﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨٧ ﴾ (الاعراف:١٨٧)
١٦٦	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ (لقمان: ٣٤)

ملحق قائمة الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
إدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصةُ إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت.......	١٠٥
إن أول من سيب السوائب، وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر، وإني رأيته يجر أمعاءه في النار	٣٨
إن رسول الله ﷺ قال: إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين.	١٣١
إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه،فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله عز وجل	٩٠
إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة	٨٢
أن يهودا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل.......	٤٨
إنما الأعمال بالنية، وإنما لكل أمرٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسولة فهجرته الى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدينا يصيبها أو أمراة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه	٥٢
أول ما بُدئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح	٧٩

الصفحة	الحديث
٧٩	لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له
٤٥	لما بعثه رسول الله ﷺ لهدم صنم العزى، وجد عندها امرأة حبشية شمطاء، نافشة شعرها، تصرف بأنيابها وخلفها سادنها ثم ضربها ففلق رأسها، فإذا هي حممة ثم قتل السادن.....
٩٩	اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك في صاعها ومدها، وأنقل حمّاها فاجعلها بالجحفة
١٣٢	من شاء صامه ومن شاء تركه
١٢٦	وفي السنة لما عاد رسول الله ﷺ تحدث بذلك في أهله، فقالت له أم هاني بنت أبي طالب: لا تتحدث بهذا، فوالله لا صدقك الناس، وليكفرن بك من آمن بك، .....
١٣٩	يا عمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله فقال: يا رسول الله، ألست برسول الله؟ قال: بلى: قال: أولسنا بالمسلمين ؟...

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الحديث النبوي الشريف.

إبراهيم، زكريا، **مشكلة الحرية**، ط٢، مكتبة مصر.

احمد رضا (١٣٧٧هـ ١٩٥٨م)، **معجم متن اللغة** ، بيروت: دار مكتبة الحياة .

أحمد عبد الوهاب (١٤١٩هـ ١٩٩٨م)، **الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف**، ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة.

أحمد، عزمي طه السيد(٢٠١٥ م)، **مدخل إلى علم المنطق، عالم الكتب الحديث**، ط١، اربد، الأردن.

ابن أبي العز الحنفي، علي بن علي بن محمد، **شرح العقيدة الطحاوية**، ط٣٠، (تحقيق:عبد الله التركي وشعيب الأرناووط)، مؤسسة الرسالة، دمشق.

ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ط٦، دار الكتاب العربي، بيروت.

الإدريسي، أبو يحيى زكريا بن يحيى الشريف، **أبكار الافكار العلوية**، ط١،دار مكتبة المعارف، بيروت.

إدوارد، سعيد (٢٠١٠م)، **الإستشراق المعرفة – السلطة الإنشائية** ، ط٨، (ترجمة كمال أبو ديب)، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

ارفنغ، واشنغتون(٢٠١٤م)، **حياة محمد سيرة نبي الإسلام**، ط١، (ترجمة : على الخربوطلي)، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.

الأزهري، أبومنصور محمد بن أحمد، **معجم تهذيب اللغة**، ط١، (تحقيق: رياض زكي قاسم)، دار المعرفة، بيروت.

الاشعري، **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع**، مكتب الخانجي، القاهرة.

الاشقر، عمر، **الرسل والرسالات**، ط١٤، الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

الأعسم، عبد الأمير(٢٠١١م)، **دراسات في الاستشراق**، ط١، دمشق: دار الفرقد، دمشق.

الألباني، محمد ناصر الدين (١٩٩٦)، **نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق**، ط٣، عمان: المكتب الإسلامي.

بخيت، محمد حسن مهدى(٢٠١٤م)، **ابن رشد وفلسفته الالهية**، ط١، اربد: عالم الكتب الحديث.

بدوى، عبد الرحمن (١٩٩٣م)، **موسوعة المستشرقين**، ط٣، بيروت: دار العلم للملايين، بيروت.

بروكلمان، كارل (١٩٩٣م)، **تاريخ الادب العربي**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بروكلمان(٢٠١٢م)، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ط١، (ترجمة: نبيه أمين ومنير بعلبكى)، بيروت: دار العلوم للملايين.

بن يار محمد، شمس العالم (٢٠١٢م)، **الاستشراق والمستشرقون**، رسالة ماجستير غير منشورة، كراتشي، باكستان، باكستان.

بنى عامر، أحمد أمين (٢٠٠٤م)، **المستشرقون والقرآن الكريم**، ط١، اربد: دار الأمل للنشر والتوزيع، اربد.

البهي، محمد (٢٠٠٧م)، **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة.

البوطي، محمد سعيد رمضان (٢٠١٣م)، **كبرى اليقينيات الكونية**، ط٣٣، دمشق: دار الفكر.

بوكاى، موريس، **التوراة والأنجيل والقرآن والعلم**، ط٣، (تحقيق: حسن خالد)، بيروت: المكتب الإسلامي.

تاج، محمد قدور، **الاستشراق ماهيته، فلسفته ومناهجه**، ط١، عمان: دار الرواد، مكتبة المجتمع العربي.

الترمذي، **كتاب صفة الرقائق والورع**، باب الورع والتوكل.

التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ،شركة ماستو ميديا،القاهرة.

ابن تيمية، **العبودية**، ط٦،المكتب الإسلامي، بيروت.

ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** ، مطابع المجد التجارية.

ابن تيمية، **كتاب النبوات** ، ط١، (تحقيق: عبد العزيز الطوبان)، مكتبة اضواء السلف، الرياض.

ابن تيمية، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام**، جمع عبد الرحمن بن قاسم، مكتبة المعارف، المغرب.

التهانوي الفاروقي ، محمد بن علي ،**كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم الاسلامية** ،دار صادر ،بيروت.

الجابري، صلاح (٢٠٠٩م)، **الاستشراق قراة نقدية**، ط١، دمشق: دار الأوائل للنشر والتوزيع.

الجبري، عبد المتعال محمد، **الاستشراق وجه الاستعمار الفكري**، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة.

الجبري، عبد المتعال محمد (١٩٨٨م)، **السيرة النبوية وأوهام المستشرقين**، ط ١، القاهرة: مكتبة وهبة.

ججا، ميشال، الدراسات **العربية والإسلامية في أوروبا معهد الإنماء العربي**، ط١، بيروت.

الجرجاني ،علي بن محمد ،**التعريفات** ، ط٢، دار المعرفة ،بيروت.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، **دلائل الاعجاز**، ط٣، (تحقيق: محمود محمد شاكر)، مطبعة المدني، القاهرة.

جريس، غيثان على، **افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية**، ط٣، جدة ، السعودية.

الجزيرة الوثائقية، برنامج ترحال في خريف العمر.

الجنابي، أمجد يونس(٢٠١٥م)، **آثار الاستشراق الالماني في الدراسات القرآنية**، ط١، الرياض: مركز تفسير للدراسات القرآنية.

جون ماك آرثر (٢٠١٢م)، **تفسير الكتاب المقدس** ، ط٢، مصر: دار منهل الحياة.

الحاج، ساسى سالم (٢٠٠٢م)، **نقد الخطاب الاستشراقي**، ط١، بيروت: دار المدار الإسلامي.

ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ط١، القاهرة: دار الريان للتراث.

حكمي، حافظ بن أحمد، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد**، ط١، الدمام: دار ابن القيم للنشر والتوزيع.

الحموي، أبو عبد الله ياقوت، **معجم البلدان**، ط٢، دار صادر، بيروت.

حوى، سعيد(٢٠١٠م)، **الرسول ﷺ**، ط٩، مصر: دار السلام للطباعة والنشر.

أبو خاطر، هنري(١٩٨١م)، **نظرات في الحتمية والجبرية والحرية**، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع.

خضر شايب (٢٠٠٢م)، **نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر**، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان.

الخضيري، زينب محمود (١٩٨٥م)، **أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى**، ط٢، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.

أبوخليل، شوقي ، **الإسلام في قفص الاتهام**، ط٥، سورية: دار الفكر.

الخطيب، محمد أحمد (٢٠٠٤)، **مقارنة الأديان**، ط٣، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

دائرة المعارف الإسلامية، ط١، الإمارات: مركز الشارقة للإبداع الفكري.

دراز، محمد عبد الله(٢٠١٠م)، **الدين**، ط٣، الكويت: دار القلم.

دراز، محمد عبد الله (٢٠١٣م)، **النبأ العظيم**، ط٢، مصر: المكتبة التوفيقية.

درمنغم، إميل(٢٠١٤م)، **حياة محمد في عيون مستشرق**، ط١، (ترجمة عادل زعيتر)، الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع.

ديورانت، ول وايريل (٢٠١٠م)، **قصة الحضارة**، بيروت: دار الجيل.

روبين حسين (٢٠٠٩م)، **معجم النفائس المدرسي اختصار وتهذيب**، ط١، بيروت، دار النفائس.

رودي بارت(١٩٦٧م)، **الدراسات العربية الاسلامية في الجامعات الالمانية**، (ترجمة مصطفى ماهر)، القاهرة: دار الكتاب العربي.

روهلنج ،شارل لوران (٢٠١١م)، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، ط٢، (ترجمة د.يوسف حنا نصر الله)، مصر: العالمية للكتب والنشر .

ابن رشد، أبو الوليد محمد، **تهافت التهافت**، ط٥، (تحقيق سليمان دنيا)، دار المعارف، القاهرة.

الزرقاني، محمد عبد العظيم، **بيان الفرقان في علوم القرآن**، ط١، (تحقيق: فوزان حمد تركي)، دار الكتاب العربي، بيروت.

الزركلي، خير الدين (١٩٨٦م)، **الأعلام**، ط ٧، بيروت: دار العلم للملايين.

زقزوق، محمود حمدي (٢٠٠٨م)، **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

زكريا، إبراهيم، أبو حيان التوحيدي، **أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء**، القاهرة: مكتبة مصر.

الزيني، محمد عبد الرحيم(٢٠١٣م)، **الاستشراق والمستشرقون رؤية موضوعية**، ط١، مصر: دار اليقين للنشر والتوزيع.

سامح محمد إسماعيل، **الله والإنسان دراسة في الجبر والاختيار**، القاهرة: دار دال للنشر والتوزيع.

السامرائي، فاضل صالح (٢٠١٥م)، **نبوة محمد ﷺ من الشك إلى اليقين**، ط١، بيروت: دار بن كثير للطباعة والنشر.

السامرائي، قاسم(١٩٨٣م)، **الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية**، ط١، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع.

السايح، أحمد عبدالرحيم١٩٨١م.، **اضواء على الحضارة الإسلامية**، ط١، الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع.

السباعي، مصطفى، **الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم**، دار الوراق، المكتب الاسلامي، دط،دت.

سرى، طارق(٢٠٠٦ م)، **المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي**، ط١، الجيزة: مكتبة النافذه.

سعيد، ادوارد (٢٠٠٦م)، **الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق**، ط١، (ترجمة محمد عناني)، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع،

سفاري (٢٠١٤)، **المستشرقون وتحريف السيرة النبوية مختصر حياة محمد**، ط١، (ترجمة محمد عبد العظيم)، مصر: دار الاندلس الجديدة للنشر والتوزيع.

السكري، عادل (٢٠١٣م)، **النزعة النقدية عند المعتزلة**، ط١، مصر، الدار المصرية.

سما يلوفتش، أحمد(١٩٩٨م)، **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر**، القاهرة: دار الفكر العربي.

السمرة، محمود(١٩٦٩م)، **غربيون في بلادنا**، بيروت: المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع.

سيف النصر، عبد العزيز(٢٠٠٦م)، **القدر وحرية الإرادة الإنسانية في الفكر الكلامي الإسلامي**، ط١، القاهرة: مصر للخدمات العلمية.

السيوطي، الحافظ أبي بكر الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

ابن سيده، على بن إسماعيل ، **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة،** ط١، (تحقيق: مراد كامل)، معهد المخطوطات العربية.

شامة، محمد (١٩٨٠م)، **الإسلام في الفكر الأوربي،** ط١، القاهرة: مكتبة وهبة.

الشربيني، عماد السيد (٢٠٠٨م)، **السنة النبوية في كتابات اعداء الإسلام،** ط٢، مصر: دار اليقين.

الشلالي، هدى بنت ناصر، **موقف المستشرقين من علم الكلام والاشاعرة عرض ونقد في ضوء منهج أهل السنة والجماعة،** أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض، السعودية.

شلبي، أحمد (١٩٩٣م)، **الاستشراق تاريخه أهدافه،** ط٣، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل،** (ط١، حققه عادل أحمد)، مكتبة فياض، المنصورة.

شوقي ابو خليل (١٩٨٧م)، **كارل بروكلمان،** ط١، دمشق: دار الفكر.

شوقي ابو خليل (١٩٨٢م)، **الاسلام في قفص الاتهام،** ط٥، سورية: دار الفكر.

الصابوني، محمد علي(٢٠١٥م)، **النبوة والأنبياء،** بيروت: المكتبة العصرية.

الصقلي، محمد بن حماد، الدين والنبوة وحاجة البشر إليهما، هذه سبيلي، **مجلة متخصصة يصدرها المعهد العالي للدعوة الإسلامية،** جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد الخامس، ١٩٨٣م.

صليبيا ، جميل (١٩٧١م)، **المعجم الفلسفي،بالألفاظ العربية والفرنسية والأنكليزية واللاتينية،** ط١، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

الطالقاني،ابو القاسم اسماعيل ابن عباد ابن العباس ، **المحيط في اللغة** ، ط١، (تحقيق محمد عثمان)، دار الكتب العلمية، بيروت.

الطنطاوي، علي(٢٠٠٧م)، **سيد رجال التاريخ محمد ﷺ،** ط٢، جده: دار المنارة.

العالم، يوسف حامد(١٩٩٣م)، **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية،** ط٢، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: الدار العالمية للكتاب الإسلامي.

ابن عبـاًد، اسماعيل (١٩٩٤م)، **المحيط في اللغة**، ط١، (تحقيق: محمد حسن آل ياسين)، عالم الكتب، بيروت.

ابن عبد البر، **الإستيعاب في معرفة الأصحاب**، دار الكتاب العربي،بيروت.

عاليه، سيرين عبد الرحمن سالم (٢٠١٠م)، **موقف المستشرق البريطاني جيمس روبسون من الكتب الستة**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

عجيبه، أحمد علي(٢٠٠٤م)، **نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة**، ط١، القاهرة: دار الافاق العربية.

عزمي طه السيد أحمد(٢٠١٥م)، **الفلسفة والدين في مدينة الفارابي الفاضلة**، ط١، اربد: عالم الكتب الحديث.

العسقلاني، ابن حجر، **الإصابة في تميز الصحابة**، دار الكتاب العربي، بيروت..

العسقلاني، ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط١، (راجعه: قصي محب الدين الخطيب، محمد عبد الباقي)، دار الريان للتراث، القاهرة.

العقلي، فؤاد خدرجي(١٩٨٠م)، **الإنسان هل هو مسير أم مخير**، ط١، القاهرة" مكتبة الخانجي.

العقيقي، نجيب (١٩٦٤م)، **المستشرقون**، ط٣، القاهرة: دار المعارف.

العقيقي، نجيب (١٩٣٧م)، **مستشرقون**، بيروت.

علي، جواد(١٩٩٣م)، **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام**، ط٢.

العمرى، رياض بن حمد(١٤٣٣هـ)، **مناهج المستشرقين وموقفهم من النبي**، عرض ونقد في ضوء العقيدة الاسلامية، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية.

العمري، محمد نبيل طاهر، **النبوة بين المتكلمين والفلاسفة والصوفية**، دار الفتح للدراسات والنشر، الاردن، ط١، ٢٠١٥م.

العيساوي، محمود خلف جراد، **افتراءات المستشرق بروكلمان على التاريخ العربى الإسلامي**، دار عمار، الأردن، ط١، ٢٠١٤م.

الغامدي، أحمد بن سعد بن حمدان(١٩٨٥م)، **عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية**، ط١، الرياض: دار طيبة.

غراب، أحمد عبد الحميد، **رؤية اسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي**، ط٢، لندن.

غريد الشيخ محمد(٢٠١٠م)، **المعجم في اللغة والنحو والصرف والاعراب والمصطلحات العلمية والفلسفية والقانونية والحديثة**، ط١، بيروت: النخبة للتأليف والترجمة والنشر.

الغزالي **في إحياء علوم الدين**، ط١، دار المنهاج، جدة.

الغزالي، محمد(١٩٩١م)، **تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل**، ط٢، امريكا: المعهد العالمي للفكر الاسلامي، القاهرة: دار الشروق.

ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا **مقاييس اللغة**، (راجعه وعلق عليه أنس محمد الشامي)، دار الحديث، القاهرة.

فوزي، فاروق عمر(١٩٩٨م)، **الاستشراق والتاريخ الإسلامي**، ط١، عمان: الاهلية للنشر والتوزيع.

الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ط٢ ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الفيومي، محمد إبراهيم (١٩٩٣م)، **الاستشراق رسالة استعمار**، القاهرة: دار الفكر العربي.

القرطبي، محمد بن احمد، **الجامع لأحكام القرآن**، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

القرني، إسماعيل محمد (٢٠٠٦م)، **القضاء والقدر عند المسلمين**، ط١، بيروت" دار الكتب العلمية، بيروت.

قطب، سيد(١٩٨٢م)، **التصوير الفني في القرآن**، ط٧، بيروت: دار الشروق.

قطب، سيد(١٩٧٩م)، **معالم في الطريق**، ط٦، القاهرة: دار الشروق.

قطب، محمد (١٩٩٩م)، **المستشرقون والاسلام**، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة.

ابن قيم الجوزية، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، (**تحقيق: محمد علي ابو العباس)، مكتبة القران ،القاهرة.

ابن قيم الجوزية، ، أبي عبدالله محمد بن أبي بكر، شفاء **العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، (تحقيق: سيد عمران، السيد محمد)، دار الحديث، القاهرة.

الأب كازفييه ليون دوفوراليسوعي (٢٠١٤م)، **معجم الاهوت الكتابي**، ط٧، بيروت: دار المشرق،

ابن كثير الدمشقي، أبى الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، دار إحياء الكتب العربية،مصر.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **البداية والنهاية**، ط١، (تحقيق علي شيري)، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، لبنان.

الكتاب المقدس، ط٤، مصر: دار الكتاب المقدس.

الكردي، راجح (٢٠١١م)، **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**، ط٣، عمان: دار الفاروق.

الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، **كتاب الأصنام**، ط١، (تحقيق أحمد زكي باشا)، دار الكتب العلمية، بيروت.

الكلبي، قيس(٢٠١١م)، **حقيقة محمد ﷺ في التوراة والإنجيل**، مصر: دار الواضح.

الكيلاني، إبراهيم زيد(١٩٨١م)، **تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام** ، ط١، عمان: مكتبة الأقصى، عمان.

لامنس، كستر(٢٠١٤م)، **مكة في الدراسات الاستشراقية**، ط١، بيروت: المركز الأكاديمي للأبحاث.

لامنس **journal ، lahede Mahometetla chronolojie dela sirca،H. lammens . t17 P 209-250.،Asiatijuex**

لو نوار، فريدريك(٢٠١٢م)، **المصنف الوجيز فى تاريخ الأديان**، (ترجمة: محمد الحداد)، مصر: دار سيناترا.

لوكمان، زكارى(٢٠٠٧م)، **تاريخ الاستشراق وسياساته**، ط١، (ترجمة شريف يوسف)، القاهرة: دار الشروق.

الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود(٢٠٠٧م)، **كتاب التوحيد**، ط١، (تحقيق: بكر طوبال محمد آروشي)، بيروت: دار صادر.

مالك بن بني (٢٠١٥)، **الظاهرة القرآنية**، ط١٣، (ترجمة عبد الصبور شاهين)، دمشق: دار الفكر.

مراد وهبة (٢٠١٦م)، **المعجم الفلسفي**، القاهرة: مكتبة الأسرة.

محمدرشيد رضا(٢٠١٥م)، **الوحي المحمدي**، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

أحمد بن حنبل، **مسند أحمد بن حنبل**، ط١،(تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

المسيرى، عبد الوهاب محمد(١٩٩٩م)، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ط١، القاهرة: دار الشروق.

مصطفى صبري(٢٠٠٧م)، **موقف البشر تحت سلطان القدر**، ط١، القاهرة: دار البصائر.

مصطفى صبري (٢٠١٢م)، **موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين**، ط١، بيروت: المكتبة العصرية.

مصطفى عبد الرازق (٢٠١٤)، **تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية** القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

المطعني،د.عبدالعظيم ابراهيم محمد (١٩٩٢م)، **افتراءات المستشرقين على الاسلام عرض ونقد** ، ط١، القاهرة: مكتبة وهبية.

المنجد في اللغة والأعلام، ط٢٨، بيروت: دار الشرق.

المنجد، صلاح الدين (١٩٨٧م)، **المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية**، ط١، بيروت: دار الكتاب.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ط٤، دار صادر، بيروت.

مهران، محمد بيومي(١٩٨٢م)، **دراسات في تاريخ العرب القديم**، ط٣، الرياض: مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الموحى، عبد الرزاق رحيم(٢٠٠١م)، **العبادات في الاديان السماوية اليهودية- النصرانية – الاسلام**، ط١، دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع.

المودودى، أبو الأعلى، **مفاهيم إسلامية**، ط١، جدة: مؤسسة اقرا للنشر والتوزيع.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ط٢، الرياض: الندوة العالمية للشباب الأسلامي.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكه، **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**، ط٨، دمشق:دار القلم.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكه(٢٠١٦)، **العقيدة الإسلامية وأسسها**، ط١٧، دمشق: دار القلم.

ناجي، عبد الجبار (٢٠١١م)، **التشيع والاستشراق**، ط١،المركز الأكاديمي للأبحاث، بغداد.

ناجي، عبد الجبار(١٩٨١م)، **تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي**، بغداد: دار الجاحظ للنشر.

ابن نبي، مالك، **انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، ط١،دار الإرشاد، بيروت، ١٩٨٩م.

نخبة من كبار العلماء (٢٠١١م)، **موسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات**، ط١، مصر: دار نهضة.

الندوى، أبو الحسن على الحسني١٩٨٥م، **الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين**، ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة.

النسائي في السنن الكبرى، **كتاب المناقب**، باب زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه.

النعيم، عبد الله محمد الأمين (٢٠٠٨)، **الاستشراق في السيرة النبوية**، ط١، دمشق: دار الفكر.

النقشبندي، خالد، **العقد الجوهري في الفرق بين قدرة العبد وكسبه عند الماتريدي والأشعري، ط١**، (تحقيق:سعيد فوده، الأصلين).

النملة، علي بن إبراهيم (٢٠١٤م)، **مراجعات في نقد الفكر الاستشراقي حول الإسلام والقرآن والرسالة**، ط٢، بيروت: بيسان للنشر والتوزيع.

نورا فيشيا فاغليري(١٩٧٩م)، **دفاع عن الإسلام**، ط٣، (ترجمة، مثير البعلبكي)، بيروت: دار العلم للملايين.

الهمذاني، عبد الجبار بن احمد، **المغني في أبواب العدل والتوحيد**، ط١، دار الكاتب العلمية، بيروت.

الهمذاني، عبد الجبار بن احمد، **شرح الأصول الخمسة**، ط١، (تحقيق:احمد السايح، توفيق وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

الهمذاني، قاضي القضاة عبد الجبار بن احمد، **دلائل النبوة مقدمة التحقيق** ، ط٢، (تحقيق: أحمد السائح، توفيق وهبة)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

ابن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، ط١، (تحقيق: همام سعيد، محمد ابو صعيليك)، دار المنار، الأردن.

وحيد الدين خان(٢٠٠٧م)، **الإسلام يتحدى، مدخل علمي إلى الإيمان**، ط١، سوريا، دار قتيبة.

ولفنسون(١٩٣٧م)، **اسرائيل، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، مصر: مطبعة الإعتماد.

الـوهيبي، عبـد الله بـن عبـد الـرحمن(٢٠٠٧م)، **حـول الاستشـراق الجديـد مقـدمات أوليــة**، ط١، الرياض: البيان مركز البحوث والدراسات.

ياسين، حكمت بشير(١٩٩٩م)، **موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمـأثور**، ط١، المدينـة المنورة، دار المآثر.

يحيى مراد (٢٠٠٤م)، **معجم أسماء المستشرقين**، بيروت: دار الكتب العلمية.

يوهان فوك، **تاريخ حركة الاستشراق نقله عن الالمانية: عمر العالم**، عمان: مطبعة السفير.

Burns & Oates، Catechism of the Catholic Church، **Continuum International Publishing Group**، London، 2000.

KARLBROCKELMANN’S ESSAYS IN ISLAMIC THEOLGY A PRESENTAL AND CRITICAL STUDY

By

Saud Abdulaziz Al-Dhmadi

Supervisor

Dr. Mohamed Nabil Al-Omary

ABSTRACT

The subject of this research comes within the axis of defending the Islamic religion، its doctrines، and the Prophet، Mouhammad، peace be upon him، after the Orientalists raised suspicions and doubts about it. The German Orientalist، Carl Brockelmann، addressed Islam، its doctrines، the Prophet، Mouhammad، peace be upon him; therefore، the researcher sought to explore his views and respond to them through this research.

The research has been divided into an introduction and the preface، which consists of three chapters، and a conclusion، where the introduction came to define the study، in which the researcher showed the problem of the study، its importance، objectives، and the methodology of research. The introductory chapter addressed the study of Orientalism in terms of definitions، concepts، stages، and objectives in general and German Orientalism in particular.

The researcher spoke in the first chapter about Brockelmann's articles on religion and presented، criticised and replied to them. As for the second chapter، the researcher addressed the prophecies and Brockelmann’s articles regarding the Prophet، peace be upon him، the revelation، and the Islamic Faith، which the researcher presented and responded to.

The third chapter addresses Brockelmann’s articles on Islamic beliefs، which the researcher presented and then answered in order to reflect and implement those views and suspicions and respond to them.